مجلة جامعة حمص

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 48 . العدد 13

1448 هـ - 2026 م

الأستاذ الدكتور طارق حسام الدين رئيس جامعة حمص **المدير المسؤول عن المجلة**

أ. د. وليد حمادة	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية**
د.نعيمة عجيب	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية**

د.محمد فراس رمضان	عضو هيئة التحرير
د. مضر سعود	عضو هيئة التحرير
د. ممدوح عبارة	عضو هيئة التحرير
د. موفق تلاوي	عضو هيئة التحرير
د. طلال رزوق	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الجاعور	عضو هيئة التحرير
د. الياس خلف	عضو هيئة التحرير
د. روعة الفقس	عضو هيئة التحرير
د. محمد الجاسم	عضو هيئة التحرير
د. خليل الحسن	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. أحمد حاج موسى	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة حمص

سورية . حمص . جامعة حمص . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.homs-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : journal.homs-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة حمص

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسـبة لكليات (الآداب – الاقتصـاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

ـ كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي ـ العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشـر في المجلة يدل ضـمناً على عدم نشـره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة ـ الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة ـ سنة النشر ـ وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة ـ دار النشر وتتبعها فاصلة ـ الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

ـــ بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة ـــ المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة ـــ أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة حمص

1. **دفع رسم نشر (600) ل.س ستمئة ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (2000) ل.س الفا ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (150) ل.س مئة وخمسون ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
التركيب الشرطي ووظائفه الجمالية دراسة مقارنة بين العربية والعبرية	عبد المناف سعيد محمد د. وحيد صفيه	34-11
العقلانية العلمية ونقد التقدم التراكمي في فلسفة لاري لودان	محمد مصطفى بشو د. جلال بدلة د. شفيقة الشعار	66-35
المؤسسة العسكرية العثمانية بين الإيجابية والسلبية (دراسة تحليلية في أثرها الإداري والاقتصادي والاجتماعي)	د. علي إبراهيم	106-67
نظرية حل المشكلات عند لاري لودان ونقده لفلسفة العلم المعاصرة	محمد مصطفى بشو د. جلال بدلة د. شفيقة الشعار	138-107
التَّشكيل اللغويّ لأدب التَّهديد في العصر الأمويّ	ياسر محمود الأقرع أ.د.أحمد دهمان د. هند جمال المحمد	173-139

التركيب الشرطي ووظائفه الجمالية
دراسة مقارنة بين العربية والعبرية

عبد المناف سعيد محمد* د. وحيد صفيه**

المُلخَّص

يَهْدِفُ هذا البحثُ إلى إجراءِ دراسةٍ تحليليّةٍ مقارنة بين اللُّغتين **العربيّة** و**العبريّة**، مركِّزًا على عُنْصرٍ نحويٍّ ودلاليٍّ مُهمٍّ هو **التركيبُ الشَّرطيُّ**، وما يحمله من قِيَمٍ جماليّة وأسلوبيّة تَمْنَحُ النصَّ حيويّةً وعمقًا؛ إذْ تُسهم دراسةُ التركيبِ الشرطيِّ ـ في كلتا اللُّغتين ـ في الكَشْفِ عن أوجهِ التَّشابهِ والاختلافِ بينهما، سواء على مستوى البِنَى النَّحويّة أو الدّلاليّة، فاللُّغتان تنتميان إلى أسرة لغويّةٍ واحدةٍ هي أُسرةُ اللُّغات السّاميّة؛ لذا توجدُ بينهما تقاطعاتٌ مُهِمَّةٌ في القواعدِ والأدواتِ الشَّرطيّة، مِمَّا يُثْرِي البَحْثَ اللِّسَانِيَّ المُقَارن. من جانب آخرَ فإنَّ دراسةَ التركيبِ الشَّرطِيِّ في اللُّغتين العربيّة والعبريّة ليست مجردَ تمرينٍ أكاديمي، بل هي جِسْرٌ لفهمٍ أعمقَ للبِنَى اللُّغويّة في كلتا اللُّغتين، فالمقارنةُ تُثْرِي مَجَالَ اللُّغويات وتَخْدمُ أهدافاً تعليميّة وتطبيقيّة متنوِّعَةً.

الكلمات المفتاحية: دراسة مقارنة، التركيب الشرطي، جماليات، العربية، العبرية

Conditional Syntax and Its Aesthetic Functions
A Comparative Study between Arabic and Hebrew

* طالب دكتوراه ـ قسم اللغة العربية . كلية الآداب ـ جامعة اللاذقية ـ سورية. mnafsaed827@gmail.com
**أستاذ – قسم اللغة العربيّة . كلّية الآداب . جامعة اللاّذقيّة . سورية.wahid.safiea@latakia-univ.edu.sy

Abdul Manaf Saeed Muhammad* Dr. Wahid safiea**

Abstract

This research aims to conduct a comparative analytical study between the Arabic and Arabic languages, focusing on an important elemental and semantic aspect, which is the military structure, and its focus on aesthetic and stylistic values, intellectual element and depth; as the study of the religious structure - in the two languages - contributes to revealing other similarities and differences, whether at the level of grammatical or semantic structures.
The two languages belong to the same linguistic family, the Semitic language family. Therefore, there are important intersections between them in terms of grammar and conditional tools, which enriches comparative linguistic research.
On the other hand, studying the conditional construction in Arabic and Hebrew is not merely an academic exercise; rather, it serves as a bridge to a deeper understanding of the linguistic structures in both languages.
Comparison enriches the field of linguistics and serves various educational and applied purposes.

Keywords: comparative study, conditional construction, aesthetics, Arabic, Hebrew

***PhD student, Arabic Language Department, Latakia University , Syria.**
mnafsaed827@gmail.com
****Professor, Arabic Language Department, Faculty of Arts, Latakia University, Syria.**
wahid.safiea@latakia-univ.edu.sy

1- مقدِّمة:

لا بدَّ في البداية من الإشارة إلى أنَّ مصطلحي الجملة والتركيب لهما دلالات متقاربة، ويراد بهما ضمُّ بعض الألفاظ إلى بعض، فالتركيب ـ كما عرَّفه التهانوي ـ هو: جعلُ الأشياءِ المتعدِّدة بحيث يطلق عليها اسم الواحد[1]. هذا التقارب في دلالة هذين المصطلحين أدَّى إلى استعمالهما في كثير من الأساليب، ومنها أسلوب الشرط. وقد آثرنا في بحثنا هذا استعمال مصطلح التركيب الشرطي لأسباب، منها أنَّ كلَّ شيء مركَّب يتعرَّض للتقديم والتأخير؛ ولأنَّنا سنتناول هذه العوارض في بحثنا هذا نجدُ أنَّ استعمالَ مصطلح التركيب أفضل ـ لجهة الدلالة ـ من استعمال مصطلح الجملة. هذا وقد فطن النحويون العرب والغربيون إلى أنَّ التركيب الشرطي هو أحد صور الجملة المركَّبة، وهو ما دفعهم للقول بترابط الجملتين معنوياً، وتكوينهما وحدة تركيبية واحدة؛ وذلك بشرط وجود الأداة التي تفرضُ التلازم والتعاون السببي بين ركنيهما وهي أداة الشرط. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ النُّحاةَ عندما حلَّلوا التركيبَ الشرطيَّ قسَّموه إلى مستويين:

أ ـ المستوى الدّلالي، الذي يتضمَّن ركنين اثنين، هما: ركن الشرط، وركن جواب الشرط.

ب ـ المستوى التركيبي، الذي يتضمَّن ثلاثة أركان، هي: ركن أداة الشرط، وركن جملة فعل الشرط، وركن جملة جواب الشرط.

ونظراً لصعوبة الفصل بين المستويين الدلالي والتركيبي ـ في التحليل اللغوي ـ يجبُ علينا ـ في دراستنا **للتركيب الشرطي ووظائفه الجمالية** ـ الحديث عن المستويين معاً كي تكتمل الصورة؛ لأنَّ دراستهما منفصلين لن تحقِّق الفائدة المرجوَّة؛ وتأسيساً على ذلك سنقوم في هذا البحث بدراسة أنماط التركيب الشرطي، ووظائفه الجمالية في كلٍّ من العربية والعبرية.

1-2 أهمية البحث:

إنَّ دراسة التركيب الشرطي ووظائفه الجمالية في اللغتين العربية والعبرية تحمل أهمية كبيرة من نواحٍ عدة؛ وذلك نظرًا للعلاقة التاريخية واللغوية الوثيقة بين هاتين اللغتين اللتين تنتميان إلى أسرة لغوية واحدة هي أسرة اللغات السامية. فدراسة التركيب الشرطي ووظائفه الجمالية في هاتين اللغتين ليست فقط ذات أهمية أكاديمية وحسب، بل يمكن أن يكون لها تطبيقات عملية في مجالات أخرى مثل التعليم، الترجمة، الدراسات الدينية، والحفاظ على التراث الثقافي.

---

[1] ـ التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ج1/ 423.

1-3 أهدافُ البحثِ:

يهدف هذا البحث إلى دراسة التركيب الشرطي الجملة الشرطية في اللغتين **العربية** و**العبرية**، مع تحليل أوجه التشابه بينهما، والكشف عن الوظائف الجمالية والدلالية التي يقدمها هذا التركيب في النصوص الأدبية واللغوية لكلتا اللغتين.

1-4 منهج البحث:

إنَّ المنهجَ المُتَّبَعَ في بحثنا هذا هو المنهجُ المقارنُ، الذي يقومُ على المقارنة بين لغتين تنتميان إلى أسرةٍ لغويةٍ واحدةٍ هي أسرةُ اللُّغاتِ السَّاميَّةِ، وذلك من خلال مقارنة أنماط التركيب الشرطي ووظائفه الجمالية في اللغتين: العربية والعبرية.

العرض:

قبل الحديث عن أنماط التركيب الشرطي في كلٍّ من العربية والعبرية لا بدَّ لنا من الوقوف ـ أولاً ـ على:

أ ــ مفهوم الشرط لغةً واصطلاحاً. فالشَّرطُ لغةً ـ كما جاء في القاموس المحيط ـ إلزام الشيء، والتزامه البيع ونحوه، والشريطة مفرد، وجمعه: شروط، والشَّرَطُ بالتحريك: العلامةُ، وجمعه: أشراط [1] .

أمَّا في **الاصطلاح** فهو: " تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وُجِدَ الأول وُجِدَ الثاني" [2]. وبتعبيرٍ آخر هو: " كَلِمٌ وُضِعَت لتعليق جملةٍ بجملةٍ، وتكونُ الأولى سبباً والثانية متسبِّباً" [3] . ويعرِّف مهدي المخزومي الشرط بأنَّه: " أسلوبٌ لغويٌّ ينبني ـ بالتحليل ـ على جزأين: الأول: منزَّل منزلة السبب، والثاني: منزَّل منزلةَ المسبِّب، يتحقَّق الثاني إذا تحقَّق الأول، وينعدم الثاني إذا انعدمَ الأول؛ لأنَّ وجود الثاني مُعَلَّقٌ على وجود الأول" [4].

ب ــ التركيب الشرطي:

---

[1] ــ الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين، القاموس المحيط، تحقيق: نحمد نعيم العرقسوسي، مكتبة الرسالة، الطبعة الثامنة، 1426هـ/ 2005م، مادة ش ر ط.

[2] ـ الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف ت: 816هـ، معجم التعريفات، تحقيق ودراسة: محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت، ص108.

[3] ـ الأندلسي، أبو حيَّان، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998، 4/ 1862.

[4] ــ المخزومي، مهدي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، 1986م، ص 284.

نقصدُ بالتركيب الشرطي في بحثنا هذا هو التركيب الناتج عن ارتباط جملتين؛ وذلك لعلَّة وجود أداة الشرط في صدارة هذا التركيب. وسوف نقسم بحثنا هذا إلى قسمين، سنتحدَّثُ في القسم الأول عن أنماط التركيب الشرطي، وسنتحدث في القسم الثاني عن الوظائف الجمالية لهذا التركيب.

أولاً ــ أنماط التركيب الشرطي:

إنَّ الدارسَ لأسلوب الشرط في اللغتين: العربية والعبرية يَجِدُ أنَّ التركيب الشرطي ـ في هاتين اللغتين ـ يَنْقَسِمُ إلى أَنْمَاطٍ عديدةٍ، أهمُّها:

النمط الأول: أداة الشرط + جملة فعل الشرط فعلها ماضٍ + جملة جواب الشرط فعلها ماضٍ أيضاً

يتكرَّر هذا النمط من أنماط التركيب الشرطي كثيراً في العربية والعبرية. ففي العربية نجد ذلك ـ مثلاً ـ في

قوله تعالى: **فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ** [1] . وفي قوله تعالى: **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ** [2] . إذ جاء فعلا الشرط وجوابه في صيغة الماضي. " وقد ذهب النحاةُ إلى أنَّ القصد من مجيء الشرط ماضياً، وإنْ كان معناه الاستقبال، هو إنزال غير المتيقَّن منزلة المتيقَّن، وغير الواقع منزلة الواقع، وهذا ما فسروا به التعبيرَ عن الأحداث المستقبلية بأفعال ماضية في غير الشرط أيضاً" [3] . وذهب الدكتور مصطفى جواد إلى أنَّ الفعل إذا كَثُرَ عُبِّرَ عنه بالمضي بخلاف مالم يكثر، قال: " إنَّ الفعل المعبَّرَ عنه بلفظ الشرط إذا كَثُرَ حدوثه استعملَ الماضي، وإذا قلَّ حدوثه استعملَ المضارع، فالماضي أولى بالكثير؛ لأنَّه كالحادث، والمضارع أولى بالقليل؛ لأنَّه لم يحدث" [4] .

ونجد أنَّ ثمَّةَ اتفاقاً بين فعل جملة الشرط وفعل جملة جواب الشرط، كما هو الحال في اللغة العربية، إذ يأتيان في صيغة الماضي، ومن ذلك ما جاء في سفر التكوين: לוּלֵא הִתְמַהְמָהְנוּ כִּי עַתָּה שַׁבְנוּ، זֶה פַּעֲמַיִם = لولا أنَّا توانينا لكنَّا الآن رجعنا مرتين [5] . فقد جاء فعل جملة الشرط הִתְמַהְמָהְנוּ = توانينا

---

[1] ــ سورة يونس، آية 72.

[2] ــ سورة الإسراء، آية 7.

[3] ــ السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، نشر وزارة التعليم العالي، بغداد، 1990م، ج4/ 435.

[4] ــ جواد، مصطفى، المباحث اللغوية في العراق، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، مطبعة لجنة البيان العربي، 1955م، ص 46.

[5] ــ سفر التكوين 10/43.

ماضياً، وجاء فعل جملة جواب الشرط שָׁבְנוּ= رجعنا ماضياً أيضاً، وصيغة الماضي في اللغة العبرية ـ كما هو الحال في اللغة العربية ـ تدلُّ على كثرة حدوث الفعل [1] .

وبناءً على ما تقدَّم نجد أنَّ اللغة العبرية حذت حذو اللغة العربية في استعمال النمط الأول من أنماط التركيب الشرطية، وهذا النمط شائع الاستخدام في هاتين اللغتين.

النمط الثاني: أداة الشرط + جملة فعل الشرط فعلها مضارع + جملة جواب الشرط فعلها مضارع أيضاً

وهذا النمط من أنماط التركيب الشرطي يتكرَّر كثيراً في العربية والعبرية، فكثيراً ما نجد في هاتين اللغتين اتفاقَ جملتي فعل الشرط والجواب في زمن المضارع، مثال ذلك في اللغة العربية ما نجده في قوله تعالى: **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** [2]، وقوله تعالى أيضاً: **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَّهُ مَخْرَجًا** [3]، فالأفعال **تُطِيعُوهُ، يَتَّقِ** هي أفعال جملة الشرط، والأفعال **تَهْتَدُوا، يَجْعَلْ** هي أفعال جملة جواب الشرط. وهنا نعود مرَّة أخرى إلى كلام الدكتور مصطفى جواد حين قال: "... فإنَّ الفعل إذا قلَّ حدوثُهُ استُعْمِلَ استعمالَ المضارع، والمضارع أولى بالقليل؛ لأنَّه لم يحدث" [4] .

وتحذو اللغةُ العبريةُ حذو اللغةِ العربية في هذا النمط من أنماط التركيب الشرطي، ففي العبرية ـ كما في العربية ـ يتَّفقُ فعلا جملة الشرط وجملة الجواب في زمن المضارع، نحو: אִם בְּגַפּוֹ יָבֹא בְּגַפּוֹ יֵצֵא = إنْ وحدَهُ يدخل وحدَهُ يخرج [5]. فهنا نجد أنَّ فعل جملة الشرط יָבֹא = يدخل، وفعل جملة الجواب יֵצֵא= يخرج جاءا بصيغة المضارع. ومن الناحية الدلالية تتفق العربية والعبرية على أنَّ صيغة المضارع تدلُّ على ندرة حدوث الفعل [6] .

النمط الثالث: أداة الشرط + جملة فعل الشرط فعلها مضارع + جملة جواب الشرط فعلها ماضٍ

---

[1] ـ אפשטיין- ינאי، מילי، הקורא המדמיין את תפקידו- הלכה ומעשה، חלקת לשון – כתב – עת לטיפוח החינוך הלשוני،1995، עם 89.

[2] ـ سورة النور، آية 54.

[3] ـ سورة الطلاق، آية 2.

[4] ـ جواد، مصطفى، المباحث اللغوية في العراق، ص 46.

[5] ـ سفر الخروج، 3/21.

[6] ـ זימר، י، עולם כמנהגו נוהג: פרקים בתולדות המנהגים، הלכותיהם וגלגוליהם، ירושלים 1996، עם 117.

وهذا النمط من أنماط التركيب الشرطي أقلُّ وروداً في النصوص من النمطين السابقين، ففي اللغة العربية يظهرُ هذا النمط ـ مثلاً ـ كما في قوله تعالى: **إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ** [1]، وفي قوله تعالى: **لَوْ نَشَاء جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ.** [2]،...إلخ، فالأفعال **يَسْرِقْ، نَشَاءُ** هي أفعال جملة الشرط، وقد جاءت في زمن المضارع، والأفعال **سَرَقَ، جعلناهُ** هي أفعال جملة جواب الشرط، جاءت في زمن الماضي.

وقد حذت اللغةُ العبريةُ حذو اللغة العربية؛ إذْ يردُ هذا النمطُ من أنماط التركيب الشرطي، لكنَّ وروده قليلٌ جداً، من ذلك مثلاً: וְאִם – לֹא תַעֲשׂוּן כֵּן הִנֵּא חֲטָאתֶם לַיהוָה = وإنْ لم تفعلوا هكذا خَطِئْتُم إلى الرَّب [3] . فالفعل תַעֲשׂוּן = تفعلون، وهو فعل الشرط، جاء في صيغة المضارع، والفعل חֲטָאתֶם = خَطِئتُم، وهو فعل جواب الشرط، جاء في صيغة الماضي.

النمط الرابع: أداة الشرط + جملة فعل الشرط فعلها ماض + جملة جواب الشرط فعلها مضارع

من أنماط التركيب الشرطي في اللغة العربية مجيء فعل جملة الشرط في زمن الماضي، ومجيء فعل جملة جواب الشرط في زمن المضارع، من ذلك ما نجده في قوله تعالى: **وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى** [4] . فقد جاء فعل الشرط **(تَعَاسَرْتُمْ)** في زمن الماضي، وجاء فعل جواب الشرط **تُرْضِعُ** في زمن المضارع. وهذا النمط نجده أيضاً في اللغة العبرية، نحو: אִם – זָרְחָה הַשֶּׁמֶשׁ עָלָיו דָּמִים לוֹ שִׁלֵּם יִשַּׁלֵּם = إن أشرقت الشمسُ عليه، فلا يُهدر دمُهُ. [5] . فقد جاء فعل جملة الشرط זָרְחָה = أشرقت في زمن الماضي، وجاء فعل جملة جواب الشرط שִׁלֵּם= يهدر في زمن المضارع.

النمط الخامس: أداة الشرط + جملة فعل الشرط فعلها ماضي + جملة جواب الشرط فعلها أمر

[1] ـ سورة يوسف، آية 77

[2] ـ سورة الواقعة، آية 70.

[3] ـ سفر العدد، 32/ 23.

[4] ـ سورة الطلاق، آية 6.

[5] ـ سفر الخروج 22/ 2.

ورد هذا النمط من أنماط التركيب الشرطي في اللغة العربية، كما في قوله تعالى: **وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا** [1]، وفي قوله تعالى أيضاً: **إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ**. [2]، فالأفعال (جَنَحوا، طَلَّقْتُمُ) هي أفعال جملة الشرط، وقد جاءت في زمن الماضي، والأفعال اجْنَحْ، طَلِّقُوهُنَّ هي أفعال جملة جواب الشرط، جاءت في صيغة الأمر. ومن الناحية الدلالية فإنَّ الشرط يدلُّ على الحال إنْ كان فعل الشرط ماضياً، وكان جوابُهُ فعلَ أمر [3] . وهذا النمط نجده ـ أيضاً ـ في اللغة العبرية، نحو: אִם– נָא מָצָאתִי חֵן בְּעֵינֶיךָ אֲדֹנָי יֶלֶךְ – נָא אֲדֹנָי בְּקִרְבֵּנוּ = إنْ وجدتُ نعمةً رضىً في عينيك يا سيدي، فَسِرْ ـ رجاءً ـ يا سيدي بقربنا [4]، ففعل جملة الشرط מָצָאתִי = وَجَدْتُ جاءَ في زمن الماضي، مسنداً إلى ضمير المفرد المتكلِّم، وجاء فعلُ جملة جواب الشرط יֶלֶךְ = سِرْ في صيغة الأمر.

النمط السادس: أداة الشرط + جملة فعل الشرط فعلها ماض + جملة جواب الشرط: جملة اسمية

نجد هذا النمط من أنماط التركيب الشرطي في اللغة العربية، كما في قوله تعالى: **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ** [5] . فقد جاء فعل جملة الشرط مَرِضْتُ ماضياً، مسنداً إلى ضمير المفرد المتكلِّم، وجاء جواب الشرط هُوَ يَشْفِينِ جملة اسمية. وهذا ما نجده في اللغة العبرية، نحو: וְהִנֵּה פָּשָׂה הַנֶּגַע בַּבַּיִת צָרַעַת מַמְאֶרֶת הִוא = فإذا فَشَت/ انتشرت الضربةُ في البيت، فهو برصٌ مفسدٌ [6] . فقد جاء فعل جملة الشرط פָּשָׂה = فشى في زمن الماضي، بينما جاء جواب الشرط צָרַעַת מַמְאֶרֶת הִוא= فهو برصٌ مفسدٌ.

ثانياً ـ الوظائف الجمالية للتركيب الشرطي:

يُمثِّل التركيب الشرطي في اللغة العربية نظامًا نحويًا ودلاليًا متقنًا، لا يقتصر دوره على التعبير عن العلاقات المنطقية بين الأفكار والأحداث فحسب، بل يتعداه إلى كونه أداة فنية وجمالية تثري النص وتضفي عليه أبعادًا من الدقة والتأثير البلاغي. وكما ذكرنا من قبلُ أنَّ التركيب الشرطي يُعرَّفُ ـ تقليديًا ـ على أنه ذلك البناء اللغوي الذي يربط بين جملتين أو أكثر بواسطة أداة شرط، بحيث تكون إحداهما جملة الشرط شرطًا لتحقق الأخرى جملة الجواب.

---

[1] ـ سورة الأنفال، آية 8.

[2] ـ سورة الطلاق، آية1.

[3] ـ السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ج4/ 447.

[4] ـ سفر الخروج: 34/ 9.

[5] ـ سورة الشعراء، آية 80.

[6] ـ سفر اللاويين: 14/ 44. الفعل פָּשָׂה = توسَّع، امتدَّ، انتشر، تفشَّى: يُنظر: قوجمان، قاموس عبري . عربي، دار الجيل، بيروت، مكتبة المحتسب، عمان، 1970م، ص 745.

ومن الناحية الجمالية، يتجاوز التركيب الشرطي وظيفته الأساسية المتمثلة في بيان السببية والارتباط الزمني أو المنطقي، ليلعب أدوارًا متعددة تعزز القيمة الفنية للنص، سواء أكان نثرًا أم شعرًا، فهو يعمل على خلق التوقع والتشويق في ذهن المتلقي، من خلال بناء علاقة ترقُّب بين الشرط والجواب. كما يسهم في صياغة المفارقات الدرامية وبناء التوتر النفسي، حيث يضع الشرط احتمالية أو عائقًا، بينما يحمل الجوابُ الحلَّ أو النتيجةَ، ممَّا يخلقُ حركةً ديناميكية داخل النص. ومن ثمَّ، فإنَّ دراسة الوظائف الجمالية للتركيب الشرطي لا تكشف فقط عن جماليات اللغة العربية وإمكاناتها التعبيرية الهائلة، بل تسلِّطُ الضوءَ على كيفية توظيف التراكيب النَّحوية البسيطة في تشكيل نصوصٍ ذات عمق فني وإبداعي، ممَّا يؤكِّدُ على ترابط البناء النَّحوي والجمالي في المنظومة اللغوية العربية.

والمراد بالتوظيف الجمالي في بحثنا هذا هو رصد التوظيف الدلالي الجمالي في التركيب الشرطي اعتماداً على المرونة التي تتيحها أركانه، هذه المرونة تفسح المجالَ لإعادة توزيع عناصر التركيب الشرطي من جديد عن طريق: التقديم والتأخير، أو الحذف البلاغي، أو الاعتراض، أو التكثيف والإطالة، أو التكرار، أو الإيقاع الموسيقي. وسنتناول ـ باختصار ـ في هذا البحث كلَّ عنصرٍ من العناصر المذكورة آنفاً؛ لأنَّ هذه العناصر من شأن وجودها في النص أنْ يُحْدِثَ صدمةً قرائية، أو هزَّةً سماعيةً غير متوقعة عند المتلقي تسمح له بالدخول إلى فضاءات دلالية وجمالية جديدة في النص عامةً، وفي التركيب الشرطي حاصّةً، وسنبدأ بالحديث عن:

أ ـ التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير من المباحث المشتركة بين المستوى التركيبي والمستوى الدلالي في الدراسة اللغوية، وهو مبحث " يدور في إطار الترتيب غير الواجب بين العناصر اللغوية في الجملة، أي التي لا يؤدي تقديمها أو تأخيرها إلى خلل في المعنى، وإنَّما تظلُّ محتفظةً بوظيفتها النحوية ... على الرغم من تغيُّر موقعها اللفظي في الجملة" [1].

وفي إشارة واضحة إلى القيمة التعبيرية والجمالية التي يعكسها التقديم والتأخير على النص المستخدم فيه يقول الجرجاني: " ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثمَّ تنظر فتجد سبب أنْ

[1] ـ أبو حميدة، محمد صلاح، القضايا البلاغية والأسلوبية في مفتاح العلوم للسكاكي، رسالة دكتوراه، القاهرة، جامعة القاهرة، 1996م، ص 139.

راقك ولطف عندك إنْ قُدِّم فيه شيءٌ وحُوِّلَ اللفظُ من مكان إلى مكان" [1] . كما ينقل الجرجاني عن سيبويه قوله: " وكأنَّهم يقدمون الذي أهم لهم، وهم بشأنه أعنى وإنْ كانا جميعاً يهمانهم ويعنيانهم" [2] .

وللجملة الشرطية ـ في اللغات السامية عامَّةً، وفي اللغة العربية خاصَّةً ـ ترتيب عام متعارف عليه وهو: أداة الشرط، يليها جملة فعل الشرط، ثُمَّ جملة جواب الشرط. ولكنَّ الجملة الشرطية قد تأتي في صورٍ وتراكيبَ تخالف الترتيب العام، فقد تتوسَّط الأداةُ الجملة الشرطية، وهذه الصورة نجدها في شعر العربية ونثرها؛ لذا فقد دار الخلاف بين البصريين والكوفيين حول شروط صحَّة هذا التركيب، وكون الكلام السابق جواباً له أم لا.

فالبصريون ـ وعلى رأسهم سيبويه ـ أجازوا تقدُّمَ الجواب إذا لم تعمل أداة الشرط [3] .أمَّا الكوفيون فقد أجازوا تقدُّمَ الجواب على أداة الشرط وفعله سواءٌ أعملت الأداة أم لم تعمل؛ لأنَّ الأصل في الجزاء ـ حسب رأيهم ـ أنْ يكون مقدَّماً على أداة الشرط [4].

ومن الشواهد على تقدُّم الجواب على أداة الشرط وفعل الشرط قول الشنفرى [5] :

وَإِنِّـي لَـحُـلـوٌ إِنْ أُرِيْـدَتْ حَـلاوَتِـي وَمُـرٌّ إِذَا نَـفْـسُ الـعَـزُوفِ اسـتَـمَـرَّتِ

ففي هذا البيت تقدَّم الجواب وهو الجملة الاسمية إِنِّي لَحُلوٌ على إنْ وفعل الشرط الماضي، وكذلك تقدَّمَ الجواب، وهو الجملة الاسمية محذوفة المبتدأ ـ مرٌّ على أداة الشرط إذا وجملة الشرط، وتقدير البيت: إنْ أُريدت حلاوتي فإنِّي لحلوٌ، وإذا نفس العزوفِ استمرَّتِ فإنِّي مرٌّ.

---

[1] ـ الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دمشق، دار الفكر، ط1، 2007م، ص 143.

[2] ـ المصدر السابق، ص 144.

[3] ـــــــــــــــ سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1408هـ/1988م،66/3.

[4] ـــ يُنظر: ابن الأنباري، أبو البركاتت:577هـ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، 1982م، 623/2.

[5] ـ ديوان الشنفري، جمعه وحقَّقه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1417هـ/ 1996م، ص 38.

كما نجد تقدُّم الجواب على أداة الشرط وفعل الشرط في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: **قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ** [1] . إذ نلاحظ تقدُّم جملة جواب الشرط مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي، وتأخُّر جملة الشرط لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ.

وظاهرةُ تأخُّر جملة الشرط، وتقدُّم جملة جواب الشرط نجدها أيضاً في اللغة العبرية، نحو: וַיֹּאמֶר לֹא אֲשַׁלֵּחֲךָ כִּי אִם בֵּרַכְתָּנִי = فقال: لا أُطْلِقُكَ إنْ لم تُبَارِكْنِي [2] . والأصل في التركيب أنْ يكون: إنْ لم تباركني لا أُطلقك. وقد تقدَّم الجواب في هذا التركيب على جملة فعل الشرط لأهميته عند المتحدِّث والتأكيد على وجوبية تحققه. ومن الشواهد أيضاً: לֹא יֹאכַל עַד אֲשֶׁר יִטְהָר = لا يأكل من القرابين المقدسة إنْ لم يَطْهُرْ [3] . والأصل في التركيب أنْ يكون: إنْ لم يَطْهُر لا يأكلُ من القرابين المقدسة. ونظراً لأهمية تَطَهُّرِ الإنسان بالماء قبل الأكل فقد تمَّ تقديم جملة فعل الشرط في التركيب. ومن الشواهد أيضاً: לֹא נוּכַל לָרֶדֶת אִם – יֵשׁ אָחִינוּ הַקָּטֹן אִתָּנוּ = لا نقدِرُ على النزول إذا وجدَ أخونا الصغير معنا [4]. وهنا نجدُ تأخُّرَ جملةِ فعل الشرط אִם – יֵשׁ אָחִינוּ הַקָּטֹן אִתָּנוּ = إذا وجدَ أخونا الصغير معنا، وتقدَّمت جملة جواب الشرط לֹא נוּכַל לָרֶדֶת = لا نقدِرُ على النزول.

ب ـ الحذف البلاغي:

1 ـ حذف أداة الشرط:

تأتي الجملةُ الشرطيةُ في بعض الحالات خاليةً من أداة الشرط، ويكون المعنى الشرطي فيها واضحاً من خلال المكونات الداخلية للحدث في النص، وهذا ما نجده في اللغة العربية، كما في قوله تعالى: **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** [5]، ففي هذه الآية الكريمة نجد أنَّ أداة الشرط قد حذفت في الجملة على الرغم من أنَّ هناك دلالةً شرطيةً واضحةً فيها، فالمعنى: إنْ دعوتموني أستجب لكم.

وفي اللغة العبرية أيضاً قد تحذف ـ في بعض الأحيان ـ أداة الشرط مع بقاء أثرها؛ إذ يبدو الشرط ضمنياً من دون استخدام الأدوات الشرطية، نحو: הָיָה בְּהָנִיחַ יְהוָה אֱלֹהֶיךָ לְךָ מִכָּל אֹיְבֶיךָ מִסָּבִיב

[1] ـ سورة الفرقان، آية 25.
[2] ـ سفر التكوين 26/32.
[3] ـ سفر اللاويين 5/22.
[4] ـ سفر التكوين 26/44.
[5] ـ سورة غافر، آية60.

בָּאָרֶץ אֲשֹׁר יְהוָה אֱלֹהֶיךָ נֹתֵן לְךָ נַחֲלָה לְרִשְׁתָּהּ תִּמְחֶה אֶת זֵכֶר עֲמָלֵק מִתַּחַת הַשָּׁמָיִם לֹא תִשְׁכָּח= فإذا أراحك الرب إلهك من جميع أعدائك الذين حولك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك ميراثاً لتمتلكها فامحُ ذكر العماليق من تحت السماء؛ لا تنسَ [1] ، ففي هذا الشاهد نلاحظ عدم وجود أداة شرط صريحة، كما نجد أنَّ الدلالة الشرطية للجملة قد تجسَّدَ من خلال المعنى العام للجملة. والتقدير: إذا أراحك الرب إلهك من جميع أعدائك الذين حواليك في الأرض... لا تنسَ أنْ تمحوَ ذكرَ العماليق من تحت السماء.

2 ـ حذف جواب الشرط:

أجاز نحاةُ العربية حذفَ جواب الشرط للعلمِ به، واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى: **فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ** [2] ، والتقدير: إنْ استطعت ... فافعل ذلك. فحذف جواب الشرط افعل للعلم به [3]. وحذف فعل الشرط من الناحية البلاغية ادعى لتحريك الخيال وبث الحركة والحيوية في صورة الكلام.

وحذف جواب الشرط نجده يتكرَّرُ كثيراً في اللغة العبرية، ولا سيما عبرية العهد القديم، نحو: וַיְצַו הָעָם וְלָקְטוּ דְּבַר – יוֹם בְּיוֹמוֹ לְמַעַן אֲנַסֶּנּוּ הֲיֵלֵךְ בְּתוֹרָתִי אִם – לֹא = فيخرجُ القومُ ويلتقطونَ حاجةَ اليوم لأمتحنهم إنْ كانوا سيتَّبعونَ وصاياي أم لا [4] . ففي هذا التركيب تمَّ حذف جملتي فعل الشرط وجوابه في التركيب الثاني ودلَّ عليهما جملة الشرط المقدَّم في التركيب الأول فيخرجُ القومُ ويلتقطونَ حاجةَ اليوم لأمتحنهم. والدليل على هذا الحذف هو مجيء النفي بعد أداة الشرط في التركيب الثاني بوصفه قرينة للدلالة على ما تمَّ حذفه من التركيب، وبذلك آثر الكاتب الحذف على التكرار.

ج ـ الاعتراض:

ذكرنا من قبلُ أنَّ الجملة الشرطية في كل من العربية والعبرية تتعرَّضُ للحذف الذي يطال بعض عناصرها، كما وجدنا أيضاً أنَّ ترتيب هذه الجملة قد يطرأ عليه تقديم وتأخير في بعض الأحيان، ولكن بمقابل كل ذلك فإنَّ الجملة الشرطية قد تتعرض إلى التوسعة أو المد، ويكون ذلك بإقحام بعض الجمل الاعتراضية، أو إضافة عبارة شرطية تنازعُ العبارةَ الشرطيةَ الأساسيةَ الجوابَ، وهذا ما أطلق عليه النحاةُ

[1] ـ التثنية 19/25.
[2] ـ سورة الأنعام، آية35.
[3] ـ السامرائي، فاضل، معاني النحو، جامعة بغداد، 1990م، 116/4.
[4] ـ الخروج 16/ 4.

مصطلح "توسيع الجملة الشرطية" [1] . ومن الشواهد على هذا النمط من التراكيب الشرطية ما نجده في قوله تعالى: **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ** [2]. فجملة ولن تفعلوا هي جملة اعتراضية. ومن الشواهد الشعرية التي نجدها على هذا النمط من أنماط التركيب الشرطية في اللغة العربية، قول الحطيئة [3]:

مَتَى تَـأْتِـهِ تَعْشُـــو إلى ضَـــوْءِ نَـارِهِ تَجِـدْ خَيْرَ نَـارٍ عِنْـدَهـا خَيْرُ مَوْقِـدِ

فجملة تعشو إلى ضوء ناره اعتراضية، اعترضت بين فعل الشرط (تأتِهِ)، وجواب الشرط (تَجِدْ). كما صادف النحاةُ ـ من أمثال سيبويه ـ شواهد ورد فيها الفعل بعد الشرط مجزوماً، فعدُّوه بدلاً من فعل الشرط، ومن ذلك على سبيل المثال قول الشاعر:

مَتَى تَـأْتِنَـا تُلْـمِمْ بِنَـا فِـي دِيَـارِنَـا تَـجِـدْ حَـطَـبَـاً جَـزْلاً وَنَـاراً تَـأَجَّـجَـا

فالفعل تُلْمِمْ بدلٌ من الفعل الأول، ونظيره في الأسماء: مررتُ برجلٍ عبد الله، فأراد أنْ يفسِّر الإتيان بالإلمام، كما فسَّرَ الاسم الأول بالاسم الآخر [4] .

وقد يكون توسيع الجملة الشرطية من خلال عطف عبارة شرطية على أخرى، بواسطة حرف الواو، أوالفاء، نحو قوله تعالى: **وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ** [5] . فقد عطف: تَتَّقُوا على تُؤمِنُوا، وكل منهما يصحُّ أنْ يكون فعلاً للشرط، وفي هذه الحالة يكون الجواب لهما معاً؛ لأنَّ الواو تفيد الجمع والمشاركة.

هذا النمط من التركيب الشرطية الموسَّعة نجدهُ أيضاً في اللغة العبرية، من خلال إقحام جملة اعتراضية، أو من خلال عطف عبارة شرطية على أخرى، نحو: וַתֵּרֶת שִׂרָה אֶת– בֵּן – הָגָר הַמִּצְרִית

---

[1] ـــــ يُنظر: السعيد، بوعبد الله، أنماط الجملة الشرطية في الأحاديث النبوية صحيح البخاري نموذجا، جامعة مولود معمري ـ تيزي وزو، الجزائر، 2012م، ص 48.

[2] ـ سورة البقرة، آية 24.

[3] ـــ ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت 186 ـــ 246هـ، دراسة وتبويب: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/ 1993م، ص 70.

[4] ـ سيبويه، الكتاب، ج3/ 86.

[5] ـ سورة محمد، آية 36.

אֲשֶׁר – יָלְדָה לְאַבְרָהָם מְצַחֵק וַתֹּאמֶר לְאַבְרָהָם גָּרֵשׁ הָאָמָה הזֹאת וְאֶת בְּנָהּ = فلمَّا رأت سارة إسماعيل يمزح مع إسحق ابنها قالت سارة لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها [1] .

ففي هذا النمط من التراكيب الشرطية جاءت جملة: يمزح مع إسحق ابنها لتضيفَ تفصيلاً للحدث، وتوضِّح سبب طلب السيدة سارة من نبي الله إبراهيم كي يطردَ السيدة هاجر وابنها. ولو حذفنا هذه الجملة الاعتراضية يغدو التركيب: فلمَّا رأت سارة إسماعيل قالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها. وبهذا الشكل يصبح تركيب الجملة الكبرى غير مستقيم، ويكتنفه الغموض وإنْ استقام من حيث القواعد النحوية.

ومن شواهد هذا النمط في اللغة العبرية أيضاً: וְאִישׁ כִּי– יַקְרִיב זֶבַח – שְׁלָמִים לְפַלֵּא – נֶדֶר אוֹ לִנְדָבָה בַּבָּקָר אוֹ בַצֹּאן תָּמִים יִהְיֶה לָרָצוֹן כָּל– מוּם לֹא יִהְיֶה –בּוֹ = وإذا قرَّب إنسان ذبيحةً سلامةً للرب ووفاءً لنذر أو نافلة من البقر أو الأغنام تكون صحيحةً لا عيب فيها [2] .

وفي هذا النمط نجد أنَّ جملة وفاء لنذر أو نافلة من البقر أو الأغنام لتوضِّح نوع الذبيحة المقدَّمة وسبب تقديمها، وقد اكتسبت الجملة أهمية واضحةً بالنسبة للمتلقي، ثمَّ جاء جواب الشرط مستكملاً للجملة الشرطية، وموضِّحاً الشروط الواجب توافرها في تلك الذبيحة من صحتها وخلوها من العيوب؛ ليكتملَ الحكم المقصود إيضاحه.

ومن الشواهد على هذا النمط من التركيب الشرطي أيضاً: וְהָיָה כִּי– יִרְאוּ אֹתָךְ הַמִּצְרִים וְאָמְרוּ אִשְׁתּוֹ זֹאת וְהָרְגוּ אוֹתִי וְאֹתָךְ יְחַיּוּ = فيكون إذا رآكِ المصريون أنَّهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك [3]. ففي هذا النمط من الجمل الشرطية نجد مجيء الجمل الاعتراضية וְאָמְרוּ אִשְׁתּוֹ זֹאת = أنَّهم يقولون هذه امرأته لتوضيح جملة جواب الشرط التي تليها، وكانت إضافتها مهمة للتوضيح والتأكيد على أنَّ معرفتهم بأنَّ السيدة سارة وزوجته ستكون سبباً لمقتله، ولم يكن بالإمكان حذف هذه الجملة وإلاَّ اختلَّ المعنى العام للجملة الشرطية، ولم يفهم المتلقِّي فحوى الجملة الشرطية ومعناها.

د ـ التكثيف والإطالة:

أ ـ التكثيف:

---

[1] ـ سفر التكوين 9/12.

[2] ـ سفر اللاويين 21/22.

[3] ـ سفر التكوين، 12/12.

عرَّفَ ابنُ فارس التكثيف بقوله: " الكاف والثاء والفاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تراكب شيء على شيء، وتجمُّع، يقال: هذا شيء كثيف، وسحابٌ كثيف، وشجرٌ كثيف" [1] . وفي الاصطلاح: التكثيف هو تركيز المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة [2] . فالتكثيف، إذاً، هو أحد الأساليب اللغوية التي تهدف إلى التعبير عن الفكرة باستخدام أقل عدد ممكن من الكلمات؛ الأمر الذي يجعل النص أكثر جاذبيةً وغنىً بالرغم من قِصَرِهِ. ويطبق التكثيف في اللغة على مستويات مختلفة مثل: الكلمة، والجملة، والتراكيب، ممَّا يسهم في تعزيز الرسالة الرئيسية التي يرغبُ الكاتب في توصيلها من خلال التركيز على التفاصيل الجوهرية.

وقد ظهر **التكثيف البلاغي** عند العرب ظهوراً واضحاً وممنهجاً خلال العصر العباسي القرن الثاني إلى الرابع الهجري / الثامن إلى العاشر الميلادي، حيث ازدهرت العلوم البلاغية والنقدية وتأسست قواعدها على يد عدد من العلماء مثل: **الجاحظ** ت 255 هـ في مؤلفاته مثل "البيان والتبيين." و**عبد القاهر الجرجاني** ت 471 هـ الذي وضع أسس نظرية النظم في كتابه "دلائل الإعجاز." و**الخطيب القزويني** ت 739 هـ في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة"، لكن جذور التكثيف البلاغي تعود إلى العصر الجاهلي من خلال الشعر والأمثال، حيث كانت القصائد تعتمد على الإيجاز والقوة التعبيرية. ثم تطور في العصر الإسلامي والأموي مع القرآن الكريم والحديث النبوي، اللذين مثلا ذروة البلاغة والإيجاز؛ لذا يمكن القول إن التكثيف البلاغي كمفهوم واعٍ تشكل تدريجياً عبر العصور، لكنه بلغ ذروته تنظيراً وتطبيقاً في العصر العباسي.

وشواهد التكثيف في اللغة العربية كثيرة ومتنوِّعة، سنذكر بعضاً منها على سبيل التمثيل: فلو تأملنا قوله تعالى:" **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**" [3] . لوجدنا في قوله تعالى: **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** أنَّه نوع من التكثيف، فالخطاب الإلهي لم يقل "**واسأل أهل القرية**"، بل حذف "أهل "واكتفى بذكر المكان القرية للدلالة على أن كل من في القرية يعرف الخبر، فكأنما القرية بكاملها تتكلم. وهذا أقوى في الدلالة على صدقهم وانتشار الخبر.

[1] ـ ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، 1981م، 161/5، مادة ك ث ف.

[2] ـ شلبي، د. سعد إسماعيل، الأصول الفنية للشعر الجاهلي، مكتبة غريب، الفجالة، القاهرة، ط2، د. ت، ص 69.

[3] ـ سورة يوسف، آية 82.

وقد شابهت اللغة العبريةُ اللغةَ العربيةَ في استخدام أسلوب التكثيف البلاغي، ومن الأمثلة عليه ما نجده في سفر العدد في الفقرة: וַיִּשְׁמַע מֹשֶׁה וַיִּפֹּל עַל – פָּנָיו = فلمَّا سَمِعَ موسى سقط على وجهه [1]، وفي سفر التكوين: וְעָזַב אֶת – אָבִיו וָאֵת = إنْ تركَ أباهُ يموت [2].

ففي هذه التراكيب الشرطية، وأمثالها، نلاحظ أنَّ التكثيف واضحٌ فيها، بحيث أنَّ كلَّ تركيب لم يكن ليحتملَ وجود جُمَلٍ إضافيةٍ لتوضيح المعنى.

ب ـ الإطالة:

يُعَدُّ أسلوب الإطالة من الأساليب البلاغية البارزة في علم المعاني، الذي يهتم بتوصيل المعنى بأفضل صورة وفقًا لمقتضى الحال. والإطالة ليست مجرد زيادة في الكلمات، بل هي زيادة مُتعمَّدة لها غايات فنية وجمالية تعمل على إثراء النص وتقويته، مما يجعلها أداةً أساسية في يد الأديب والخطيب للوصول إلى تأثير بلاغي عميق.

وقد قسّم البلاغيون الإطالة إلى أنواع عديدةٍ، من أبرزها:

أ ـ الإطالة بالتكرار: أي تكرار الكلمة أو الجملة للتوكيد أو لتحقيق تأثير نفسي، مثال ذلك ما نجده في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿**كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [3] . فالتكرار هنا جاء للوعيد والتأكيد على التحذير.

ب ـ الإطالة بذكر الخاص بعد العام: وهو أنْ تذكر شيئًا عامًا ثم تتبعه بذكر التفاصيل أو الخصائص، ومن أمثلة ذلك ما نجده في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى**﴾ [4]. فذكر "الصلاة الوسطى" بعد "الصلوات" هو إطالة لتوكيد أهمية هذه الصلاة تحديدًا.

ج ـ الإطالة بالتذييل: وهو أن يقطع الكلام جملة مستقلة بعد اكتمال المعنى لتأكيده أو لاستنتاج حكمة منه. مثال ذلك: "أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم، فالطبع عبد للإحسان". فالجملة الثانية "فالطبع عبد للإحسان" هي تذييل يؤكد الحكمة من الجملة الأولى.

د ـ الإطالة بذكر السبب أو النتيجة: إضافة جملة توضح سببًا أو نتيجة للفكرة الرئيسية، كما في قولنا: مثال: "اجتهد في دراستك، لأن الاجتهاد هو مفتاح النجاح."

---

[1] ـ سفر العدد 4/16.

[2] ـ سفر التكوين، 22/44.

[3] ـ سورة التكاثر، آية 4.

[4] ـ سورة البقرة، آية 238.

هـ ـ الإطالة بالشرح والتفصيل: ويكون بتقديم شرح تفصيلي لفكرة ما لتصبح أكثر وضوحًا أو لإبراز جمالها، نحو قولنا: "جاء الرجلُ، الرجلُ الطويلُ القامة، ذو اللحية الكَثَّةِ، الذي يعرفه الجميع". فالصفات الزائدة هنا ليست حشوًا بل هي للتعريف والتخصيص والوصف.

وقد جاءت الإطالة في اللغة العبرية لتؤدي المعاني التي تؤديها في اللغة العربية، على نحو ما نجد في سفر التكوين، نحو: כְּבֹא֤י אֶל־עַבְדְּךָ֙ אָבִ֔י וְהַנַּ֖עַר אֵינֶ֑נּוּ וְנַפְשׁ֕וֹ קְשׁוּרָ֖ה בְּנַפְשֹׁ֥ו... וַיָּמֹת = إذا رجعنا إلى عبدكَ أبينا، ولم يكن الصبي معنا، وحياةُ أبي متعلِّقة بحياته، يموت [1]. فقد حصلت الإطالة هنا في إضافة العبارة: וְהַנַּ֖עַר אֵינֶ֑נּוּ וְנַפְשׁ֕וֹ קְשׁוּרָ֖ה בְּנַפְשֹׁ֥ו = ولم يكن الصبي معنا، وحياةُ أبي متعلِّقة بحياته وقد جاءت الإطالة هنا لتؤكِّدَ ما سيحدث للأب إنْ لم يَعُدْ الصغير إليه، وهنا تفصيلُ إطالةُ ما تمَّ تكثيفه من قَبْلُ حين قالوا: إنْ تركَ الولدُ أباهُ يموتْ

كما نجد الإطالة أيضاً في سفر اللاويين، كما في التركيب: וּבִמְלֹאת֙ יְמֵ֣י טָהֳרָ֔הּ לְבֵ֥ן אֹו֙ לְבַ֣ת תָּבִ֔יא כֶּ֖בֶשׂ= ومتى تُتِمُّ أيام طهورها، لذكرٍ أو أُنثى، تُحضِرُ خروفاً [2]. ففي هذا التركيب أُضيفت جملةُ لذكرٍ أو أنثى للتسوية والتوضيح بين مَنْ وضعت ذكراً وبين مَنْ وَضَعَت أُنثى فيما تقدِّمه كمحرقة بعد إتمامها لأيام التطهير من النِّفاس، ورغم إمكانية حذف هذه الجملة والاستغناء عنها إلاَّ أنَّ السِّياق فَرضَ وجودها لتوضيح الحكم الشرعي بالنسبة للنفساء.

ولعلَّ من المفيد الإشارة في هذا المقام إلى أنَّ أسلوب الإطالة يُعدُّ دليلاً على مرونة اللغة وثرائها، وأداةً بلاغيةً مهمةً يستخدمها الكاتبُ أو الخطيبُ لصبّ أفكاره في قوالب مؤثرة. فالإطالة الفنّية هي التي تحقق "مقتضى الحال" وتلائم السياق، مما يجعل الكلام بليغًا نافذًا إلى القلب والعقل. وإتقان هذا الأسلوب، إلى جانب الإيجاز، هو ما يصنع الفرق بين الكلام العادي والكلام البليغ.

هـ ـ التكرار البلاغي:

يُعَدُّ التكرار من أبرز الظواهر الأسلوبية في اللغة العربية، حيث يُسهم في إبراز المعنى وتوكيده وإضافة طابع جمالي وإيقاعي يؤثر في المتلقي. وعندما يقترن هذا التكرار بأسلوب الشرط، فإنه يخلق بناءً نحويّاً وبلاغيّاً متميزاً، يعمل على تعميق الفكرة وربط الجزاء بالشرط بطريقة تؤكد على العلاقة السببية بينهما، مما يُعطي النص قوةً ووقعاً خاصاً. ومن شواهد ورود هذا النوع من التكرار في اللغة العربية ما نجد ـ مثلاً ـ في القرآن الكريم في قوله تعالى: **مَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه**

[1] ـ سفر التكوين، 30/44.

[2] ـ سفر اللاويين، 6/12.

[1]. هذا النموذج هو قمة التكرار الجمالي؛ إذ تكررت الصيغة الشرطية ذاتها "مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ... يَرَهُ "مع تغيير طفيف خيرًا/شرًا، والغاية هنا توكيد عدالة الله المطلقة في الحساب، حتى في أصغر الأعمال، مع إحداث توازن وتضاد بلاغي رائع.

وهذا ما نجده في اللغة العبرية في سفر الخروج على سبيل المثال، نحو: וְהָיָה, אִם–לֹא יַאֲמִינוּ לָךְ, וְלֹא יִשְׁמְעוּ, לְקֹל הָאֹת הָרִאשׁוֹן––וְהֶאֱמִינוּ, לְקֹל הָאֹת הָאַחֲרוֹן .וְהָיָה, אִם–לֹא יַאֲמִינוּ גַּם לִשְׁנֵי הָאֹתוֹת הָאֵלֶּה, וְלֹא יִשְׁמְעוּן, לְקֹלֶךָ––וְלָקַחְתָּ מִמֵּימֵי הַיְאֹר, וְשָׁפַכְתָּ הַיַּבָּשָׁה וְהָיוּ הַמַּיִם אֲשֶׁר תִּקַּח מִן-הַיְאֹר, וְהָיוּ לְדָם בַּיַּבָּשֶׁת = فَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوكَ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ الآيَةِ الأُولَى، أَنَّهُمْ يُصَدِّقُونَ صَوْتَ الآيَةِ الأَخِيرَةِ. وَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ، وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِكَ، أَنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ؛ فَتَصِيرُ المِيَاهُ الَّتِي تَأْخُذُهَا مِنَ النَّهْرِ دَمًا على اليَابِسَةِ" [2].

فهنا استُعْمِلَ التكرارُ لتعداد الآياتِ المعجزات التي تثبت أنَّ الربَّ قادرٌ على أنْ يجعلَهم يؤمنون. وقد أفاد البرهانَ والتأكيدَ على قدرة الرَّبِ، فجاءَ التكرارُ لإثباتِ البناءِ الدّلالي من خلال إعادة بنية معيَّنة مع تغيُّر مفرداتها الدلالية بين تركيب وآخر.

وفي سفر التكوين، نحو: וַיְהִי רָעָב בָּאָרֶץ; וַיֵּרֶד אַבְרָם מִצְרַיְמָה לָגוּר שָׁם, כִּי כָבֵד הָרָעָב בָּאָרֶץ. וַיְהִי כַּאֲשֶׁר הִקְרִיב לָבוֹא מִצְרָיְמָה, וַיֹּאמֶר אֶל שָׂרַי אִשְׁתּוֹ: הִנֵּה נָא יָדַעְתִּי, כִּי אִשָּׁה יְפַת מַרְאֶה אָתְּ. וְהָיָה כִּי יִרְאוּ אֹתָךְ הַמִּצְרִים, וְאָמְרוּ: אִשְׁתּוֹ זֹאת; וְהָרְגוּ אֹתִי, וְאֹתָךְ יְחַיּוּ. אִמְרִי נָא, אֲחֹתִי אָתְּ; לְמַעַן יִיטַב לִי בַּעֲבוּרֵךְ, וְחָיְתָה נַפְשִׁי בִּגְלָלֵךְ.וַיְהִי כְּבוֹא אַבְרָם מִצְרָיְמָה; וַיִּרְאוּ הַמִּצְרִים אֶת הָאִשָּׁה, כִּי יָפָה הִוא מְאֹד= وحدث جوع في الأرض، فنزل أبرام إلى مصر ليتغرب هناك، لأن الجوع كان شديدًا في الأرض. ولما قرب أن يدخل مصر، قال لساراي امرأته: "إني قد علمت أنك امرأة جميلة المنظر"".فإذا رآك المصريون قالوا: هذه امرأته. فيقتلونني ويستبقونك"".قولي إذن: أنا أخته، ليحسن إليَّ بسببك، وتحيا نفسي من أجلك".ولما دخل أبرام مصر، رأى المصريون المرأة أنها جميلة جدًا [3].

ويُستخدمُ أسلوبُ الشرطِ مع التكرار أيضاً في اللغة العربية – ومنها القرآن الكريم – **لاستقصاء** جميع الاحتمالات وتغطية كلِّ الحالات الممكنة، ممَّا يُعْطِي معنى الشمول والعمق البلاغي. وهذا الأسلوب يُظهر براعة في التعبير ويؤكد على الفكرة من خلال تعدد الصيغ، ومن شواهد ذلك في اللغة العربية ما

---

[1] ـ سورة الزلزلة، آية 7.

[2] ـ سفر الخروج 4/ 8 ـ 9.

[3] ـ سفر التكوين 12/ 10 ـ 14.

نجده في قوله تعالى: فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ [1]، فهنا نجد أنَّ القرآن الكريم استخدم أسلوب الشرط المتكرر أَمَّا إِن كَانَ لاستقصاء جميع حالات الإنسان بعد الموت: فإنْ كان من المقرَّبين، فله الجزاء الأول، وإنْ كان من أصحاب اليمين، فله الجزاء الثاني، وإنْ كان من المكذِّبين الضالين، فله العقاب. فهذا التكرار يغطي كل الاحتمالات، ويؤكد على استقصاء جميع الفئات دون استثناء، مما يعطي قوةً بلاغيةً وتأكيدًا على عدل الله في الجزاء.

وأسلوب الاستقصاء هذا نجده في اللغة العبرية كما في سفر التكوين على سبيل المثال، نحو: כִּי תִקְנֶה עֶבֶד עִבְרִי, שֵׁשׁ שָׁנִים יַעֲבֹד; וּבַשְּׁבִעִת--יֵצֵא לַחָפְשִׁי, חִנָּם. אִם-בְּגַפּוֹ יָבֹא, בְּגַפּוֹ יֵצֵא; אִם-בַּעַל אִשָּׁה הוּא, וְיָצְאָה אִשְׁתּוֹ עִמּוֹ. אִם-אֲדֹנָיו יִתֶּן-לוֹ אִשָּׁה, וְיָלְדָה לוֹ בָנִים אוֹ בָנוֹת--הָאִשָּׁה וִילָדֶיהָ, תִּהְיֶה לַאדֹנֶיהָ, וְהוּא, יֵצֵא בְגַפּוֹ.וְאִם-אָמֹר יֹאמַר, הָעֶבֶד: אָהַבְתִּי אֶת-אֲדֹנִי, אֶת-אִשְׁתִּי וְאֶת-בָּנָי--לֹא אֵצֵא, חָפְשִׁי= "إذا اشتريت عبدًا عبريًا، ست سنوات يعمل؛ وفي السابعة يخرج حرًا مجانًا، و"إن دخل وحده، يخرج وحده؛ وإنْ كان صاحب امرأة، تخرج امرأته معه و"إن أعطاه سيده امرأة فولدت له بنين أو بنات، فالمرأة وأولادها يكونون لسيده، وهو يخرج وحده و"وإن قال العبد: أحببت سيدي وامرأتي وأولادي، لا أخرج حرًا [2].

إنَّ تكرار التراكيب الشرطية المذكورة آنفاً استقصت كل حالات الحكم الشرعي المتعلِّقة بالعبد العبراني، وبيَّنت أنَّ الأحكامَ المطبَّقة عليه تختلف باختلاف وضعه. وقد جاءت التراكيب الشرطية مرتبطة بعضها ببعض عن طريق العطف.

فالمتأمِّلُ للفقرات السابقة يجد أنَّ تكرار التراكيب الشرطية أفاد مجموعةَ من الأمور، أولها: قَصْرُ الحُكْمِ على العبد العبراني دون غيره من العبيد. وثانيها: أنَّ العبدَ العبرانيَّ إذا اشتراه سيِّدُهُ بمفرده يحرِّره بمفرده، أمَّا إذا اشتراه هو وزوجته فإنَّه يحررهما معاً. وثالثها: إذا اشترى السّيِّدُ العبدَ بمفرده، ثمَّ وهبهُ زوجةً وأنجبَ العبدُ منها أطفالاً، فعند تحريره يُحَرَّرُ بمفرده بدون أسرته. ورابعها: إذا آثرَ العبدُ البقاءَ مع سيِّده يصبحُ عبداً مدى الحياة.

ومن شواهد التكرار البلاغي لأسلوب الشرط، الذي يفيد الاستقصاء أيضاً ما نجده في سفر اللاويين:

[1] ـ سورة الواقعة، الآيات 87 ـ 95.

[2] ـ سفر الخروج 21/ 2ـ5.

כִּי־יָמוּךְ אָחִיךָ וּמָכַר מֵאֲחֻזָּתוֹ וּבָא גֹּאֲלוֹ הַקָּרֹב אֵלָיו וְגָאַל אֶת־מִמְכַּר אָחִיו: כהכו וְאִישׁ כִּי לֹא יִהְיֶה־לּוֹ גֹּאֵל וְהִשִּׂיגָה יָדוֹ וּמָצָא כְּדֵי גְאֻלָּתוֹ: וְחִשַּׁב אֶת־שְׁנֵי מִמְכָּרוֹ וְהֵשִׁיב אֶת־הָעֹדֵף לָאִישׁ אֲשֶׁר מָכַר־לוֹ וְשָׁב לַאֲחֻזָּתוֹ: וְאִם לֹא־מָצְאָה יָדוֹ דֵּי הָשִׁיב לוֹ וְהָיָה מִמְכָּרוֹ בְּיַד הַקֹּנֶה אֹתוֹ עַד שְׁנַת הַיֹּבֵל וְיָצָא בַּיֹּבֵל וְשָׁב לַאֲחֻזָּתוֹ= إذا افتقر أخوك وباع شيئاً من ملكه، يأتي قريبه الذي له حق الفداء ويفدي بيع أخيه .وإن لم يكن لإنسان من يفدي له، ولكن بلغت يده وكفاها لفدائه، يحسب سني بيعه ويرد الفضل للرجل الذي باع له، فيرجع إلى ملكه . وإن لم تبلغ يده ما يكفي لردها له، يكون بيعه في يد الذي اشتراه إلى سنة اليوبيل، ويخرج في اليوبيل ويرجع إلى ملكه [1] .

فالمتمعِّنُ في الفقرات السابقة يجد أنَّ تكرار التراكيب الشرطية أفاد استقصاء حال من افتقرَ، كما بيَّن الأحكام التي يجب أنْ تُطبَّق عليه.

و ـ الإيقاع الموسيقي:

أسلوب الشرط من الأساليب البلاغية البارزة في اللغة العربية، وهو لا يقتصر على المعنى النحوي فحسب، بل يحمل إيقاعًا موسيقيًّا خاصًّا يعكس دقة العربية وجمالها، ويعتمد هذا الإيقاع على عناصر مثل التكافؤ الصوتي، والتوازن في طول الجُمَل، واستخدام أدوات الشرط ذات الأوزان الصوتية المميزة، مما يُعطي النصَّ حيويةً وتأثيرًا بلاغيًّا قويًّا. ومن شواهد ذلك ما نجده في القرآن الكريم في قوله تعالى: **يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** [2] .فالإيقاع هنا يكمن في تكرار أداة الشرط "كلما" و "إذا "مع توازن في الجُمَل: كلما أضاء لهم مشوا فيه. وإذا أظلم عليهم قاموا فالتكرار والتوازي يعطيان إيقاعًا متكررًا يشبه الحركة المتعاقبة للبرق. هذا الإيقاع من شأنه إذا تكرَّر في النص أنْ يخلقَ نغماً موسيقياً ينبع من تكرار نماذج بعينها من التراكيب الشرطية؛ الأمر الذي يخلق بعداً موسيقياً رتيباً يجذب المتلقي إلى المعنى العميق للشرط في تلك التراكيب.

وهذا الأمر نجده في اللغة العبرية، ومن الشواهد على ذلك ما نجده في مواضع عديدة من أسفار التوراة، نذكر منها على سبيل المثال، وليس الحصر:

[1] ـ سفر اللاويين 25/ 25ـ28.

[2] ـ سورة البقرة، الآية 20.

אִם־יֶשְׁךָ מְשַׁלֵּחַ אֶת־אָחִינוּ אִתָּנוּ נֵרְדָה וְנִשְׁבְּרָה לְךָ אֹכֶל.וְאִם־אֵינְךָ מְשַׁלֵּחַ לֹא נֵרֵד כִּי־הָאִישׁ אָמַר אֵלֵינוּ: לֹא־תִרְאוּ פָנַי בִּלְתִּי אֲחִיכֶם אִתְּכֶם= إذا كنت ترسل أخانا معنا، ننزل ونبتاع لك طعامًا، وإذا كنت لا ترسل، لا ننزل لأنَّ الرجلَ قال لنا: لا ترونَ وجهي إلا إذا كان أخوكم معكم [1].

فقد أثار تكرار الوزن الموسيقي للتراكيب الشرطية ـ في الفقرات المذكورة آنفاً ـ انتباه المتلقي، وحفَّز ذهنه لمتابعة النص ومعرفة المزيد من الأحداث، وما آلت إليه القصَّة، بل وصل الأمر إلى حدِّ تخمين الجواب قبل الوصول إليه.

نتائج البحث:

من خلال ما تقدَّم نخلص إلى مجموعة من النتائج يمكن تلخيصها بالآتي:

1ـ التركيب الشرطي ـ في اللغتين العربية والعبرية ـ ليس مجرد أداة للتعبير عن العلاقات المنطقية والسببية، بل يُعد نظامًا نحويًا متقنًا يتَّسِمُ بمرونة عالية تتيح إعادة توزيع عناصره كالتقديم والتأخير، والحذف، والاعتراض لتحقيق أبعاد جمالية وتأثير بلاغي.

2 ـ يُسهم تغيير الترتيب التقليدي: أداة الشرط ← جملة الشرط ← جملة الجواب ـ في اللغتين العربية والعبرية ـ في خلق التأكيد والتشويق، كما يُبرزُ أهمية عناصر الجملة وفقًا لسياق النص ورؤية المتكلم، وهو مُوجّه بدوافع جمالية ونفسية، مثل لفت انتباه المتلقي أو تعظيم تأثير الجواب.

3 ـ حذف أداة الشرط أو جوابه ـ في اللغتين العربية والعبرية ـ يُضفي إيجازًا وقوة تعبيرية، ويعتمد على السياق والفهم الضمني للمتلقي، ممَّا يُحفّز التفاعل الذهني ويخلق ديناميكية في النص. فالحذف يُستخدم لتجنب التكرار غير الضروري، مع الحفاظ على الوضوح الدلالي.

4 ـ إنَّ الاعتراض والتوسيع في نظام الجملة العربية والعبرية يكمن في إدخال جمل اعتراضية أو توسيع الجملة الشرطية؛ ممَّا يضيفُ تفاصيلَ توضيحيةً أو دراميةً، ويعمقُ المعنى ويؤكِّدُ على العلاقات السببية، كما يُثري هذا الأسلوب النصَّ بطابع حيوي ويجعلُ التركيبَ أكثرَ تشويقًا وغنىً دلاليًا.

5 ـ التكثيف ـ في اللغتين العربية والعبرية ـ يركّزُ المعاني في ألفاظ قليلة، ممَّا يعزِّزُ القوة التعبيرية ويجذب الانتباه عبر الإيجاز المُؤثر. كذلك الإطالة تُستخدمُ لتوضيح الأفكار أو التأكيد عليها عبر التفصيل أو التكرار أو التذييل، ممَّا يخدم السياق ويُعمّق التأثير البلاغي.

[1] ـ سفر التكوين 43/ 4 ـ 5.

6 ـ تكرار التراكيب الشرطية ـ في اللغتين العربية والعبرية ـ يُستخدمُ لاستقصاء الاحتمالات أو التأكيد عليها، وقد يُحْدِثُ التكرارُ توازنًا إيقاعيًا ويعزِّزُ الوحدة الموضوعية، مِمَّا يَخْلَقُ تناغمًا جماليًا ويُسهّل استيعاب الرسالة.

7ـ التركيب الشرطي ـ في اللغتين العربية والعبرية ـ يُنتج إيقاعًا داخليًا عبر توازن الجمل وتكرار الأدوات، مما يضفي نغمة موسيقية تجذب المتلقي وتزيد من انغماسه في النص، وهذا الإيقاع يُعزِّزُ الانسجامَ بين الشكل والمحتوى، ويجعل النص أكثر حيوية وتأثيرًا.

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم

[1]ـــــ **الكتاب المقدَّس**. (1970)، *العهد القديم والجديد*، دار الكتاب المقدَّس، دار حلمي للطباعة، القاهرة.

[2]ـ **الأندلسي، أبو حيَّان،** (1998) ، *ارتشاف الضرب من لسان العرب*، تحقيق: رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.

[3]ـ **أبو حميدة، محمد صلاح،** (1996) ، *القضايا البلاغية والأسلوبية في مفتاح العلوم للسكاكي*، رسالة دكتوراه، القاهرة، جامعة القاهرة.

[4]ـــــ **ابن الأنباري، أبو البركاتت:577هـ، (1982)**، *الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين*، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة.

[5]ـ **التهانوي، محمد علي،**(1996)، *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، تحقيق: علي دحروج وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1.

[6]ـ **الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف ت: 816هـ**، معجم *التعريفات*، تحقيق ودراسة: محمد صدِّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د.ت.

[7]ـ **الجرجاني، عبد القاهر الجرجاني،**(2007)، *دلائل الإعجاز*، تحقيق: محمد رضوان الداية وفايز الداية، دمشق، دار الفكر، ط1.

[8]ـ **جواد، مصطفى،** (1955) *المباحث اللغوية في العراق*، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، مطبعة لجنة البيان العربي.

[9]ـ **ديوان الشنفري،** (1996)، جمعه وحقَّقه وشرحه: د. إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ط2.

[10]ـ ديوان الخطيئة برواية وشرح ابن السكيت 186 ـ 246هـ، دراسة وتبويب: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ/ 1993م.

[11]ـ **السامرائي، فاضل صالح،**(1990)، *معاني النحو*، نشر وزارة التعليم العالي، بغداد.

[12]ـــــ **السعيد، بوعبد الله،**(2012)، *أنماط الجملة الشرطية في الأحاديث النبوية صحيح البخاري نموذجا*، جامعة مولود معمري ـ تيزي وزو، الجزائر.

[13]ـ **سيبويه،** (1988) *الكتاب*، تحقيق: عبد السلام هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية.

[14]ـ **شلبي، د. سعد إسماعيل،** *الأصول الفنية للشعر الجاهلي*، مكتبة غريب، الفجالة، القاهرة، ط2، د. ت.

[15] ـ **عبابنة، د. يحيى،** (2015)، *النحو العربي المقارن في ضوء اللغات السامية واللهجات العربية القديمة*، دار الكتاب الثقافي، إربد، ط1.

[16] ـ **عبد المجيد، محمد بحر،** (1977)، *بين العربية ولهجاتها والعبرية*، منشورات كلية الآداب، جامعة عين شمس.

[17]ـ **الغلاييني، مصطفى،** (2010)، *جامع الدروس العربية*، تحقيق: علي سليمان شبارة، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى.

[18]ـ **ابن فارس، أحمد،**(1981)، *مقاييس اللغة*، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر.

[19]ـ **الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب مجد الدين،**(2005)، *القاموس المحيط*، تحقيق: نحمد نعيم العرقسوسي، مكتبة الرسالة، الطبعة الثامنة.

[20]ـ **قوجمان،** (1970)، *قاموس عبري . عربي*، دار الجيل، بيروت، مكتبة المحتسب، عمان.

[21]ـ **المخزومي، مهدي،**(1986)، *في النحو العربي نقد وتوجيه*، دار الرائد العربي، ط2، بيروت.

المراجع العبرية

[1] כתב – אפשטיין- ינאי، מילי، הקורא המדמיין את תפקידו- הלכה ומעשה، חלקת לשון – עת לטיפוח החינוך הלשוני،(1995).

[2] זימר، י، עולם כמנהגו נוהג: פרקים בתולדות המנהגים، הלכותיהם וגלגוליהם، ירושלים. (1996)

العقلانية العلمية ونقد التقدم التراكمي في فلسفة لاري لودان

محمد مصطفى بشو [*]
د. جلال بدلة [**]
د. شفيقة الشعار [***]

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى طرح إشكالية العقلانية العلمية وطبيعة التقدم في العلم كما تكمن في فلسفة Larry Laudan في إطار النقاشات الإبستمولوجية التي شهدتها فلسفة العلم في القرن العشرين. فقد شهدت هذه الفترة تحولات عميقة في فهم طبيعة النشاط العلمي ومعاييره العقلانية، خاصة بعد النقد الذي وجه إلى التصورات التقليدية التي كانت تربط التقدم العلمي بتراكم الحقائق واقتراب النظريات من الصدق. وفي هذا السياق، قدم لودان تصوراً مختلفاً يعيد بناء مفهوم العقلانية العلمية بناءً على قدرة النظريات والتقاليد البحثية على حل المشكلات. كما يهدف البحث إلى إبراز كيفية إعادة لودان النظر في العلاقة التقليدية بين العقلانية والتقدم والصدق، حيث يرفض الربط الضروري بين هذه المفاهيم. ويؤكد أن التقدم العلمي قد يتحقق حتى في غياب الاحتفاظ التراكمي بالمحتوى النظري السابق. ويبرز هذا التصور الطابع الديناميكي للتطور العلمي، حيث يتقدم العلم من خلال تحسين قدرته على تفسير الظواهر ومعالجة الإشكالات النظرية والعملية، وليس فقط من خلال التقدم التراكمي البسيط للمعرفة أو الاقتراب المتزايد من الصدق. ويخلص البحث إلى أن فلسفة لودان تقدم تصوراً بديلاً يعتمد على معيار حل المشكلات كأساس لتقييم النظريات والتقاليد البحثية.

الكلمات المفتاحية: العقلانية العلمية، التقدم التراكمي، تقاليد البحث ، حل المشكلات

[*] **طالب دراسات عليا دكتوراه. اختصاص ابستمولوجيا ـ قسم الفلسفة ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة اللاذقية ـ سوريا.**
البريد الإلكتروني: Mohammad.bisho@latakia.univ.edu.sy
[**] **أستاذ مساعد ـ قسم الفلسفة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة اللاذقية ـ سوريا.**
البريد الإلكتروني: badlehjalal@yahoo.com
[***] **مدرس ـ قسم الفلسفة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة اللاذقية ـ سوريا.**
البريد الإلكتروني: chafikacha.yahoo.com

Scientific rationality and the critique of cumulative progress in the philosophy of Larry Laudan

Mohammed Mustafa Bisho[*]
Dr. Jalal Badleh[**]
[***] **Shaar-Dr. Shafikah Al**

ABSTRACT

This research aims to address the problem of scientific rationality and the nature of scientific progress as it lies in the philosophy of Larry Laudan, within the framework of the epistemological debates that characterized the philosophy of science in the twentieth century. This period witnessed profound shifts in the understanding of the nature of scientific activity and its rational criteria, particularly after the critique of traditional conceptions that linked scientific progress to the accumulation of facts and the approach of theories to truth. In this context, Laudan presented a different conception that reconstructs the notion of scientific rationality based on the ability of theories and research traditions to solve problems. The research also aims to highlight how Laudan reconsidered the traditional relationship between rationality, progress, and truth. He rejects the necessary link between these concepts. He asserts development, where science advances by improving its ability to explain phenomena and address theoretical and practical problems, not merely through the simple accumulation of knowledge or an increasing approach to truth. The research concludes that Ludin's philosophy that scientific progress can be achieved even without the cumulative retention of previous theoretical content. This perspective highlights the dynamic nature of scientific offers an alternative perspective that relies on problem-solving as the basis for evaluating theories and research traditions.

Keywords: scientific rationality, cumulative progress, Research traditions, Problem solving .

[*]**PhD Candidate, Epistemology – Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University, Syria.**
Email: Mohammad.bisho@latakia.univ.edu.sy
** **Associate Professor — Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University, Syria.**
Email: badlehjalal@yahoo.com
*** **Assistant Professor — Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University, Syria.**
l: chafikacha.yahoo.comEmai

مقدمة

تعد مسألة العقلانية العلمية وطبيعة التقدم في العلم من أبرز الإشكاليات التي شغلت فلاسفة العلم في القرن العشرين، حيث شهدت هذه الفترة تحولات كبيرة في فهم طبيعة المعرفة العلمية ومعايير تقييمها. فقد كانت الفلسفات التقليدية ترى أن التقدم العلمي يتحقق من خلال التقدم التراكمي للمعرفة والاقتراب من الصدق، لكن مع ظهور اتجاهات فلسفية جديدة، بدأ الفكر الفلسفي في إعادة النظر في هذه الأفكار، وتقديم تصورات بديلة حول كيفية تطور العلم وأسسه العقلانية.

ومن بين هذه التصورات الفلسفية، ظهرت أطروحات متنوعة لتفسير تاريخ العلم وآليات تطوره. البعض اعتبر أن التقدم العلمي يعتمد على مبدأ التكذيب واختبار الفرضيات، بينما رأى آخرون أنه انتقال بين نماذج إرشادية متعاقبة. بالإضافة إلى ذلك، هناك من أشار إلى الطابع التاريخي والاجتماعي للنشاط العلمي. هذه النقاشات أسهمت في إعادة صياغة العديد من المفاهيم الإبستمولوجية المرتبطة بالمعرفة العلمية مثل الصدق والعقلانية والتقدم العلمي، ما فتح المجال لرؤى جديدة تتجاوز التصورات الكلاسيكية التي ربطت التقدم بتراكم المعرفة.

من بين الفلاسفة الذين أسهموا في هذا النقاش بشكل مهم، يأتي لاري لودان، الذي قدم رؤية متميزة لطبيعة التقدم العلمي من خلال نظريته حول تقاليد البحث. سعى لودان إلى تجاوز الصعوبات التي واجهتها النظريات السابقة في تفسير تاريخ العلم، مقترحاً إطاراً تحليلياً جديداً يعتبر العلم نشاطاً لحل المشكلات. في هذا الإطار، لا يتم تقييم النظريات العلمية بناءً على مدى صدقها أو قربها من الصدق، بل على قدرتها على حل المشكلات الإمبيريقية والتصورية مقارنة بالنظريات المنافسة.

بذلك، يعيد لودان بناء مفهوم العقلانية العلمية بناءً على معيار براغماتي يرتبط بفاعلية النظريات في حل المشكلات بدلاً من ارتباطه التقليدي بمعيار الصدق. كما ينتقد فكرة أن التقدم العلمي يتطلب الاحتفاظ التراكمي بالمحتوى المعرفي للنظريات السابقة، موضحاً أن تاريخ العلم مليء بالحالات التي تم فيها التخلي عن نظريات ناجحة جزئياً لصالح نظريات جديدة أكثر قدرة على تفسير الظواهر وحل الإشكالات العلمية.

وبناءً على هذا التصور، يصبح التقدم العلمي في نظر لودان عملية ديناميكية تتحقق من خلال تحسين القدرة التفسيرية للنظريات وزيادة فعاليتها في حل المشكلات المطروحة داخل إطار تقاليد البحث المختلفة. إذ يعتبر لودان أن نظريات الميثودولوجيا هي نشاط علمي بحد ذاته، ويجب دراسة تطور الميثودولوجيا العلمية من خلال النظر إلى كتابات العلماء وليس الفلاسفة. بمعنى أخر لا يقصي دور الفلاسفة، بل يدعو إلى تحويل الميثودولوجيا إلى نظام إمبيريقي، الهدف من هذا التحويل هو حل

المشكلات. وأن القواعد المنهجية يجب أن تختبر بناء على نجاحها التاريخي والتجريبي، يدعو إلى جعل فلسفة العلم دراسة إمبيريقية لتاريخ العلم. كما يرى أن التغييرات التي تحدث في المعتقدات المنهجية ينبغي أن تعود إلى العلم نفسه وليس إلى الميتافيزيقا أو الإبستمولوجيا، مما يبرز الأولوية التبريرية للعلم على فلسفة العلم.

في النهاية، يصبح هدف العلم في نظر لودان هو حل المشكلات الإمبيريقية والتصورية، وهذا يمثل الانطلاق الحقيقي للتقدم العلمي. هذا التوجه يتماشى تماماً مع ميثودولوجيته وإبستمولوجيته العلمية المعاصرة، حيث تعتمد النظريات الإبستمولوجية على فلسفات العلم، وتشكل الأفكار الميثودولوجية مصدراً رئيساً للنظريات الإبستمولوجية.

فإذا تمكنت نظرية ما من تقديم حل على نحو ملائم لأكبر عدد من المشكلات ذات الأهمية الأعظم تصبح هذه النظرية أفضل من غيرها. انطلاقاً من ذلك، يسعى هذا البحث إلى تحليل مفهوم العقلانية العلمية والتقدم التراكمي في فلسفة لاري لودان، مع التركيز على الدور الذي يلعبه نموذج حل المشكلات في تفسير تطور المعرفة العلمية. كما يحاول البحث إبراز الكيفية التي أعاد بها لودان صياغة العلاقة بين العقلانية والتقدم العلمي، من خلال تقديم بديل إبستمولوجي للتصورات التراكمية التقليدية. ومن ثم يهدف هذا التحليل إلى الكشف عن القيمة الفلسفية لنظرية تقاليد البحث في فهم تاريخ العلم وآليات تطوره، وإبراز إسهامها في تطوير النقاشات المعاصرة في فلسفة العلم.

أولاً- أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث من أنه يتناول إحدى القضايا الرئيسية في فلسفة العلم المعاصرة، وهي طبيعة العقلانية العلمية ومعايير التقدم التراكمي للمعرفة العلمية. كما يبرز البحث إسهام لاري لودان في تجديد النقاش الإبستمولوجي عبر تقديمه تصوراً بديلاً للتقدم العلمي يعتمد على منهجية حل المشكلات بدلاً من التصورات التقليدية التي تركز على التقدم التراكمي.

تكمن أهمية البحث أيضا في توضيح التحول الذي شهدته فلسفة العلم في القرن العشرين، حيث انتقل التركيز من البحث عن معيار ثابت للحقيقة إلى تحليل كيفية تطور العلم وتقييم النظريات بناءً على قدرتها على معالجة المشكلات العلمية. وبذلك، يساعد البحث في تقديم فهم أعمق لطبيعة التطور العلمي ودور العقلانية في توجيه مسار البحث العلمي داخل التقاليد البحثية المختلفة.

ثانيا"- هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة مفهوم العقلانية العلمية وطبيعة التقدم التراكمي في فلسفة لاري لودان، من خلال تحليل نظرية تقاليد البحث التي قدمها كإطار إبستمولوجي جديد لفهم تطور العلم. كما يسعى البحث إلى توضيح كيفية إعادة صياغة لودان للعلاقة بين العقلانية والتقدم العلمي، وذلك عبر استبدال معيار الصدق بمعيار حل المشكلات في تقييم النظريات العلمية. ويهدف البحث أيضاً إلى تسليط الضوء على رفض لودان لمعيار الصدق وتحديده لدرجة نجاح النظريات العلمية وقدرتها على تحقيق التقدم، مع إبراز نقده للتصورات التقليدية التي تربط التقدم العلمي بالتراكم المعرفي أو بالاقتراب التدريجي من الصدق.

ثالثاً – منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على **المنهج التحليلي النقدي** لدراسة مفهوم العقلانية العلمية وطبيعة التقدم التراكمي في فلسفة لاري لودان. ويقوم هذا المنهج على تحليل المفاهيم الأساسية التي تشكل الإطار النظري لفلسفة لودان، مثل مفهوم تقاليد البحث، ومفهوم حل المشكلات، والعلاقة بين العقلانية والتقدم العلمي، من خلال قراءة نصوصه الفلسفية وتحليل مضامينها الإبستمولوجية.

كما يستعين البحث **بالمنهج التاريخي** للكشف عن السياق الفلسفي الذي نشأت فيه أفكار لودان، من خلال تتبع تطور النقاشات التي شهدتها فلسفة العلم في القرن العشرين حول طبيعة العقلانية العلمية ومعايير التقدم التراكمي في المعرفة العلمية. يساعد هذا المنهج في فهم الخلفية الفكرية التي دفعت لودان إلى نقد التصورات التقليدية التي تربط التقدم العلمي بالتراكم المعرفي أو بالاقتراب من الحقيقة.

إلى جانب ذلك، يعتمد البحث على **المنهج المقارن في بعض المواضع**، من خلال الإشارة إلى الاختلافات بين تصور لودان وبعض التصورات الفلسفية الأخرى في فلسفة العلم، خاصة فيما يتعلق بمعايير تقييم النظريات العلمية وطبيعة التقدم العلمي. يهدف هذا التحليل إلى إبراز الخصوصية الإبستمولوجية لمشروع لودان وإظهار إسهامه في إعادة بناء مفهوم العقلانية العلمية على أساس قدرة النظريات على حل المشكلات الإمبيريقية والتصورية.

من خلال هذه المناهج، يسعى البحث إلى تقديم تحليل فلسفي متكامل يوضح الأسس النظرية التي تقوم عليها فلسفة لودان، مع إبراز دور نموذج حل المشكلات في تفسير التقدم العلمي وإعادة صياغة العلاقة بين العقلانية والتطور المعرفي في العلم.

رابعاً – والدراسات السابقة

نظراً لما تكتسبه الدراسات السابقة من أهمية كبيرة لأي بحث من خلال كونها الموجه الأساسي لمجرياته والضابط المنهجي له وتمثل بدورها ركيزة انطلاق للباحث تعرفه أكثر بمجريات البحث ومتطلباته المنهجية لدراسة موضوع ما عن غيره ومن هذا المنطلق يوجد حسب علم الباحث أبحاث علمية أكاديمية عن فلسفة لاري لودان على الشكل التالي:

الدراسة الأولى: للدكتور السيد نفادي بعنوان: التقدم العلمي ومشكلاته، ناشر مجلة عالم الفكر م29، عدد،2، 2000.

الدراسة مقسمة إلى أربعة محاور. تناولت الدراسة في المحور الأول والثاني التقدم العلمي وعوائقه. حيث يعني بصفة عامة التقدم حركة للأمام ولا سيما تجاه هدف محدد سلفاً. أما التقدم العلمي فيعني بالمثل حركة للأمام في حدود المعرفة العلمية. في المحور الثالث تناول التقدم العلمي بين التراكم والثورة. في هذا المحور يرى أن البنية المفهومية للعلم لا تطور عن طريق رصانة جديدة للغة القديمة، أي عن طريق تراكم ثابت لمفردات جديدة، وإنما تطور اللغة العلمية هو مثل تطور الوقائع والفروض. أي تلك الثورات التي لا تأتي بمفاهيم جديدة لظواهر ومشكلات علمية جديدة فحسب، وإنما تأتي أيضاً بمعاني جديدة لظواهر ومشكلات علمية قديمة. تناول في المحور الرابع عدة نماذج في التقدم العلمي منها: نموذج كارناب وتأييد النظريات، ونموذج بوبر وتكذيب النظريات، ونموذج كون والثورات العلمية، وعرض نموذج لاكاتوش وبرامج الأبحاث، وصولاً إلى نموذج لاري لودان في حل المشكلات العلمية. لذا يرى أن لودان يذهب إلى أن دراسات التطور التاريخي للعلم قد أسهمت في توضيح أن أي نموذج معياري للعقلانية العلمية لابد أن يشتمل على المصادر التي تبني أن العلم كان مشروعاً عقلانياً واسعاً. وأنه يتوصل إلى مصطلحات ذات ملامح ثابتة معينة للتطور العلمي. **النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة**

توصلت الدراسة إل1- أن التقدم العلمي يمثل حركة مستمرة نحو تطوير المعرفة العلمية وتحقيق أهدافه.

2-أكدت أن التقدم العلمي لا يتحقق بالتراكم المعرفي وحده، بل يعتمد أيضاً على الثورات العلمية التي تحدث تغييرات جوهرية في المفاهيم والنظريات.

3-بينت أن الثورات العلمية لا تقدم مفاهيم جديدة فحسب، بل تعيد تفسير الظواهر والمشكلات العلمية القديمة بمعان جديدة.

4-أوضحت أن هناك عدة نماذج فلسفية لتفسير التقدم العلمي، منها نماذج كارناب، وبوبر، وكون، ولاكاتوش، ولاري لودان، ولكل منها رؤية مختلفة لتطور العلم.

5-خلصت الدراسة إلى أن نموذج لاري لودان يعد من أكثر النماذج شمولاً، إذ يربط التقدم العلمي بقدرة النظريات على حل المشكلات العلمية، ويرى أن التاريخ العلمي يبرهن على أن العلم مشروع عقلاني يتطور وفق معايير واضحة وثابتة نسبياً.

الدراسة الثانية: للدكتورة فاطمة إسماعيل بعنوان: معضلة التقدم العلمي، ناشر حلقات جدل، د.ت.

تهدف الدراسة إلى تقديم مقاربة ميثودولوجيا تقاليد البحث عند كل من لودان وتوماس كون وإمري لاكاتوش.

تضيء الدراسة بشكل مباشر على سيرورة التقدم العلمي. كما تطرقت الدراسة بصورة أساسية إلى النقد الموجه لنظرية النماذج العلمية عند توماس كون، ونظرية برامج الأبحاث عند لاكاتوش والفكر النسبوي. **النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة**

توصلت الدراسة إلى1- أن التقدم العلمي يفهم بصورة أفضل من خلال تقاليد البحث كما عرضها كل من لاري لودان، وتوماس كون، وإمري لاكاتوش.

2-أكدت أن سيرورة التقدم العلمي عملية معقدة وديناميكية، ولا يمكن تفسيرها من خلال منظور فلسفي واحد.

3-بينت الدراسة أن نظرية النماذج العلمية عند توماس كون تعرضت لانتقادات تتعلق بتفسيرها لطبيعة التغير العلمي والثورات العلمية.

4-أوضحت أن نظرية برامج الأبحاث عند لاكاتوش تمثل محاولة لتفسير تطور المعرفة العلمية، إلا أنها واجهت أيضاً عدداً من الانتقادات.

5-خلصت الدراسة إلى أن الفكر النسبوي يثير إشكاليات تتعلق بمعايير الموضوعية والعقلانية في تقييم التقدم العلمي، مما يستدعي تبني مقاربة منهجية أكثر شمولاً لفهم تطور العلم.

الدراسة الثالثة: للدكتور أحمد عبد الفتاح محمد أبوعلي بعنوان: إشكالية التقدم العلمي دراسة في فلسفة لاري لودان، ناشر وجهات نظر، د.ت.

تهدف الدراسة في تقديم رؤية نقدية للاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم وعلى رأسها الوضعية المنطقية وما بعد الوضعية أي النسبوية. تكمن أهمية الدراسة بأن هدف العلم عند لودان هو حل مشكلة ما، يفسر فكرة التقدم العلمي فيفترض بأن العلم تقدمي وأن هذا التقدم يمكن أساساً في الاختبار بين النماذج المتنافسة. تقدم الدراسة ايضاً مفهومين جديدين فكرة العقلانية العلمية وفكرة التقدم والطبيعة المعيارية. تتضمن هذه الدراسة نقطة التساؤل حول القواعد المنهجية، فالطبيعة المعيارية هي رؤية حول

مكانة نظرية المعرفة وفلسفة العلم، أي أنها تربط الوسائل المنهجية بالأهداف المعرفية. **النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة**

توصلت الدراسة إلى 1-أن فلسفة لاري لودان تقدم رؤية نقدية للاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم، وخاصة الوضعية المنطقية وما بعد الوضعية النسبوية.

2-أكدت أن هدف العلم عند لودان هو حل المشكلات، وأن نجاح النظريات العلمية يقاس بقدرتها على معالجة المشكلات العلمية.

3-بينت أن التقدم العلمي يتحقق من خلال المفاضلة بين النماذج أو النظريات المتنافسة واختيار الأكثر قدرة على حل المشكلات.

4-أوضحت الدراسة أن العقلانية العلمية والتقدم العلمي مفهومان مترابطان، وأنهما يرتكزان على الطبيعة المعيارية للعلم.

5-خلصت إلى أن الطبيعة المعيارية تربط القواعد المنهجية بالأهداف المعرفية، مما يجعل تقييم النظريات والمناهج قائماً على مدى تحقيقها للأهداف المعرفية وحلها للمشكلات.

الدراسة الرابعة: للباحثة ايمان شاكر عبد العزيز بعنوان: رؤية نقدية لمفهوم التقدم العلمي عند لاري لودان، ناشر مجلة جامعة أسيوط، عدد 48، 2022.

في هذه الدراسة تناولت الباحثة مفهوم التقدم العلمي عند لاري لودان وأنماطه وأشكاله ومشكلاته بوجهة نظر نقدية ما بين لاري لودان ومعاصريه أمثال: كون وفيرابند.

كما أوضحت الباحثة دور الثورات العلمية في عملية التقدم العلمي، وأيضاً مدى ارتباط الثورات العلمية وتأثيرها في مفهوم التقدم العلمي. **النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة**

توصلت الدراسة 1-إلى أن لودان يجعل معيار تقدم العلم هو قدرة النظرية على حل المشكلات التجريبية والمفاهيمية، وليس مجرد كونها أحدث أو أكثر شيوعاً

رفض التفسير الثوري الخالص للتقدم العلمي.

2-تنتقد الدراسة الاتجاه الذي يربط التقدم العلمي حصرياً بالثورات العلمية كما عند توماس كون، وتوضح أن لودان يرى أن التقدم قد يتحقق بصورة تدريجية ومستمرة أيضاً، من خلال تحسين القدرة على حل المشكلات.

الثورات العلمية ليست الشرط الوحيد للتقدم

3-تخلص الباحثة إلى أن الثورات العلمية قد تحدث نقلات كبيرة في المعرفة، لكنها ليست المعيار الحاسم للتقدم العلمي، إذ قد توجد فترات من التقدم دون حدوث ثورة علمية.

.نقد موقف بول فيرابند

4–تشير الدراسة إلى أن النزعة التعددية والمنهجية المفتوحة عند فيرابند تضعف إمكانية وضع معيار موضوعي للحكم على التقدم العلمي، بينما يحاول لودان تقديم معيار أكثر عقلانية يعتمد على نجاح النظريات في معالجة المشكلات.

تميز تصور لودان بقدر من الوسطية

5–ترى الباحثة أن تصور لودان يجمع بين الاعتراف بتاريخية العلم وتغير نظرياته، وبين الحفاظ على إمكانية تقييم النظريات وفق معايير عقلانية، وهو ما يجعله يتجاوز بعض جوانب القصور في تصورات كل من كون وفيرابند.

العلاقة بين الثورات والتقدم علاقة تكامل لا تطابق

6–تؤكد الدراسة أن الثورات العلمية قد تكون وسيلة لتحقيق التقدم، لكنها ليست التقدم ذاته، لأن معيار التقدم الحقيقي يظل مرتبطاً بزيادة قدرة العلم على تفسير الظواهر وحل المشكلات.

المحور الأول: مفهوم العقلانية العلمية وتطوره في فلسفة العلم.

تعد قضية العقلانية العلمية من أهم القضايا التي شغلت فلاسفة العلم، ولا سيما خلال القرن العشرين، حيث ارتبطت بالسؤال الجوهري حول طبيعة المعرفة العلمية ومعايير قبول النظريات أو رفضها. فالعلم، بوصفه نشاطاً معرفياً منظماً، لا يقوم فقط على جمع الملاحظات والوقائع التجريبية، بل يعتمد كذلك على جملة من المبادئ المنهجية والمعايير العقلانية التي توجه العلماء في تفسير الظواهر الطبيعية وبناء النظريات العلمية. ومن هنا نشأ الجدل الفلسفي حول معنى العقلانية في العلم: هل تتمثل في الوصول إلى الصدق الموضوعي؟ أم في اعتماد مناهج منطقية وتجريبية تضمن تقدم المعرفة العلمية؟ أم أنها تتجلى في قدرة النظريات على تفسير الظواهر وحل المشكلات التي تواجه البحث العلمي؟ [1]" أن القضية تكون صادقة إذا كانت متسقة مع غيرها من القضايا، وتكون كاذبة إذا لم تتسق معها". لودان يقدم مفهوم جديد يطلق عليه تقليد البحث مهمته حل المشكلات الإمبيريقية والتصورية، حيث يشكل تطوراً وتقدماً في نظريات العقلانية، أن كان ما يقصد بالتطور تقديم تفسير أكثر دقة للعوامل المعرفية. لقد حاول من خلال كتابه التقدم ومشكلاته،[2] "إثبات أن أهم الأهداف

[1] الكرساوي، أحمد. مدخل إلى نظرية المعرفة، تكوين للدراسات والنشر، د.ت، ص21.

[2] إسماعيل، فاطمة. مشكلة التقدم العلمي، دار الجمهورية للصحافة، 2016، ص100.

المعرفية في العلم هو حل مشكلة ما، كما زعم أن حل اقصى حد من المشكلات الإمبيريقية، وكذلك إحداث أدنى حد من المشكلات الشاذة والتصورية التي يمكن أن نولدها في عملية الحل، يمثل المبرر لاعتبار العلم نشاطاً معرفياً". يرى أن تقاليد البحث يجب أن تفهم بوصفها إطاراً منهجياً مرناً وديناميكياً، قادراً على استيعاب التعقيد التاريخي والتنوع في ممارسات العلماء.. تقاليد البحث ليست مجرد وصف للتطور العلمي، بل هي محاولة لتقديم إطار منهجي أكثر مرونة وديناميكية، يسمح بفهم كيفية تطور المعرفة العلمية مع مراعاة التنوع والتعقيد التاريخي في ممارسات العلماء. هذا الإطار يركز على حل المشكلات بوصفه معياراً أساسياً للتقدم العلمي.[3] "إن تقليد البحث هو مجموعة افتراضات عن أنواع أساسية لكيانات موجودة في العالم، وهي افتراضات تبين كيف تتفاعل هذه الكيانات، كما أنها افتراضات عن المناهج المناسبة المستخدمة لتكوين نظريات عن تلك الكيانات وطرق اختبارها، وخلال مسيرة تطورها، واجهت تقاليد البحث والنظريات الراعية لها عدداً من المشكلات".

فالعقلانية بوصفها حكماً مطلقاً أو قراراً فردياً، بل باعتبارها عملية علمية ترتبط بالسياق المعرفي والعلمي الذي تنشأ فيه النظريات. فالعقلانية، وفق هذا الطرح، تكمن في قبول أفضل تقاليد البحث المتاحة، أي تلك الأطر العلمية التي أثبتت قدرتها على التفسير والتقدم مقارنة بغيرها.[4] "إن أي تقييم عقلاني لقبول اية نظرية او تقليد بحث معين هو ثلاثي العلاقة فهو متصل بالنظريات وتقاليد البحث المنافسة والمعاصرة له، ومتصل بالمبادئ السائدة لتقييم النظرية وبالنظريات السابقة في إطار تقليد البحث ذاته." وانطلاقًا من هذه العلاقة بين العقلانية والتقدمية، يقدم لودان تصوراً مغايراً للتقليد البحث الذي يربط العقلانية بصدق النظريات. فهو يرى أنه يمكن الحكم على نظرية ما بأنها عقلانية أو لا عقلانية دون الحاجة إلى افتراض صدقها أو حتى احتمال صدقها، بل يكفي النظر إلى مدى فاعليتها في حل المشكلات مقارنة بغيرها. وبذلك تتحول العقلانية من بحث عن الصدق إلى بحث عن التقدم العملي في سياق تطور المعرفة. وكما يرفض[5] "أن يكون الصدق هدفاً أسمى للعلم، يرفض أيضاً أن يتم النظر إلى التقدم على أنه البلوغ التدريجي للصدق عبر عملية الاقتراب من الصدق والتصحيح الذاتي. بل يقلب الرأي المعتاد رأساً على عقب، حيث يجعل العقلانية متطفلة على التقدم، الأمر الذي

---

[3] إسماعيل، فاطمة. فلسفة العلم عند لاري لودان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2023، ص148.

[4] لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص147-146.

[5] إسماعيل، فاطمة. معضلة التقدم العلمي، ناشر حلقات الجدل، ص252.

جعل إن موقف لاري لودان هذا يعد خطوة ثورية انقلابية، حيث جعل العقلانية متعلقة بإمكان التقدم، بل متطفلة عليها، والاختيار العقلاني هو الاختيار التقدمي. "فبدلاً من اعتبار أن الصدق هو الهدف الأسمى للعلم، وأن التقدم يتمثل في الاقتراب التدريجي من الحقيقة عبر الاستقراء والتصحيح الذاتي، يرفض لاري لودان هذا الفهم التقليدي رفضاً واضحاً. أن النظرية ليست تفسيراً حقيقياً لبنية الواقع وهو ما يقلل من مركزية الصدق كمعيار لتقييم النظريات[6] "يرفض بشدة أي فرض لا يستمده الاستقراء من التجربة بوصفها شيئاً يقع خارج نطاق الفلسفة الطبيعية."

إن القدرة على حل المشكلات لها ارتباط مباشر بالصدق أو باحتمالات الصدق. لذا يرفض لودان تقييم عقلانية نظرية ما بإصدار أحكام عن الصدق أو الكذب أو الاحتمال أو التأييد أو التعزيز؛ لذا يشير لودان إلى نقطة هامة يقول:[7] "إذا كانت العقلانية تكمن في الاعتقاد فحسب فيما نستطيع افتراضه بطريقة عقلية ليكون صادقاً، وإذا حددنا الصدق بمعناه الكلاسيكي غير العملي (البراجماتي) non Pragmatic، عندئذ يكون العلم (وسوف يظل للأبد لا عقلاني)".

ولفهم هذه المعضلة سعى بعض الفلاسفة، من أبرزهم بيرس (Peirce) وبوبر (Popper) وريشناخ (Reichenbach)، لربط العقلانية بالصدق بطريقة مختلفة. فاقترح ريشنباخ:[8] "إن المعرفة العلمية يتم التواصل إليها باستخدام مناهج معقولة (rational) لأنها تقتضي استخدام العقل بشكل مطابق على مادة الملاحظة. غير أنها ليست عقلانية، إذ إن هذه الصفة لا تنطبق على المنهج العلمي، وإنما على المنهج الفلسفي الذي يتخذ من العقل مصدراً للمعرفة التركيبية المتعلقة بالعلم، ولا يشترط ملاحظة لتحقيق هذه المعرفة". يقدّم كارل بوبر تصوراً للمعرفة، حيث يربطها بطابعها الموضوعي وقدرتها على أن تكون مستقلة عن الأفراد، فيرى أن المعرفة الصادقة هي تلك التي تحتوي على المعلومات في أكثر صورها تجريداً، أي عندما تتحرر من الذوات وتصبح قابلة للفحص والنقد العام. ومن هذا المنطلق، لا تفهم المعرفة بوصفها مجرد اعتقاد شخصي، بل بوصفها نتاجاً لعملية نقدية مستمرة. يرى أن هناك معرفة صادقة فقط تحتوي على المعلومات والمعارف في أكثر صورها تجريداً،

---

[6] جيليز، دونالد. فلسفة العلم في القرن العشرين، ترجمة حسين علي، دار التنوير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، 2009، ص208.

[7] لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص147.

[8] ريشباخ، هانز. نشأة الفلسفة العلمية، ترجمة فؤاد ذكريا، ناشر دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، الطبعة الأولى، 1951، ص45.

ويشير إليها:[9] "منهج موضوعي يستخدم في البحث النقدي خلال الانتقال من حدوس تتعرض للاختبارات الموضوعية إلى حدوس أو تخمينات أو فروض نظريات، كلها بمعنى واحد، أوسع من حيث المحتوى أو المضمون. هذه المعرفة وهذا المنهج يمثلان العالم الثالث، والحديث عن هذا العالم يعني الحديث عن عالمين آخرين، أو ما نطلق عليه مراتب المعرفة."

يقدم لاري لودان نقدا لتصور كارل بوبر حول التقدم العلمي، خاصة فيما يتعلق بفكرة الاقتراب من الصدق. فبينما يرى بوبر أن النظريات العلمية ليست صادقة بشكل نهائي، وإنما تزداد اقترابا من الصدق مقارنة بسابقاتها، يشكك لودان في جدوى هذا المفهوم، معتبراً أنه يفتقر إلى وضوح دقيق يمكن الاعتماد عليه في تقييم التقدم العلمي.[10] "أن هذا المنظور لا يقدم سوى القليل من العزاء، حيث لم يستطع أحد فهم ماذا تعني عبارة أقرب للصدق". وبالتالي، لو توقف التقدم العلمي على سلسلة من نظريات تمثل اقتراباً أكبر للصدق، عندها لا يمكن أن يظهر العلم على أنه تقدمي. إن العلم هو نسق لحل المشكلات. إن التقدم العلمي لا يتوقف على عبارة اقتراباً للصدق، بل يتوقف على حل عدد متزايد من المشكلات المهمة، منها: الإمبيريقية والتصورية. لكن لودان يتوقع أن يرى البعض أن الثمن الذي يجب دفعه مقابل هذا المنظور مرتفع للغاية، لأنه [11] "يستلزم أن نجد أنفسنا نؤيد نظريات بوصفها تقدمية أو عقلانية، ويتضح في النهاية أنها كاذبة (مع التسليم بأننا بالطبع لم نتمكن يقيناً من إثبات أي من هذه النظريات كانت كاذبة)". لكن لودان يرى أنه ليس ثمة داع للقلق من هذه النتيجة، لأن معظم نظريات العلم السابقة كان يشتبه بالفعل في أنها كاذبة. بل من المفترض أن نتوقع أن النظريات العلمية الحالية سوف تعاني مصيراً مماثلاً. لكن مع ذلك، فإن افتراض كذب النظريات العلمية وتقاليد البحث لا يجعل العلم لا عقلانياً أو غير تقدمي." كيف يبدو العلم مشروعاً جديراً ومهماً من الناحية العقلية، حتى مع التسليم بأن كل نظرية علمية قد تكون كاذبة؟ لذا يشير لا يوجد شيء في هذا النموذج يستبعد احتمال أن تكون النظريات العلمية صادقة تشير إلى أن الصدق يظل احتمالاً قائماً، دون أن يكون معياراً حاسماً أو مباشراً في بناء النظريات[12] "إن تاريخ العلم يدل على أن النظرية العلمية ليست صادقة نهائية، بل قد تظهر ظواهر جديدة تعجز النظرية القائمة عن

[9] قاسم، محمد محمد. كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي، ناشر دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986، ص298.

[10] لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي، المصدر السابق نفسه، ص147-148.

[11] إسماعيل، فاطمة. معضلة التقدم العلمي، ناشر حلقات الجدل، ص253.

[12] محمود، زكي نجيب. نحو فلسفة علمية، القاهرة، 1985. ص81.

تفسيرها. يتوجب على العلماء إلى تعديلها أو استبدال نظرية أخرى بها تكون أقدر على تفسير الوقائع". لكن ما يقترحه لودان هو أننا ليس لدينا أية وسيلة لمعرفة مؤكدة (أو حتى بنوع من الثقة) تؤكد لنا أن العلم صادق، أو محتمل الصدق، أو أنه يزداد اقتراباً من الصدق. مثل هذه الأهداف تعد مثالية (طوباوية) utopian، وبالمعنى الحرفي للكلمة، لا يمكن لنا أبداً معرفة إذا كان يتم تحقيقها أم لا. إذاً، فهدف لودان الأساسي هو إيضاح كيف يتم تقييم النظريات العلمية أو كيف يجب تقييمها. إن قابلية استخدام نموذج حل مشكلة ما علمياً هي أفضل مميزاته؛ يمكن أن نحدد ما إذا كانت نظرية معينة تقوم بحل مشكلة ما بعينها أم لا. ويمكن أن نحدد أيضاً ما إذا كانت نظرياتنا الآن تحل مشكلات أكثر أهمية مما قامت به النظريات منذ جيل أو قرن مضى أم لا. وإذا كان علينا أن نضع أفكارنا عن العقلانية والتقدم في موقف ضعف من أجل إنجاز هذه الغاية، يرى لودان أن الاحتفاظ بالعلاقات الكلاسيكية بين العقلانية والتقدم والصدق يعد بالضرورة مرفوضاً رفضاً قاطعاً. لذا، فإن لودان في موقف يمكنه من اتخاذ قرار بشأن ما إذا كان العلم يعد عقلانياً وتقدمياً أم لا.

كيف يمكن اتخاذ هذا القرار بدقة؟ إنه يتضمن حتماً، [13]"تقييم الحالات النوعية المستمدة من تاريخ العلم، وعما إذا كان العلم ككل يعد عقلانياً وتقدمياً. فذلك يعتمد بالطبع على ما إذا كانت مجموعة الاختيارات الخاصة بالنظريات وتقاليد البحث قد أظهرت التقدم والعقلانية أم لا. لذا، قد نتساءل عما إذا كان رد فعل المجتمع العلمي على بحث أينشتاين عن الظاهرة الكهروضوئية قد أدى إلى تعديل تقدمي في النظريات الفيزيائية أم لا؟ وعند مستوى آخر، قد نتساءل عما إذا كان الانتصار العام الذي حققه تقليد بحث نيوتن على تقاليد البحث الديكارتية وعلى تقاليد بحث Leibniz في القرن الثامن عشر كان تقدمياً أم لا؟."

للإجابة عن مثل هذه الأسئلة، يؤكد لودان [14]"ضرورة أن نصغي بعناية شديدة لمعايير (براميترات) parameters النقاش والجدال العلمي للعصر الذي نتحدث عنه، حيث يمكن للمؤرخ أن يكشف فيه تحديداً ما المشكلات الإمبيريقية والتصورية التي كان معترفاً بها". عندئذ يمكنه الوصول إلى معنى معقول وواضح عن ثقل أو أهمية هذه المشكلات، ومن خلال التحليل الدقيق للحالة الفعلية (وليس عن طريق ما يطلق عليه إعادة بنائها العقلاني، في إشارة منه إلى (Imre Lakatos)، يمكن للمؤرخ أو العالم المعاصر، أن يحدد عادة الدرجة التي على أساسها

[13] إسماعيل، فاطمة. مشكلة التقدم العلمي، دار الجمهورية للصحافة، 2016، ص102.

[14] لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي، ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص150-149.

كانت تقاليد البحث المتنافسة أو النظريات المتنافسة في إطار تقليد البحث ذاته تقدمية في تعديلاتها. والشيء المهم الذي يؤكد عليه لودان هنا هو[15]" أنه يجب أن نوسع من شبكات التقييم بدرجة كافية لتشمل كل العوامل ذات الصلة معرفياً والتي كانت موجودة بالفعل في الموقف التاريخي. ويجب ألا نفترض مسبقاً، كما فعل بعض مؤرخي العلم، أن المعايير (البراميترات) المهمة فقط كانت تجريبية أو بشكل واضح كانت علمية. ولأنه ينبغي دمج النظريات وتقاليد البحث في إطار شبكة أوسع من الاعتقادات والتصورات المتبعة، لذا كان على أي تقييم دقيق لحدث تاريخي ما أن يهتم بعناية بالتيارات الفلسفية واللاهوتية، والتيارات الفكرية الأخرى التي تؤثر على الحالة قيد البحث."

لقد سعى العديد من الفلاسفة لوضع معايير للعقلانية أو للتقدم تكون صالحة لكل زمان ومكان، ورأى أن مهمة مؤرخ العلم هي تقييم الأحداث التاريخية تماماً في سياق النظريات الحديثة للقبول العقلاني والتقييم العقلاني. وفي بعض الحالات، ذهب مؤيدو مثل هذا المنظور إلى حد الزعم بأن كل المعايير الفعلية لتقييم العقلانية ما زالت ثابتة عبر الزمن. من هنا يطرح Paul Feyerabend سؤاله المعرفي ويقول:[16] "هل ثمة قواعد أو معايير عقلانية بالمعنى الذي يجعلها تتفق مع بعض المبادئ العامة المعقولة تستدعي أن نعيرها انتباهاً تحت كل الظروف، وتلقى تأييداً من جميع العلماء البارعين عندما يجرون بحثاً جيداً، وأن يفسر من يتبناها أحداثاً هامة مثل الثورة الكوبرنيكية؟" ويرى كل من بوبر ولاكاتوش أن المعايير العلمية للعقلانية تطورت مع الزمن، أي أنها ليست ثابتة أو مطلقة. ومع ذلك، فإنهما يصران على ضرورة تقييم الأحداث التاريخية باستخدام معاييرنا الحالية، أي من منظورنا المعاصر لما يعد عقلانياً علمياً. [17]"إن عقلانية العلم لا يمكن فهمها من خلال قواعد ثابتة مفروضة خارج تاريخ العلم. فمعايير الحكم على النظريات العلمية نفسها تتطور مع تطور العلم. ولهذا ينبغي فهم العقلانية العلمية في إطار تاريخ برامج البحث وتنافساتها." بالإضافة إلى ذلك، يشددون على أهمية تقييم ما فعله العلماء في سياق عملهم، كما فهموه هم أنفسهم، بما يعكس احترام السياق التاريخي والعملي للنشاط العلمي. هذا يعني أنهم يجمعون بين منظور تطوري للمعايير العلمية وبين ضرورة "محاكاة" عقلانية العلماء التاريخيين عند تحليل أعمالهم. الأهم عند لودان هو ما إذا كانت النظرية تأسست بشكل جيد، أي إذا كانت منظمة بطريقة منهجية وتستجيب لمعيار حل المشكلات. هذا في التقييم العقلاني الذي

---

[15] لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي، المصدر السابق نفسه، ص150.

[16] فييرابند، بأول. العلم في المجتمع الحر، ترجمة السيد نفادي، ناشر المركز القومي للترجمة، 2000، ص79.

[17] لاكاتوش، إمر.: فلسفة العلوم برامج الأبحاث العلمية، ترجمة ماهر عبد القادر محمد علي، ج 6، ط1، 1997، ص108.

يركز على البنية المنهجية والتفسير المنطقي للنظريات في محيطها العلمي، مما يضمن أنها تلبي معيار حل المشكلات بشكل عقلاني وصحيح.

لذا، يرى لودان تلخيص[18] إسرائيل شفلر (Israel Scheffler) لهذا الرأي كما يلي:[19] "إن ما يمكن وراء التغيرات التاريخية للنظرية... هو ثبات المنطق والمنهج، الذي يوحد كل عصر علمي مع العصر الذي يسبقه... ومثل هذا الثبات لا يشمل فحسب قواعد الاستدلال الصوري، بل يشمل أيضاً تلك المعايير التي يتم من خلالها مقارنة الفروض مع اختبار الخبرة وإخضاعها لتقييم مقارن." في الواقع، أن كل الآداب العلمية المعنية بتاريخ الميثودولوجيا تبين بوضوح أن عناصر التقييم عقلانية العلم الماضي باعتبارها معايير للتفسير، وآراء عن الاختبار العلمي، واعتقادات عن مناهج الاستدلال الاستقرائي وما شابه ذلك قد مرت بتحولات هائلة.

"والسؤال الذي يطرحه لودان هو: ما مغزى تحليل عقلانية العلم الماضي ما لم نأخذ بعين الاعتبار آراء الفاعلين التاريخيين بشأن عقلانية ما قاموا به؟ الحقيقة أن بعض الفاعلين التاريخيين يقولون إن [20] "النظرية A أفضل من النظرية B" لا يجعلها كذلك بالضرورة. فإذا كان على المؤرخ أن يفسر لماذا نجحت بعض النظريات والبعض الآخر انتهى، إذن يجب عليه أن يثبت ما لم يكن يرى أن اختيار النظرية يكون دائماً لا عقلانياً، وإن بعض النظريات تفوقت على البعض الآخر عن طريق أفضل معايير العقلانية المتاحة في ذلك الوقت."

عندما يتبنى العلماء في أي ثقافة تقليد بحث، أو نظرية ما تكون أقل كفاءة في حل المشكلات مقارنة بغيرها مما هو متاح في الثقافة نفسها، فذلك يعد سلوكاً لا عقلانياً، وبهذه الجوانب المهمة، يرى لودان أن النموذج الذي يقدمه: [21] "يثبت أن هناك بعض الخصائص العامة جداً لأي نظرية عن العقلانية، خصائص تتجاوز ما هو زمني وما هو ثقافي ويمكن تطبيقها على فكر ما قبل سقراط، أو على تطور الأفكار في العصور الوسطى وكذلك على تاريخ العلم الأكثر حداثة. ومن ناحية أخرى، يؤكد أيضاً أن ما يعد عقلانياً بصفة خاصة في الماضي يكون إلى حد ما مرتبطاً بالزمان والمكان

---

[18] إسرائيل شيفلر (Scheffler Israel) هو فيلسوف أمريكي بارز، متخصص في فلسفة التعليم وفلسفة العلوم. شيفلر كان له تأثير كبير في تحليل كيفية تدريس العلوم وفهم العلاقة بين المعرفة العلمية والتعليم.

[19] لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي، ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص151.

[20] لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ،المصدر السابق نفسه، ص152.

[21] المصدر السابق نفسه، ص153.

والسياق، كما أن أنواع الأشياء التي يتم اعتبارها مشكلات إمبيريقية، وأنماط الاعتراضات التي تم الاعتراف بها كمشكلات تصورية، إلى جانب معايير الوضوح ومقاييس التحكم التجريبي، هي جميعها تمثل دالة على الاعتقادات المنهجية والمعيارية لمجتمع المفكرين على وجه التحديد." إذا كان التقدم العلمي يفهم تقليدياً من حيث العلاقة بين النظريات المتعاقبة، فإن لاري لودان يقدم رؤية مغايرة تعيد تعريف معيار التقدم. يحدث التقدم إذا وفقط إذا أظهر تعاقب النظريات العلمية في أي مجال زيادة في الفاعلية في حل المشكلات المحددة. وتحول هذه الرؤية التركيز من الاستمرارية الزمنية للنظريات إلى قدرتها العملية على معالجة الإشكالات العلمية الواقعية."

والسؤال المهم الذي يطرحه لودان: متى يكون التغير أو التعديل تقدماً؟

لكي نعتبر التغيير أو التعديل تقدماً، فذلك يعتمد على كفاءة النظرية وفعاليتها في حل مشكلة ما مقارنة بسابقتها أو منافستها. لذا يقول لودان: [22] "يمكن أن نقول في أي وقت أننا نعدل نظرية ما أو نستبدل بها أخرى، ويعد ذلك التغيير تقدميا فحسب إذا كانت النسخة الأخيرة أكثر كفاءة وفعالية في حل المشكلة من سابقتها". لكن هل يقتصر التقدم على ذلك فحسب؟ أعني هل هناك طرق أخرى للتقدم؟ توجد طرق عديدة يمكن أن يتحقق بها التقدم[23] "يمكن تحقيقه ببساطة عن طريق توسيع مجال المشكلات الإمبيريقية المحلولة في ظل ثبات جميع موجهات التقييم الأخرى، وفي مثل تلك الحالة، يمثل إحلال T2 محل T1 التي تحل مزيدًا من المشكلات الإمبيريقية عملاً تقدمياً بوضوح. ويمكن أن يتحقق التقدم كذلك نتيجة لتعديل النظرية التي تستبعد بعض حالات الشذوذ الصعبة أو التي تحل بعض المشكلات التصورية. وبالطبع، غالباً ما يحدث التقدم كنتيجة لكل المتغيرات المتحولة بإحكام والمتصلة بالموضوع."

تشير الدراسات التاريخية إلى وجود ملامح متكررة للتغير العلمي والعقلانية في عملية التقدم العلمي، مما يتيح استخلاص معايير عملية لفهم طبيعة النشاط العلمي. وفقاً لهذا المنظور، يشير لودان إلى أن أي نموذج معياري للعقلانية العلمية لا يمكن أن يكون مكتملاً إلا إذا استند إلى الأدلة التاريخية التي تظهر أن العلم كان مشروعاً عقلانياً واسع النطاق. بمعنى آخر، يجب أن تعكس المعايير عملية تطور العلم عبر الزمن، بما في ذلك الأنماط المتكررة للتغيير في النظريات والممارسات العلمية، وليس مجرد تقييم ثابت للنظريات المعاصرة. ويستنتج لودان من الأدلة التاريخية ما يلي:

[22] **إسماعيل، فاطمة. مشكلة التقدم العلمي، ناشر دار الجمهورية للصحافة،2016 ص104.**

[23] **إسماعيل، فاطمة. مشكلة التقدم العلمي ،المرجع السابق نفسه، نفس الصفحة.**

[24]أن تحولات النظرية العلمية ليست تراكمية بالضرورة. بعبارة أخرى، عندما تظهر نظرية جديدة وتزيح نظرية سابقة لتحل محلها، لا يمكن الاحتفاظ تماماً بالمحتوى المنطقي أو التجريبي للنظرية القديمة، بما في ذلك النتائج التي كانت تدعمها أو البيانات التي تم الاستناد إليها". أن النظريات لا ترفض ببساطة لمجرد احتوائها على حالات شاذة، ولا تقبل تلقائياً لمجرد دعمها التجريبي. هذا المبدأ يعكس رفض النهج التقليدي المبني على المعايير المطلقة للصدق أو المطابقة التجريبية المباشرة، ويؤكد الطبيعة الديناميكية والوظيفية للعقلانية العلمية. أن التغيرات في النظريات العلمية غالباً ما تتعلق بالمسائل التصورية والمفاهيمية أكثر من كونها مرتبطة بالدعم التجريبي المباشر. هذا يعكس رؤية لودان بأن العقلانية العلمية ليست مجرد انعكاس للدليل التجريبي، بل تتضمن أيضاً تحليلاً نقدياً للبنى المفاهيمية التي تستند إليها النظريات. أن مبادئ العقلانية العلمية سواء من حيث النوعية أو الطابع المحلي ليست ثابتة بشكل دائم، بل قد تتغير بشكل كبير مع تطور ممارسات البحث العلمي وسياق المجال العلمي ذاته. يوضح لودان أن العلماء لا يقتصرون في تعاملهم مع النظريات على القبول أو الرفض فقط، بل يتبنون مجموعة واسعة من المواقف المعرفية، تشمل المتابعة، الترحيب، التردد، النقد الجزئي، أو حتى الاستخدام الانتقائي للنظرية في سياقات معينة. يوضح لودان أن هناك نطاقاً واسعاً من مستويات العمومية يمتد من القوانين المحددة والتجريبية في أحد الأطراف، وصولاً إلى الأطر المفاهيمية الواسعة والشاملة في الطرف الآخر. يشير لودان إلى النقد الموجه لفكرة الصدق التقريبي كمركز للتقدم العلمي، وهو النقد الذي يبرز في مستويات مختلفة، سواء الدلالية أو المعرفية. فالصعوبات المرتبطة بهذه الفكرة تجعل من الصعب الاعتقاد بأن التقدم العلمي يتجه نحو "مثال الصدق الأعظم" كهدف مركزي للعلم. وفقاً لي لودان، فإن تواجد أكثر من نظرية في أي مجال علمي ليس استثناء، بل هو القاعدة. هذا يعني أن المجال العلمي عادة ما يحتوي على تعدد نظري يعكس تنوع الحلول الممكنة للمشكلات العلمية.

لذا يقول لودان لا بد أن نضع في الاعتبار المبادئ الإرشادية التالية ما يلي:

[24]لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016،ص152.

1–[25]"في حالة وجود اثنين من تقاليد البحث العلمية المتنافسة، إذا توافق أحد هذه التقاليد مع أكثر وجهة نظر تقدمية متاحة عن العالم، بينما لا يتوافق التقليد الآخر معها، إذن توجد أسس قوية لتفضيل الأول.

2–إذا كان من الممكن إجازة التقليدين بالرجوع إلى وجهة النظر نفسها عن العالم، إذن قد يتم اتخاذ القرار العقلاني فيما بينها على أسس علمية تماماً.

3–إذا لم يتوافق أي من التقليدين مع وجهة النظر التقدمية عن العالم، يجب على مؤيدي هذين التقليدين إما أن يعربوا عن رؤية جديدة وتقدمية عن العالم تبرر هذين التقليدين، أو أن يقوموا بتطوير تقليد بحث جديد يمكنه أن يتوافق مع أكثر نظرة تقدمية موجودة عن العالم".

من هنا كان تأكيد لودان على أن العقلانية صفة مميزة للفاعل وللسياق. فعندما نقول:[26] "إن أحد الفاعلين قد تصرف بعقلانية، فإننا نؤكد على الأقل بأنه قد تصرف بأساليب اعتقد أنها تضمن له إنجاز غاياته. ومن هنا كان اعتقاد الفاعل ذاته بأنه تصرف بعقلانية من العوامل الأساسية التي يعتبرها لودان شرطاً كافياً لتحقيق أهدافه." وينتج عن ذلك في رأي لودان:[27] "أن الحكم على عقلانية الفاعل، أو عقلانية مجموعة من الفاعلين متجانسة أكسيولوجياً أيضاً في القيم، يتطلب أن نضع في الاعتبار ما يلي:

ما هي الأفعال التي قام (أو قاموا) بها.

ماذا كانت غايات وأهداف الفاعل.

ما الاعتقادات الأساسية التي شكلت أحكام الفاعل بشأن النتائج المتوقعة لأفعاله الممكنة."

أن لودان يجعل هذه المكونات أساسية لتقييم عقلانية الفاعل، ولا يوجد تصور للعقلانية بدونها.

يقول لودان إن الحجة واضحة المعالم كما يلي:[28] "بما أن العلماء السابقين كانت لهم أهداف واعتقادات أساسية تختلف عن أهدافنا واعتقاداتنا، إذن لا يمكن تحديد عقلانية أفعالهم بشكل ملائم من

---

[25] لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص155.

[26] إسماعيل، فاطمة. فلسفة العلم عند لاري لودان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2023، ص231.

[27] إسماعيل، فاطمة. فلسفة العلم عند لاري لودان، المرجع السابق نفسه، ص232.

[28] إسماعيل، فاطمة. فلسفة العلم عند لاري لودان، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2023، ص232.

خلال التساؤل عما إذا كانوا قد تبنوا الاستراتيجيات التي وضعت لإنجاز أهدافنا. ومع ذلك، فإن منهجياتنا هي بدقة مجموعة من القواعد التكتيكية والاستراتيجية تم تصميمها لتساعد على إنجاز أهدافنا". وربما يكون من الملائم استخدام مناهجنا لتقييم عقلانية العلماء السابقين فقط في حالة ما إذا كانت أدواتهم المعرفية المفيدة مماثلة لأدواتنا المعرفية المفيدة، وفقط إن كانت اعتقاداتهم الأساسية مماثلة جوهرياً لاعتقاداتنا. وبالطبع، بما أن لودان يقول باختلاف الأهداف والمعتقدات والمناهج عبر الزمن، أن الفاعلين التاريخيين مثل العلماء في الماضي كانوا يعملون ضمن منظومات فكرية مختلفة عن منظومتنا الحالية. بمعنى آخر، ما كانوا يعتبرونه تفسيراً علمياً قد لا يبدو لنا كذلك اليوم. هذا الاختلاف لا يعد مجرد خطأ منهم، بل هو نتيجة لاختلاف السياق المعرفي والثقافي الذي عاشوا فيه. لودان أراد القول: لا يمكننا الحكم على أفكار الماضي بنفس معايير الحاضر دون الوقوع في تبسيط أو ظلم تاريخي. فقد كان للعلماء السابقين نظريات عن العالم واعتقادات سببية تختلف من عالم لآخر، وتختلف كذلك عن نظرياتنا واعتقاداتنا." لذا، يقول لودان:[29] "كي يكون حكمنا على فعل الفاعل بأنه يتصرف بعقلانية، لا بد أن نضع أهدافه في الاعتبار بجدية، وحينئذ تختلف المنهجيات التي تم تصميمها لتدعيم أهداف مغايرة عن تلك التي تبدو عاجزة أو غير مؤهلة للحكم على عقلانية هذا الفاعل."

المحور الثاني: نقد التقدم التراكمي في فلسفة لاري لودان.

يعد التقدم العلمي من أكثر المفاهيم أهمية للنقاش في فلسفة العلم، حيث ساد لفترة طويلة تصور يرى أن العلم يتطور بشكل تراكمي خطي، تضاف فيه المعارف الجديدة إلى القديمة في مسار متواصل نحو الحقيقة. غير أن هذا التصور، على الرغم من أهميته، تعرض لنقد عميق من قبل عدد من فلاسفة العلم، ولا سيما لاري لودان الذي شكك في طبيعته الاختزالية، حيث يرى أن تاريخ العلم هو تاريخ حل المشكلات. ومن ثم، يطرح نقد التصور التراكمي للتقدم العلمي إشكالية جوهرية تتعلق بطبيعة العلم ذاته: هل يتقدم عبر التراكم الكمي للمعرفة؟ أم من خلال تحولات نوعية تعيد بناء أسسه من جديد؟

إن نقد لاري لودان للتصورات التقليدية للتقدم العلمي هي من أبرز إسهاماته في فلسفة العلم المعاصرة، إذ وجه انتقادات جوهرية لكل من الفلاسفة الوضعيين وما بعد الوضعيين، خاصة فيما يتعلق بفكرة التقدم التراكمي للمعرفة العلمية. فقد كان الاتجاه الوضعي، ولاسيما في صورته الكلاسيكية، ينظر إلى العلم بوصفه عملية تراكمية تتقدم من خلالها المعرفة تدريجياً عبر إضافة حقائق جديدة إلى ما سبقها من معارف. ووفق هذا التصور، فإن النظريات العلمية اللاحقة تبنى على النظريات السابقة مع

[29] إسماعيل، فاطمة. فلسفة العلم عند لاري لودان، المرجع السابق نفسه، ص232.

الاحتفاظ بجزء كبير من مضمونها المعرفي، الأمر الذي يجعل تاريخ العلم يبدو وكأنه مسار خطي متصل يتجه نحو مزيد من الدقة والاقتراب من الحقيقة.

من العناصر الأساسية لدى الوضعيين الاعتقاد بأن تغيير النظريات يكون تراكمياً أو يتم الاحتفاظ بمحتواها. وكانت نجاحات النظريات القديمة دائماً مستمدة من سابقتها، حيث كان من المتوقع قدرة النظريات الجديدة على تفسير ما لم تفسره سابقتها.[30] "كانت فكرة تتابع النظرية تراكمياً فكرة جذابة ليست فقط لأنها مكنت الوضعيين من التمسك بنموذج مضلل لرد النظرية، بمعنى رد النظريات السابقة إلى النظريات اللاحقة من خلال علاقة اللزوم."

لذا يرى لودان أن التراكمية أيضاً كانت عقبة بالنسبة لنظرية التقدم المعرفي لدى الوضعيين. كان تفسير الوضعيين للتقدم العلمي عن طريق تأكيدهم على أن "النظريات الجديدة المقبولة لا بد أن تسجل كافة نجاحات النظريات السابقة المنافسة إلى جانب بعض النجاحات الإضافية أيضاً، وكان واضحاً أن ذلك يعني أن التقدم العلمي ببساطة يتقدم العلم لأن النظريات اللاحقة يمكنها دائماً عمل كل ما قامت به النظريات السابقة بالإضافة إلى أشياء أخرى. فالتقدم التراكمي يفترض أن المعرفة العلمية لا تبنى من الصفر في كل مرحلة، ولا تقوم على هدم كامل لما سبقها، بل تتطور عبر تراكم الإنجازات السابقة وإعادة توظيفها.[31] "أن الانتقال من العلم القديم إلى العلم الجديد لا يتخذ صورة رفض ونفي كلي للعلم القديم، بل صورة إعادة سبك لعناصره وإعادة صياغتها. بهذا المعنى يمكن الحديث عن احتفاظ داخل النفي

لذا، فإن ما بعد الوضعيين، وخاصة كون وفييرابند، رفضوا القول بأن تغير النظرية كان تراكمياً. والشيء اللافت للنظر في مجموعة كتابات كون وفييرابند هو أن هناك خسائر بقدر ما توجد مكاسب في أغلب عمليات التغير العلمي. [32]"رفض كون النظر إلى العلم وإبداعاته وتطوره من وجهة نظر فردية. فهو اعتقد أن تاريخ العلم لا يمكن فهمه وشرحه

---

[30] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية، ترجمة فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص66.

[31] يفوت، سالم. العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1982، ص6.

[32] كون، توماس. بنية الثورات العلمية، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، الطبعة الأولى، 2007، ص8-9.

[33] لخولي، يمنى طريف. فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول – الحصاد – الآفاق المستقبلية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، ص400.

إلا بفضل *المتحدات العلمية وبراديماتها، وهي ليست تراكمية؛ فالعلم ليس خطاً متصلاً مؤلفاً من مراحل وأجزاء وإنجازات لا انقطاع بينها." أن مفهوم التراكم في تطور العلم إذا تم فهمه كما لو كان خطاً مستقيماً هو مفهوم مغلوط. التاريخ العلمي لا يسير فقط في مسار متصل ومتسلسل، بل يتضمن قفزات ثورية تغير المسار بشكل جذري. لذا، دراسة تاريخ العلم لا تكشف فقط عن إضافة معرفة جديدة بشكل تدريجي، بل أيضاً عن إبطال أو تعديل المفاهيم القديمة، مما يجعل تطور العلم أكثر تعقيدًا من مجرد تراكم المعلومات. كما ترى الخولي: [33]"أن دراسة تاريخ العلم تفصح عن زيف مفهوم (التراكم) إذا أخذنا به على خط مستقيم."

لقد اعتقد الوضعيون أن العلم يتقدم لأن تغير النظرية يعد تراكمياً، أما ما بعد الوضعيين، أي كون وفييرابند، فقد أنكرا أن يكون العلم تقدمياً لأن تغيير النظرية ليس تراكمياً. وعلى هذا الأساس، قام لودان بالمقارنة بين الطرفين،

بالطبع يصر بوبر على أن النظريات اللاحقة لا بد أن تجيب عن كل الأسئلة التي أجابت عنها سالفتها، وهذا هو أحد المتطلبات الكلاسيكية لنمو المعرفة عنده، أما كون من جانبه فإنه فقد الأمل في تقديم اختيارات موضوعية بين النماذج المتنافسة، ومن بين الأسباب الرئيسية ليأسه هذا هو أن كل نموذج يفسر ظاهرياً بعضاً مما لم يفسره نموذج آخر. ويتفق كل من كون وبوبر على أنه في غياب التراكمية الكاملة، يبقى التقدم غير محدود. يثير لاري لودان تساؤلاً نقدياً مهماً يتمثل في قوله: لماذا ينبغي أن تكون التراكمية شرطاً مسبقاً للأحكام الموضوعية المتعلقة بالتقدم المعرفي؟ ويعكس هذا التساؤل موقفه النقدي من التصورات التقليدية في فلسفة العلم.

التي جعلت التقدم العلمي مرهوناً بالاحتفاظ التراكمي بالمحتوى المعرفي للنظريات السابقة. فقد افترضت هذه التصورات، خاصة لدى الفلاسفة الوضعيين وبعض فلاسفة ما بعد الوضعية، أن العلم يتطور من خلال إضافة معارف جديدة إلى معارف سابقة دون التخلي عنها، بحيث تبقى النظريات اللاحقة محتفظة بجزء كبير من مضامين النظريات التي سبقتها. ووفق هذا الفهم، يصبح التقدم العلمي عملية تراكمية تتجه تدريجياً نحو مزيد من الدقة والاقتراب من الحقيقة.

[34]"يستطيع الشخص أن يتكلم حتى في غياب التراكمية، فلا ينكر لودان أن التفسير التراكمي عندما يحدث يكون ذا قيمة معرفية، ولكنها لا تستحق المكانة التي أعطيت لها في الفلسفات العلمية والتي جعلتها شرطاً ضرورياً للتقدم." ينتقد إن التقدم العلمي يعتمد على التراكم أي أن النظريات الجديدة يجب أن تحتفظ بنجاحات النظريات القديمة (التفسيرية والتنبؤية) وتضيف عليها. هذا التصور نجده مثلًا عند كارل بوبر، حيث ينظر إلى العلم كمسار خطي يتقدم عبر البناء فوق ما سبق. لذا يرى لودان أن مثل هذه الأسئلة[35] "تتطلب الانفصال بقوة عن الاعتقاد المحبب لدى الوضعيين وما بعد الوضعيين على حد سواء، القائل بأن الاحتفاظ التراكمي بالنجاحات التفسيرية المؤيدة يعد شرطاً مسبقاً لأحكام التقدم. يرى أن هذا المبدأ لم يكن سوى حيلة ملائمة لغايات معينة".

لقد استندت معظم الأعمال في فلسفة العلم على وجود اعتماد مفترض بين التقدم أو النمو المعرفي من ناحية، والاحتفاظ التراكمي بالنجاح التفسيري أو التنبؤي من ناحية أخرى. يؤكد لودان أن فلسفات العلم تأسست تماماً على هذا الارتباط. لذا يرى[36] "أنه لم يتم بشكل مقنع إثبات أي ضرورة لهذا الربط بين التقدم والاحتفاظ التراكمي"، فيردد لودان ثلاث نقاط للتقدم التراكمي، أولها أن الشرط الضروري للتقدم العلمي والنمو العلمي لبعض المؤلفين هو ما يطلق عليه لودان:

المصادر التراكمية: يقصد بالمصادر التراكمية تلك الأسس الفلسفية والمعرفية التي اعتمدت عليها بعض الاتجاهات في فلسفة العلم لتأكيد أن التقدم العلمي يتحقق من خلال التراكم التدريجي

***يرى توماس كون أن تطور العلم لا يحدث دائمًا بصورة تراكمية، بل يمر أحياناً بما يعرف بالثورات العلمية، وهي تحولات جذرية تؤدي إلى استبدال نموذج علمي سائد بآخر أكثر قدرة على تفسير الظواهر وحل المشكلات. ويرتبط هذا التصور بمفهوم البراديغم (النموذج الإرشادي)، وهو الإطار الفكري الذي يضم مجموعة من النظريات والمناهج والقيم والمعايير التي يتفق عليها العلماء وتوجه أبحاثهم خلال فترة معينة. وخلال مرحلة العلم العادي يعمل الباحثون في إطار هذا البراديغم على حل المشكلات التي يطرحها، لكن مع تراكم الظواهر التي يعجز عن تفسيرها تظهر أزمة علمية تدفع إلى البحث عن نموذج جديد، فإذا أثبت هذا النموذج كفاءته حدثت الثورة العلمية وانتقل المجتمع العلمي إلى براديغم آخر. ومن ثم فإن الثورات العلمية، في نظر كون، لا تعني مجرد إضافة معارف جديدة، بل تمثل تغيراً في طريقة فهم العلماء للعالم وفي أساليب البحث ومعايير الحكم على النظريات، وهو ما يجعلها نقطة تحول رئيسية في مسار التقدم العلمي.**

[34] محمد أبو علي، أحمد عبد الفتاح. إشكالية التقدم العلمي دراسة في فلسفة لاري لودان، ناشر وجهات نظر، د.ت، ص13.

[35] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية، ترجمة فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص68-69.

[36] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية ،المصدر السابق نفسه، ص227.

للمعرفة. وقد ارتبط هذا التصور أساساً بالفلسفة الوضعية التي رأت أن تاريخ العلم يمثل مساراً متصلاً من الاكتشافات والحقائق العلمية التي تتراكم بمرور الزمن، بحيث تضيف كل نظرية علمية جديدة قدراً من المعرفة إلى ما سبقها دون أن تنقضه بصورة كاملة. ووفق هذا المنظور، يصبح التقدم العلمي نتيجة مباشرة لتراكم الملاحظات التجريبية والنتائج العلمية التي يتم تثبيتها بمرور الوقت داخل البنية المعرفية للعلم.

هذه الصياغة Conservation Principle تعبر عما يعرف بـ(CP) أو مبدأ التراكم في فلسفة العلم، ويمكن تحليلها على النحو على أن إحلال نظرية محل أخرى يعد تقدماً أو يمثل نمواً معرفياً فقط في حالة ما إذا تمكنت النظرية اللاحقة من تبرير كل ما قامت النظرية السابقة بتبريره بنجاح أيضاً. فإن العديد من الفلاسفة السابقين قد قالوا بهذه المصادر (CP). فقد صاغ R.G. Collingwood من منطق المشكلات وحلها قائلاً:[37] "لو أن الفكر في مرحلته الأولى، وبعد حله للمشكلات المبدئية التي اكتنفت هذه المرحلة، قد اصطدم في سياق حله لهذه المشكلات بضروب من المشكلات الأخرى التي تزعجه، وإذا استطاع الفكر في محاولته الثانية حل هذه المشكلات الإضافية الأخرى بدون أن يفقد سيطرته على حل المشكلات الأولى، حتى لا يكون هناك مكاسب دون أي خسارة تقابله، إذن يوجد تقدم. ولا يمكن للتقدم أن يوجد وفقاً لأي شروط أخرى. فإذا كان هناك خسارة، فإن مشكلة تحديد الخسارة مقابل المكسب عسيرة الحل أو غير قابلة للحل".

فيعبر بوبر بأسلوبه عن (CP) فيقول:[38] "يستند التقدم في العلم أو في الكشف العلمي إلى الاستخدام الثوري لعملية المحاولة التنفيذية وحذف الخطأ، التي تتضمن بدورها البحث عن اختبارات تجريبية عديدة أو محاولات ممكنة لضعف النظريات العلمية أو تفنيدها." أي إن النظريات الجديدة، مهما كانت ثورية، لا بد أن تكون قادرة دائماً على تفسير كل نجاحات النظرية التي سبقتها بالكامل، وفي كل الحالات التي كانت فيها سابقتها ناجحة. لا بد أن تسفر النظرية الجديدة عن نتائج على الأقل بنفس جودة النظرية التي سبقتها. يقول إمري لاكاتوش عن (CP):[39] "لا يوجد هناك تجارب حاسمة إذا عنينا بذلك تجارب تؤدي مباشرةً إلى القضاء على برنامج معرفي معين. وفي الحقيقة، فإنه في حال

---

[37] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية، ترجمة فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص228.

[38] بوبر، كارل. أسطورة الإطار، ترجمة يمنى طريف الخولي، ناشر سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2003 ص7.

[39] لاكاتوش، إمري. برامج الأبحاث العلمية، ترجمة ماهر عبد القادر، ناشر دار النهضة العربية، بيروت، 1997، ص184.

انهزام برنامج بحث معرفي واستبداله ببرنامج معرفي آخر تقدمي، يمكننا الاستفادة من مرور فترة طويلة من الزمن تسمى تجربة حاسمة إذا ظهرت جلياً أنها كانت مؤيدة للبرنامج المنتصر وداحضة للبرنامج المهزوم. وبعبارة أخرى، لا يعير العلماء آذانهم بسهولة إلى نتائج التجارب السلبية بادئ الأمر، ولا بد من مرور فترة طويلة من الأبحاث والاختبارات كي يقبل سوادهم بفشل النظام المعرفي الذي دحضته التجربة، فلا تصبح هذه الأخيرة حاسمة في انهزامه إلا بعد أن تكون قد ترسخت النظرية الجديدة في الأوساط العلمية. نلاحظ أن لاكاتوش يصر على الاحتفاظ التراكمي بالنجاح التفسيري بدرجة لا تقل عن إصراره على عرض التنبؤات المبتكرة. لذا فإن برامج البحث التقدمية الوحيدة هي تلك التي تلبي متطلبات (CP).

يشير لودان إلى موقف ما بعد الوضعيين الذين رفضوا، بعد جهد كبير وبصفة خاصة توماس كون، حيث قال:[40] "إذا تم تفسير التقدم على أنه مشمول بالتراكمية (involving cumulativity)، فإنه يمكن تعديل كل النظريات دون أن تفقد خطواتها الرئيسية بواسطة التعديل في الفروض المساعدة." هذا الخيار ينبع من الاعتقاد التقليدي بأن العقلانية العلمية مرتبطة بشكل مباشر بمدى تقدم العلم أو تراكم معرفته. التقدم العلمي، وفقاً لكارل بوبر، يعتمد على الاختبار والتجربة والقدرة على تفسير نجاحات النظريات السابقة. أما إمري لاكاتوش، فيؤكد أن التقدم يحدث عبر برامج معرفية تراكمية، حيث يتم الحفاظ على نجاحات الفرضيات القديمة بينما يتم تعديل الفروض الجديدة. من جهة أخرى، يرى توماس كون أن العلم قد يمر بتحولات ثورية كبيرة (paradigm shifts) حيث يتم تغيير الأسس العلمية بالكامل. وأخيراً، يشير لودان إلى أن التقدم يمكن أن يكون تدريجياً، حيث يمكن تعديل النظريات بطرق تدريجية دون هدم الأسس الأصلية.

وفق هذا المنطق، إذا لم يكن العلم تراكمياً أو تقدمياً بالمعنى التقليدي، فإن معظم الممارسات العلمية لا يمكن اعتبارها عقلانية. وبذلك، يصبح تقييم العلم في الماضي والحاضر قاسياً، لأنه يفرض معياراً صارماً يفترض أن كل نظرية علمية يجب أن تحافظ على المحتوى المعرفي السابق أو تقيمه وفق معيار التقدم التراكمي. بالتالي، يمكن القول إن التقدم العلمي ليس دائماً تراكمياً أو ثورياً فقط، بل هو مزيج من التراكم المعرفي والتعديل التدريجي، وأحياناً التحولات الثورية التي تعيد صياغة أسس الفهم العلمي.

إن ما يهدف لودان في هذا الجزء هو توضيح:

[40] **محمد علي، محمود. التفكير العلمي ومستجدات الواقع المعاصر، ناشر مؤسسة هنداوي، 2014، ص96.**

1"[41]–أنه بالفعل يوجد العديد من الأحداث غير التراكمية في تاريخ العلم.

2–وأن العديد من هذه الأحداث قد استبدلت بنظريات مؤسسة بشكل عقلي صحيح بأخرى لاحقة غير تراكمية.

3–أنه يمكن الاحتفاظ بفكرة التقدم المعرفي والدفاع عنها عن طريق إقصاء (أو استبعاد) (CP).

أن فشل (CP) في فهم الحالات التاريخية يعد دليلاً على الغموض المفاهيمي الكبير المتعلق بالعلاقة بين النظرية والدليل. من جهة ثانية، يوضح لودان الشكل الثاني لـ (CP)، [42]"وهي النسخة الأكثر تطرفاً، لذا يطلق عليها دعوى التراكمية الكلية Total Cumulative Retention (total (CPt)). يرى لودان أنه يجب أن تكون "T2 أكثر تقدمية من T1، إذا كانت فقط T2 تستلزم كل النتائج الصادقة لـ T1 بالإضافة إلى بعض النتائج الأخرى الصادقة."

إن أكثر صعوبة ظاهرة مع (CPt) هي أنه لا يمكننا إحصاء الفئة الكاملة من النتائج الصحيحة القابلة للملاحظة لأي اثنتين من النظريات الكلية (T2 وT1). ومن ثم، فإن أي مقارنة مباشرة بين نتائجها الصحيحة تعد مستحيلة.

لذا يشير لودان عندما يصف (CPt) التقدم، أنه لن نستطيع تبرير حالات محددة فقط. إذ عندما نحاول تطبيق معيار التقدم التراكمي على تاريخ العلم، نجد صعوبة كبيرة في تبرير أي حالة محددة على أنها تقدم تراكمي حقيقي. بمعنى آخر، لا توجد حالة تاريخية رئيسية يمكن فيها التأكد من أن نظرية لاحقة احتفظت بالكامل بالمحتوى المعرفي للنظرية السابقة، سواء كان هذا المحتوى صائباً أو زائفاً. وهذا يكشف أن الفكرة التراكمية، رغم بساطتها المفاهيمية، لا تتوافق مع الوقائع التاريخية لتطور العلم.

كما يوضح لودان الشكل الثالث، وهو صيغة أضعف لـ (CP) يطلق عليها التراكمية الارتجاعية Retrospective Cumulative Retention (CPr). تقتضي هذه الصيغة[43] "أن تكون T2 تقدمية بالنسبة لـ T1 إذا استطاعت T2 أن تتنبأ بكل التنبؤات الصحيحة المعروفة لـ T1، أو إذا استطاعت T2 أن تجيب عن كل الأسئلة المعروفة التي أجابت عنها T1، أو قامت بحل كل المشكلات المعروفة التي قامت بحلها T1، وإذا أمكن لـ T2 أيضاً أن تتنبأ بشكل صحيح ببعض الوقائع التي لم

[41] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية، ترجمة فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص230.

[42] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية، المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة.

[43] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية، ترجمة فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص232.

تتنبأ بها T1، أو تفسر ما لم تفسره T1". ويمكن أن نجد صياغة نموذجية لـ (CPr) في زعم Heinz Post[44] حين يقول: [45] "فإن النظريات الجديدة قد قامت بتفسير كل (جزء قامت أسلافها بتأييده بقوة). وعلى عكس كون، لا يوجد أبداً هنا أي خسارة للقوة التفسيرية الناجحة."

بدل أن نشترط أن النظرية الجديدة تستوعب أو تستلزم النظرية القديمة بالكامل (كما في CP)، يكتفي لودان بشرط أخف: أن تكون النظرية الجديدة أفضل في حل المشكلات، حتى لو لم تحافظ على كل نجاحات النظرية أو كل النتائج السابقة. على سبيل المثال: لدينا النظرية T1 التي نجحت في حل المشكلات: A, B, C,

ثم تأتي النظرية T2 التي تحل: A, B, C, D. وفق (CP) الصارم: قد لا نعتبر T2 تقدماً إذا لم تكن تستلزم T1 أو تعيد إنتاج كل نتائجها بنفس الطريقة. أما وفق (CPr) نقول إن T2 تمثل تقدماً لأنها: حافظت على حل المشكلات السابقة (A, B, C).

لذا يرى لودان: [46]"أن شروط التقدم التي تطلبها (CPr)، تماماً مثل تلك التي تطلبها (CPt)، قد تم الإخلال بها بصفة عامة عن طريق ما نعرفه عن مسار التطور العلمي. إن العيب الرئيسي في كل من صياغتي (CP) هو تعهدهما بما يطلق عليه لودان نموذج الدمية الروسية للتقدم المعرفي". وفقاً لهذا النموذج، كل نظرية مقبولة تشمل على كل النجاحات التفسيرية للنظريات السابقة عليها، وهذا هو المطلب الذي يثبت في النهاية أنه إلغاء لكل من (CPr و CPt). أن محاولات الدفاع عن (CPr) تمثل جهوداً للحفاظ على فكرة التراكمية بطريقة مرنة أو جزئية، لكنها تظل غير واقعية تاريخياً وغير متوافقة مع طبيعة تطور العلم. من هذا المنظور، يقدم لودان تحليلاً أكثر عملية وواقعية للتقدم العلمي: بدلاً من التركيز على ما تم الاحتفاظ به من النظرية السابقة، ينظر إلى مدى قدرة النظرية الجديدة على معالجة المشكلات الجديدة والقديمة بفعالية أكبر.[47] "إذا تم حل مشكلة ما Pa عن طريق النظرية T1، غير أنه لا يمكن التعبير عنها في إطار T2، فإن Pa كانت الأقل اهتماماً من مؤيدي T2، وبالتالي

---

[44] هينز بوست (Heinz Post) هو فيلسوف وعالم مناهج معروف، وقد عمل بشكل رئيسي في مجال فلسفة العلوم، خاصة في موضوعات تتعلق بالمنهجية والعقلانية في العلوم. يركز عمله على تحليل الطريقة التي تتطور بها المعرفة العلمية وتفسير العلاقات بين مختلف نظريات المعرفة.

[45] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية، المصدر السابق نفسه، ص232.

[46] المصدر السابق نفسه، ص234.

[47] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية، ترجمة فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص234.

تعتبر مشكلة زائفة لا يجب توقع أن T2 سوف تحلها. وبالمثل، قد لا يرى المدافعون عن T1 بعض النجاحات الواضحة لـ T2 على أنها نجاحات تفسيرية أصلية (تحديداً، تلك التي لا يمكن تمثيلها في إطار T1)."قد يقترح المدافعون عن التراكمية نسخة معدلة من (CPr) كما تعبر عن هذه السطور: إن إية نظرية لاحقة، T2، تكون تقدمية بالنسبة لسابقتها T1 فقط إذا حققت كل من التالي:

1-إذا تمكنت T2 من حل المشكلات التي حلتها T1 والتي تم صياغتها بشكل جيد في إطار T2.

2-يمكن لـ T2 أن تحل بعض المشكلات الإضافية التي تم صياغتها بشكل جيد ولكن لم تحلها T1.

لذا يرى لودان:[48] "حيث يسهل توضيح أن العديد من المشكلات التي حلتها النظريات السابقة في تاريخ العلم لم تحلها النظريات اللاحقة لها مباشرة، حتى مع إمكانية صياغة تلك المشكلات بشكل مترابط بلغة تلك النظريات اللاحقة. إن كان هذا الزعم صحيحاً، وإذا كنا نرغب في حماية معنى التقدم الذي يمكن تطبيقه على حالات نموذج التغير التقدمي، فإنه يتوجب التخلي عن (CPt) وكذلك (CPr)."

ويوضح لودان في موضع اخر بالتفصيل[49] "أن يقدم فكرة معقولة تماماً عن التقدم العلمي، حتى مع وجود خسائر تفسيرية، وكذلك أيضاً مع وجود مكاسب مرتبطة بتحولات النظرية". وهذه الفكرة تنفصل بقوة عن الاعتقاد المحبب لدى الوضعيين وما بعد الوضعيين على حد سواء القائل بأن الاحتفاظ التراكمي بالنجاحات التفسيرية المؤيدة يعد شرطاً مسبقاً لحكم التقدم، موضحاً أن رفضه للتراكم باعتباره شرطاً ضرورياً أو كافياً للتقدم العلمي لا يعني أنه يرفض وجود تغيرات متراكمة وأنها ذات قيمة معرفية، لكنها لا تستحق أن تكون شرطاً ضرورياً للتقدم. لذا يقول لودان:[50] "إذا أردنا إنقاذ فكرة التقدم العلمي، يجدر بنا أن نهدم العلاقة التي تربط بين الاحتفاظ التراكمي وبين التقدم، لكي نسمح بإمكانية التقدم حتى ولو كانت الخسائر التفسيرية مساوية للمكاسب. تحديداً، ينبغي أن نعمل على ابتكار وسيلة تمكننا من جعل المكاسب أكثر من الخسائر، وهو أمر بالغ التعقيد مقارنة بالتقدم التراكمي البسيط. ولم نقترب بعد من إيجاد وتفسير مطور لها، غير أننا يمكن أن نضع الخطوط العريضة لمثل هذا التفسير." الوسيلة التي يتحدث عنها لودان باعتبارها مبدأ المقياس المتقدم، والتي يقصد بها إنقاذ فكرة التقدم العلمي، هي تحليل

---

[48] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية، المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة.

49Loudan, Larry, reconciling progress and Loss "in beyond positivism relativism ,ch, P.122.

50Loudan, Larry, reconciling progress and Loss "in beyond positivism relativism, ch, P.82-81.

تكلفة الفائدة (cost-benefit analysis)، ويعتبرها أداة متطورة لمثل هذا الموقف. تحديداً، حين يتم هذا التحليل من خلال نموذج حل المشكلة على النحو التالي، كما يقول: [51] "من المعروف أن تحديد عدد وتحديد أهمية المشكلات الإمبيريقية في كل نظرية، وأيضاً تحديد عدد وثقل انحرافاتها الإمبيريقية، وأخيراً تحديد عدد ومركزية الصعوبات أو المشكلات التصورية التي تكتنفها إنما يساعد على حلها. ضمن وضع مقاييس مناسبة، وعن طريق المبدأ الذي وضعناه لمقياس التقدم، ستكتشف لنا سبل تفضيل النظرية التي يمكنها أن تساهم أكثر من غيرها في حل أكبر عدد ممكن من المشكلات الإمبيريقية المهمة، وفي الوقت نفسه توليد أقل عدد ممكن من حالات الشذوذ والمشكلات التصورية والمهمة".

يؤكد لودان رفضه للتقدم التراكمي موضحاً كيف انتقلت هذه الفكرة من الوضعية المنطقية إلى ما بعد الوضعيين. لذا يرى: [52]"أن التراكمية ليست ضرورية أو كافية للتقدم العلمي، إلا أنها لا تحقق الموقع الأعلى أو الأهم في فلسفات العلم التي جعلت منها شرطاً ضرورياً للتقدم". هذا الحل من وجهة نظر لودان يتيح التحدث عن نظرية عقلانية متقدمة دون اختزان تراكمي للمضمون، وبذلك يكون قد رفض التقدم الثوري والتقدم التراكمي بالمعنى الذي أوضحناه.

مقترحات البحث

إعادة تعريف العقلانية العلمية: يوضح البحث أن فلسفة لاري لودان تقدم تصوراً مختلفاً للعقلانية العلمية، حيث لا يتم تقييم العلم بناء على معيار الصدق أو التراكم التقدمي، بل يتم تقييمه وفقاً لقدرة النظريات على حل المشكلات الإمبيريقية والتصورية. يعد هذا التحول خطوة مهمة في فهم كيفية تطور العلم بشكل ديناميكي.

نقد فكرة التقدم التراكمي (CPt وCPr): يؤكد البحث، من خلال تحليل نصوص لودان، أن فكرة التراكم الكامل أو الجزئي لا تعكس الواقع التاريخي لتطور النظريات العلمية. العديد من النظريات

51Loudan, Larry, reconciling progress and Loss "in beyond positivism relativism, ch, P.3.

[52] لودان، لاري. تجاوز الوضعية والنبوية، ترجمة فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص234.

الجديدة تتخلى عن أجزاء من النظريات السابقة، لكنها تحقق تقدماً حقيقياً من خلال معالجة مشكلات لم يتم حلها سابقاً.

التقدم العلمي عملية ديناميكية: يتضح من تحليل موقف لودان أن التقدم العلمي ليس بالضرورة عملية خطية أو تراكمية، بل هو عملية متغيرة وديناميكية تعتمد على مدى فعالية النظرية الجديدة في معالجة المشكلات القائمة. وبالتالي، يجب فهم التاريخ العلمي كسلسلة من التحسينات في القدرة التفسيرية، وليس مجرد تراكم للمعرفة.

أهمية نموذج حل المشكلات: يمثل نموذج حل المشكلات عند لودان معياراً موضوعياً لتقييم التقدم العلمي، إذ يساعد على فهم تطور العلم بشكل واقعي ومتوافق مع الأمثلة التاريخية. هذا النموذج يميز بين النظريات وفقاً لفاعليتها العملية، وليس فقط لوفائها بمعايير التراكم.

تطبيق معيار حل المشكلات في تحليل النظريات العلمية: ينصح الباحثون في فلسفة العلم ودراسة تاريخ العلوم باستخدام معيار حل المشكلات لتقييم التقدم العلمي بدلاً من الاعتماد على معيار التراكم أو الاقتراب من الصدق، خاصة عند تحليل التحولات الكبرى في النظريات.

إعادة تقييم الدراسات التاريخية للعلم: ينبغي إعادة دراسة التاريخ العلمي مع التركيز على تغيرات النظريات وقدرتها على معالجة المشكلات، بدلاً من تقييمها وفق معيار التراكم التقدمي. هذا سيساهم في فهم أعمق لديناميكية تطور العلم.

توسيع البحث في فلسفة العقلانية: يجب تعزيز الدراسات التي تربط العقلانية العلمية بقدرة النظريات على حل المشكلات، بما في ذلك البحث في أمثلة تاريخية لتوضيح دور العقلانية في تقدم العلم.

قائمة المصادر والمراجع:

1. بوبر، ك. (2003). (*أسطورة الإطار*) ي. ط. الخولي، مترجم. سلسلة عالم المعرفة. (العمل الأصلي منشور في 1994)

2. جيليز، د. (2009). (*فلسفة العلم في القرن العشرين*) ح. علي، مترجم. دار التنوير للطباعة والنشر. (العمل الأصلي منشور في 1985)

3. الخولي، ي. ط. (2000).*فلسفة العلم في القرن العشرين: الأصول – الحصاد – الآفاق المستقبلية* .المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

4. دون تحديد سنة النشر (د.ت): الكرساوي، أ. .*مدخل إلى نظرية المعرفة* .تكوين للدراسات والنشر.

5. ريشبناخ، هـ. (1951). (*نشأة الفلسفة العلمية*) ف. ذكريا، مترجم. دار الوفاء للطباعة والنشر.

6. فييرابند، ب. (2000). (*العلم في المجتمع الحر*) ا. نفادي، مترجم. المركز القومي للترجمة. (العمل الأصلي منشور في 1978)

7. قاسم، م. م. (1986). *كارل بوبر نظرية المعرفة في ضوء المنهج العلمي* .دار المعرفة الجامعية.

8. كون، ت. (2007).(*بنية الثورات العلمية*) ح. ح. إسماعيل، مترجم. المنظمة العربية للترجمة. (العمل الأصلي منشور في 1962)

9. لاكاتوش، إ. (1997). (*فلسفة العلوم برامج الأبحاث العلمية*) م. ع. م. علي، مترجم ج6، ط1.

10. لودان، ل. (2016).(*التقدم ومشكلاته: نحو نظرية في التطور العلمي*) ف. إسماعيل، مترجم). المركز القومي للترجمة. (العمل الأصلي منشور في 1977)

11. لودان، ل. (2016). (*تجاوز الوضعية واللا نسبوية*) ف. إسماعيل، مترجم. المركز القومي للترجمة.

12. محمود، ز. ن. (1985). *نحو فلسفة علمية*.

13. محمد أبو علي، أ. ع. (د.ت). *إشكالية التقدم العلمي: دراسة في فلسفة لاري لودان* . وجهات نظر.

14. محمد علي، م. (2014). *التفكير العلمي ومستجدات الواقع المعاصر* .مؤسسة هنداوي.
15. إسماعيل، ف. (2016) .*مشكلة التقدم العلمي* .دار الجمهورية للصحافة.

16. إسماعيل، ف. (2023). (*فلسفة العلم عند لاري لودان*) ط1. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
17. إسماعيل، ف. (د.ت) .*معضلة التقدم العلمي* . حلقات الجدل.
18. يفوت، س. (1982). (*العقلانية المعاصرة بين النقد والحقيقة*) ط1. دار الطليعة للطباعة والنشر.
19. عبد العزيز، إ. (2022) رؤية نقدية لمفهوم التقدم العلمي عند لاري لودان، (مجلة جامعة أسيوط)، عدد: 48،

المرجع الأجنبي (بالإنجليزية)

20Laudan, L. (n.d.). Reconciling progress and loss. In *Beyond positivism and relativism* (p. 1221).

المؤسسة العسكرية العثمانية بين الإيجابية والسلبية

(دراسة تحليلية في أثرها الإداري والاقتصادي والاجتماعي)

د. علي إبراهيم*

-ملخص-

حفل التاريخ العالمي بظهور العديد من الدول العظمى والتي كان لها الأثر الكبير في تغيير خارطة العالم على مر العصور ، وكانت الدولة العثمانية من أشهر الدول الإسلامية التي بلغت من المكانة والشأن ضمن التاريخ و امتدت إلى ستة قرون ونيف ، فقد كانت من أعظم الدول من حيث المساحة والعمر وقد شهد العثمانيون مختلف التطورات التي عرفها العالم خلال القرن الثالث عشر نظروا إلى الحرب على أنها واجبهم الأول واستأثر الجيش بالمكانة الأولى من عناية السلاطين، فقد كان المبدأ الأساسي لديهم الغزو والجهاد وكانت المؤسسة العسكرية العماد الذي قامت عليه توسعاتهم وسيطرتهم على المناطق المختلفة ، وبالتالي فإن شرعية هذه المؤسسة جاء من خلال إسهامها الفاعل في ذلك الصعود والنمو العثماني فكانت النشأة على أكتافها والحدود رسمت على أساس قدرتها في الحماية فكان دورها استثنائياً في حياة العثمانيين ، وجاء هذا البحث ليسلط الضوء على إسهامات تلك المؤسسة إدارياً، واقتصادياً واجتماعياً بعيداً عن المنحى التقليدي العسكري ومعرفة الصورة الإيجابية التي قدمتها، وكيف تحولت إلى المنحى السلبي وأبرز الانعكاسات الناجمة عن ذلك ،وتنطلق هذه الدراسة من فرضية منهجية تؤكد أن المؤسسة العسكرية العثمانية لم تكن مجرد أدالة قتالية حربية،بل كانت البنية الهيكلية الشاملة التي صاغت الجوانب الإدارية والاقتصادية والاجتماعية للدولة،وبناء عليه فإن تحليل هذه الأدوار

* أستاذ مساعد-كلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة اللاذقية -اللاذقية -سوريا

والارتدادات المتداخلة يعد مدخلا بنيويا إلزاميا لتفسير مدى كفاءة القدرة العسكرية العثمانية ، وفهم آليات تحولها من منطلق القوة والإيجابية التنظيمية إلى منزلق الضعف و السلبيات الإدارية الناتجة عن تغلغل النفوذ العسكري في مفاصل الدولة.

الكلمات المفتاحية : المؤسسة العسكرية ، الدولة العثمانية ، المالية ، الإدارية ، الأثر

The Ottoman Military Institution: Between Positive and Negative Aspects

An Analytical Study of its Administrative, Economic, and) (Social Impact

-Abstract-

World history is replete with the emergence of many great powers that had a significant impact on changing the world map throughout the ages. Among the most famous of these Islamic states, which attained a position of prominence and importance in history that extended for over six centuries, was the Ottoman Empire. It was one of the greatest states in terms of area and age. The Ottomans witnessed various developments that the world experienced during the thirteenth century. They viewed war as their primary duty, and the army occupied the foremost place in the sultans' attention. Their fundamental principle was conquest and jihad, and the military institution was the pillar upon which their expansions and control over various regions were based.

Consequently, the legitimacy of this institution came through its active contribution to that Ottoman rise and growth. The state was founded upon its shoulders, and borders were drawn based on its ability to protect them. Its role was exceptional in the lives of the Ottomans. This research aims to shed light on the contributions of that institution administratively, economically, and socially, moving beyond the traditional military approach, to understand the positive image it presented, how it turned negative, and the most prominent repercussions resulting from that.

Keywords: Military establishment, Ottoman state, finance, administration, impac

مقدمة :

كانت المؤسسة العسكرية وليدة للطبيعة القبلية العسكرية للعثمانيين منذ نشوء إمارتهم في الأناضول في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، إذ برزوا كتنظيم قبلي ذي نزعة عسكرية بحكم الظروف الصعبة التي كانت تحيط بهم وقد وصفت إمارتهم نتيجة لذلك ب(إمارة الغزاة)، وقد تمكنت من تحقيق النجاح بصورة تدريجية بفعل ذلك التنظيم العسكري وتوسعت على حساب جيرانها البيزنطيين في الغرب، والسلاجقة في قونية بآسيا الصغرى من طرف آخر وحافظ العثمانيون على طابعهم العسكري حتى نهاية دولتهم .

هذا وقد برع العثمانيون في التنظيم العسكري فقد اقتبسوا الأساليب التي كانت سائدة لدى السلاجقة ومزجوا معها خبرتهم ونتاج دراساتهم للأساليب العسكرية البيزنطية، ولم يكتفوا بذلك بل عملوا على

تطويرها، وغدت الأساس التي بنيت عليه مؤسستهم العسكرية، والجدير بالملاحظة أن ما عزز نمو النزعة العسكرية لدى أفراد هذه الإمارة وقوعها على الحدود أو ما يسمى (دار الحرب).

لقد انطوت داخل هذه المؤسسة العسكرية عدة تشكيلات منها ما كان نظامياً، ومنها ما كان غير نظامي كانت جل اعتماد العثمانيين عليها خارجياً ، فقد كانت القوات الإقطاعية في المقدمة سواء من حيث القدم أو من خلال ما وفره ذلك النظام الإقطاعي من موارد لها، وإعداد الكثير من الجند دون أن يكلفها ذلك أعباء مالية في حين مثل الجيش الإنكشاري الركيزة العسكرية الأخرى للدولة لا سيما مع تراجع وتلاشي دور القوات الإقطاعية شيئاً فشيئاً وتحول أفراد هذه الفرقة إلى قوام المؤسسة العسكرية .

وإلى جانب القوتين المذكورتين كان هناك قوى أخرى مساعدة ومكملة لها ، مثل سلاح المدفعية والنقل والذين لم يقل دورهم عن سابقيهم، وأبلوا بلاءاً حسناً في الحروب الأولى من عمر الدولة العثمانية ، فضلاً عن القوة البحرية، والتي نمت في عهد السلطان محمد الفاتح، وتطورت قدراتها القتالية في عهد السلطان سليمان القانوني لتشهد ضعفاً عاماً بعد وفاته ..

وعلى الرغم من أن الدور الأول لهذه المؤسسة هو الشق الحربي إلا أن هذا البحث جاء ليسلط الضوء على مضمار آخر هام أسهمت فيه ضمن النواحي الإدارية والمالية، والاجتماعية والتي كانت ذات ارتباط وثيق في صعود الدولة أيضاً وتدهورها في ذات الوقت، وبيان كيف تجلى ذلك وما هي أهم نتائجه .

أهمية البحث وسبب الاختيار:

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال تجاوز سرد المعارك والفتوحات فأغلب الدراسات حول الدولة العثمانية تركز على تاريخها السياسي والعسكري فكان البحث محاولة لتحليل الكيفية التي شكلت بها المؤسسة العسكرية الهيكل الإداري والمالي للدولة وما هي أبرز الخدمات الاجتماعية التي أسدتها، كما أن البحث محاولة لفهم البنية المؤسسية للدولة فالمؤسسة العسكرية لم تكن مجرد جيش بل كانت مختبراً لإنتاج

النخب الإدارية (مثل الصدر الأعظم والولاة) ومحركاً للسياسات المالية (نظام التيمار ، الضرائب الحربية ، إدارة الغنائم) كما تستمد الدراسة أهميتها أيضاً من شق آخر هو محورية المؤسسة العسكرية في التأسيس والتطور، فقد كانت العمود الفقري للدولة منذ نشأتها فهي أداة التوسع، والفتح وهي صانعة القرار السياسي .

إشكالية البحث :

كيف تجلى الأثر المتبادل والجدلي بين المؤسسات العسكرية العثمانية والنظامين الإداري والمالي والواقع الاجتماعي للدولة ؟ وإلى أي مدى شكل هذا التفاعل الديناميكي جوهر القوة الصاعدة للدولة في فترات ازدهارها ثم تحول مع تغير المعطيات إلى أحد الأسباب العميقة لأزمتها الداخلية وتراجعها ؟

ولشرح هذه الإشكالية المعقدة وتحليلها يمكن تقسيم البحث عبر التساؤلات الفرعية التالية :

1-كيف أسهمت المؤسسة العسكرية في خلق النخبة الإدارية والمالية والاجتماعية؟

2-ما هي الأسس المالية التي قامت عليها المؤسسة العسكرية وكيف شكلت هذه الأسس النظام المالي للدولة بأكمله ؟

3-من هي أبرز الشخصيات التي كانوا نتاجاً لنظام الدفشرمة ولعبوا دوراً في نواحي الدولة العثمانية المالية والإدارية والاجتماعية ؟

3-كيف أصبحت المؤسسة العسكرية بذاتها عاملاً مباشراً في إثارة الأزمات المالية والإدارية والاجتماعية ؟

منهج البحث :

تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج التحليلي الذي يقوم على تفكيك النصوص إلى عناصرها الأولية ودراستها بصورة دقيقة كل منها على حدى بهدف الوصول إلى فهم شامل ونتائج علمية تستند إلى الأدلة والحجج وليس مجرد وصف أو رفض .

أولاً : شكل القوة العسكرية للدولة العثمانية في مراحلها الأولى :

لقد كانت فكرة الجهاد هي الطاغية على عقول العثمانيين منذ بروزهم على مسرح الأحداث ومن الطبيعي كنتيجة لذلك أن ينصب اهتمام سلاطينهم على القوة الحربية، وكيفية تطويرها وخلق جيش قوي قادر على الانطلاق بفتوحاتهم وتحقيق الانتصارات المتعددة . [1]

احتل الجيش مكانة بالغة الأهمية في حياة الدولة العثمانية فقد كان يعد أداة واحدة للحكم والحرب فقد كانت الدولة العثمانية جيشاً قبل كل شيئ [2]، وبالتالي يمكن القول بأن الخصيصة الأولى للدولة العثمانية كانت العسكرية الصارمة والتي بدورها طبعت تصرفات العثمانيين، والدولة وسياستها العليا ، هذا ولم تكن تلك النزعة لدى العثمانيين طارئة، بل كانت أصيلة[3] والتي كانت مستمدة من بيئتهم الأولى في سهول آسيا. [4]

([1]) الغازي ، أماني بنت جعفر.(2007) . دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العمانية ، دار القاهرة ، مصر ،ص29.

([2]) ياغي ، إسماعيل أحمد.(1997). العالم العربي في التاريخ الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض ،ص81.

([3]) الشناوي ، عبد العزيز محمد .(2004). الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة ،ج1،ص121

([4]) ياغي ، إسماعيل أحمد .(1996). الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض ،ص12.

اعتمد على المتطوعين في المراحل الأولى من عمر الدولة العثمانية في نواحي الحرب والجهاد فلم يكن هناك أي شكل للقوة العسكرية إلا المجاهدين الذي كان لهم دور واضح في تثبيت الدولة الناشئة وإرساء قواعدها فكانوا أداة الحرب في تلك الفترة . [1]

قبل القرن الرابع عشر الميلادي لم يكن للدولة العثمانية جيشاً نظامياً وإنما اعتمدت في عملية توسعها الأولى على قوة الخيالة والإقطاعيين[2]،حيث كان الجيش في عهد السلطان العثماني عثمان الأول(687-726هـ/1299-1324م) [3] يتألف من وحدات شبه عسكرية قبلية – أي من كل قبيلة وحدة عسكرية[4] ، وكانت هذه الفرق مقسمة إلى وحدات تتألف من عشرة أنفار ومئة نفر وألف نفر وكانت الدولة تدفع إلى أصحاب الإقطاعات العسكرية أقجة [5] واحدة كل يوم طوال الحملة العسكرية

([1]) الغازي . دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العمانية، ص29.

([2]) غربي ، الغالي . (2007).دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288-1916م) ، ديوان المطبوعات العربية ، الجزائر ،ص38.

([3]) السلطان عثمان الأول(687-726هـ/1299-1324م):أبو الملوك السلطان الغازي بن أرطغرل بن سليمان شاه، زعيم عشيرة قايي التركية وعامل سلاجقة الروم على إحدى الثغور الأناضولية ومؤسس السلالة العثمانية التي حكمت البلقان والأناضول والمشرق العربي والمغربين الأدنى والأوسط ،ولد سنة (656هـ)، وشب على البطولة والبسالة والكرم ولما انتقل والده إلى جوار ربه خلفه في قيادة جيش عشيرته وتوسعت الدولة في عهده توفي سنة (726هـ/1324م) ودفن في زاوية قلعة بروسة . حسنين، إبراهيم.(2014). سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، دار التعليم الجامعي ، ليبيا ، ص37.

([4]) بيتروسيان ، إيرينا . (2007).الانكشاريون في الإمبراطورية العثمانية ، تح: قسم الدراسات والنشر ، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، ،ص38.

([5]) أقجة :هي الوحدة الأساسية الأولى للنظام النقدي العثماني ، و هي عملة فضية صكت لأول مرة بمرسوم سيادي في عهد السلطان أورخان غازي بمدينة بورصة عام 727هـ/1327م كرمز للاستقلال الاقتصادي . تميزت في بدايتها بنقاء فضي عال و وزن قارب 1.15 غرام ونتيجة للتضخم و بخس العملة لاحقا ،تراجعت قيمتها حتى استقرت حسابيا في العصور المتأخرة بحيث أصبحت البارة الواحدة تساوي 3 أقجات ، والقرش يساوي 120 أقجة . عامر ، محمود .(2024). المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية ،مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، ع117، ص355-381.

[1]، إضافة إلى جيش اليايا[2] التي تمت على يدها الفتوحات الأولى للعثمانيين، والتي كانت محصورة في منطقة الأناضول[3] وقد نظر إلى هذا الجيش على أنه الأساس الذي بنى السلاطين من خلاله قاعدتهم العسكرية. [4]

استعانة الدولة العثمانية أيضاً في تلك الفترة بجماعات الدراويش والتي تشكلت تحت مجموعة من التسميات منها :(غازيان روم) أي الآخية الروم و(أبدلان روم) أي درويش الروم وكان لهم دور كبير في عملية تتريك الأرضي التي يسطرون عليها. [5]

وبالتحليل المنهجي ،فإن هذا الحضور الاجتماعي والديني لجماعات الدراويش والآخية لم يكن حراكا مدنيا معزولا ، بل مثل استراتيجية عسكرية غير نظامية (لوجستية و عقائدية)وظفها السلطان عثمان الأول لتأمين خطوط ظهر القوات العثمانية ، وتحويل السواحل والمناطق المفتوحة حديثا في الأناضول

([1]) بروكلمان ، كارل .(1986). تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر : منير البعلبكي ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ص414.

(3) اليايا(المشاة): جاء تشكيلهم كتوسع للإمارة العثمانية ، حيث رأى القادة العثمانيون ضرورة الاعتماد على قوات المشاة إلى جانب الفرسان فتشكلت هذه الفرقة من المسلمين الأتراك ، حيث يدفع لهم أجر أيام الحرب مقابل إعفائهم من الضرائب الزراعية بعد انتهام مهامهم العسكرية والعودة إلى أراضيهم وعندما دب الفتور بينهم وخمدت همتهم العسكرية جعل العثمانيين يبحثون عن إيجاد تعويض للتقص العسكري الذي تسببت به هذه الفرقة مما أدى إلى استحداث تشكيلات الجيش الإنكشاري . مروان ، محمد عمر .(2017). الإنكشاريون قوة الدولة وضعفها ، المجلة العلمية لكلية التربية ،ليبيا ، م2،ع8 ، ص321.

([3]) الأناضول : عرفت بلاد الأناضول عبر العصور التاريخية بأسماء مختلفة ، فقد عرفت في العصور القديمة باسم آسيا الصغرى ، كما أطلق عليها البيزنطيون اسم أنا توليا ،وكانت تعني أكبر التقسيمات في الإمبراطورية البيزنطية بآسيا، كما عرفت عند مؤرخي وجغرافي العرب في العصور الوسطى باسم بلاد الروم ، ومن حيث موقعها الجغرافي فهي تتدرج من الشمال إلى الجنوب لقارة آسيا متجهة صوب أوروبا، وهي تحديداً على أرض تركيا غرب آسيا بين سلسلتين جبليتين هما سلسلة بطنس في الشمال وسلسلة طوروس في الجنوب وتقع بين خطي عرض ستة وثلاثون و اثنان واربعون شمالاً، وبين خطي طول ستة وعشرون وخمسة وأربعون شرقاً . موستراس ، س.(2002). المعجم الجغرافي للدولة العثمانيَّة، تر: عصام احمد الشحادات، دار ابن حزم ، بيروت ،ط1، ص 200.

([4]) غربي . دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288–1916م)،ص37.

([5]) مجموعة من المؤلفين .(2008). موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،ص84.

إلى بيئة ديموغرافية حاضنة و آمنة ، مما شكل ركيزة إسناد اجتماعي وإداري دائم مكّن المؤسسة العسكرية الناشئة من مواصلة فتوحاتها.

بالإضافة إلى ما سبق فقد لدى السلطان عثمان الأول(687–726هـ/1299–1324م) حرسه العسكري الخاص المشكل من النواكير وهو من التقاليد القديمة التي تعود في جذورها إلى المنظمة الاجتماعية لدى قبائل آسيا الوسطى، وقد وجد لدى المغول ومن مميزات هذا النظام أن أفراده يرون أن من واجبهم خدمة أسيادهم بإرادتهم . [1]

وعلى هذا النحو فالجيش الذي كونه عثمان لم يأخذ صفة الجيش النظامي الذي تعتمد عليه الدول وقت الحاجة إنما كان أفراده يجتمعون وقت الإعلان عن الحرب عند انتشار المنادين بين قوات العشائر الأخرى فيجتمع آلاف المجاهدين من مختلف المناطق المجاورة، ومن القبائل التركية الراغبين في المشاركة بالجهاد متلهفين له . [2]

ثانياً : تشكيلات المؤسسة العسكرية :

1–المشاة :

أدرك السلطان أورخان (723–761هـ/1324–1360 م)عند قيامه بعمليات عسكرية أثناء فتوحاته وتوسيع دولته جغرافياً أنه بحاجة إلى جيش منظم من المشاة يعتمد عليه بعدما كان الفرسان الإقطاعيون يتأخرون في الوصول إلى ساحة القتال ولا يتحملون القيام بعمليات حصار طويلة المدى، وهذا راجع

(1) بيتروسيان ، إيرينا .(2006). الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية ، مركز جامعة الماجد للثقافة والتراث ، الكويت ،ص11.

(2) بن دهيش ، عبد اللطيف .(1988). قيام الدولة العثمانية ، دار النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ،ص28–29.

(3)عاشق باشا زاده ، أحمد بن يحيي (ت1484م). (1914). تواريخ آل عثمان ، تحقيق :عالي بك ، مطبعة أحمد كامل ، الأستانة (اسطنبول)، ص 42.

إلى تفكيرهم لخدمة أراضيهم جعله يسعى جاهداً لتأسيس جيش دائم، وذو احترافية وفق نظام جديد تعددت فئات هذا الجيش وفق المهام الموكلة إليهم [1]، كما قام بتطبيق نظام يسمح له بتكوين هذا الجيش من المشاة مصدره بناء غير المسلمين على النحو التالي :

-نظام الدفشرمة :

تعني في اللغة الجمع والقطف ويطلق عليها ضريبة الغلمان وهي ضريبة آدمية فرضت على المسيحيين من طرف السلاطين، حيث كانت الدولة تجمع الأطفال في سن مبكرة يتراوح أعمارهم ما بين سن السابعة والعاشرة و الذين تم اختيارهم مصدراً لتكوين جيش المشاة بالإضافة إلى الأولاد المشردين والأيتام وهذا وفق قانون الخمس الذي أصدره السلطان أورخان في كل قرية أو مدينة لأن السلطنة العثمانية أثناء فتوحاتها كان لها الحق في أخذ العديد من الغنائم و الأسرى . [2]

أما عن آلية التنفيذ فقد كان السلطان يصدر أوامره إلى مجموعة من المندوبين في تلك المناطق المختلفة لجمع هؤلاء الأولاد، وكان يستثنى من هذا النظام الوحيد لأهله، أو الأطفال الرضع، كما كان يمتنع أخذ من جاوز الحلم لصعوبة تنسيتهم أهلهم، وموطنهم والجدير بالملاحظة أن تطبيق نظام الدفشرمة قد طبق بصورة موسعة على أبناء المزارعين في القرى . [3]

(4) ابن كمال (كمال باشا زاده)، أحمد بن سليمان (ت 1534).(1316هـ). رسائل ابن كمال ، مطبعة أندام ، استانبول ،ص200.

([3]) المحامي ، محمد فريد بك .(1981). تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس ،بيروت ،ص123.

أما عن مدة التجمع فقد كانت تتم كل ثلاث سنوات أما في عهد السلطان بايزيد الأول(1389–1402م) أصبحت عملية دورية ، وكان يتم تلقين هؤلاء الأطفال مبادئ الدين الإسلامي، واللغة العثمانية ويحضرون بدنياً حسب المهام الموكلة بهم ويتحول السلطان للأب الروحي لهم . [1]

وفي بعض الأحيان كان المسؤولون عن تلك المهمة يقبضون الرشاوى من الأهالي المسيحيين وذلك لإنكار وجود أولاد يصلحون للانضمام لنظام الدفشرمة، حيث يقومن بتغيير بيانات الاعتماد في الدفاتر، ويزورون الأعمار لكن لسوء الحظ تم اكتشاف أمرهم من قبل السلطة، كما كان الأهالي يقومون في بعض الأحيان بختان الأولاد باعتبار أن المسلم لا يقبل انخراطه ضمن هذا النظام [2]، وحول هذا النظام يقول كارل بروكلمان : " أن العثمانيين انتزعوا أطفال النصارى بالغصب، والإجبار من أهاليهم واعتناقهم للإسلام دون إرادتهم وذلك لتكوين الجيش الإنكشاري بموجب نظام الدفشرمة "[3] ، كما يقول بيتر شوجر : " يمثل نظام الدفشرمة أوضح نموذج للإكراه لدخول الإسلام ". [4]

–فرقة الانكشارية :

كلمة انكشارية هي جمع لكلمة إنكشاري وهي عبارة تركية تتكون من كلمتين يني وتعني الجديد وجيري ومعناها النظام أي النظام الجديد وهو المصطلح الذي أطلق على نظام الجند الجديد[5] وهم عبارة عن فرقة من المشاة المحترفين لها امتيازاتها الخاصة[6] لقد كان الإسلام عقيدتهم، والقرآن هو كتابهم

([1]) البنا ، سونيا محمد .(2006). فرقة الانكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية ، أتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،ص26.

([3]) أبو غنيمة ، زياد .(1983). جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، سوريا ،ص122.
([4]) شوجر ،بيتر . (1998).أوروبا العثمانية ، ترجمة : عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة ،ص74.
([5]) معاشي ، جميلة .(2007). الانكشارية والمجتمع بباليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،ص2.
([6]) ياغي . الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ،ص91.

والسلطان العثماني والدهم والثكنة مأواهم، والحرب مهنتهم ويعد هذا الجيش أول جيش نظامي عرفه التاريخ وللعثمانيين السبق في نظامه وتكوينه. [1]

يذهب المؤرخون العثمانيون إلى أن فرقة الانكشارية قد جرى إنشاؤها في عهد السلطان أورخان إذ التفت هذا الأخير في بداية حكمه إلى سن قوانين، وإحداث التنظيمات الضرورية لحماية إمارته ، ولهذا اهتم أولاً بإعادة تنظيم الجيش الذي يشكل عماد الدولة كما سلف الحديث. [2]

إذ أنه باشر في إنشاء هذا الجيش عام(1330م)، إلا أن تنظيمه لم يكتمل إلا في عهد السلطان محمد الثاني ثم في عهد السلطان سليمان القانوني، وعلى أية حال فقد استطاع العثمانيون عن طريق هذا الجيش إن يحققوا الفتوحات الواسعة التي قاموا بها في القرن الرابع عشر الميلادي وفي القرون التي تلته، حيث اعتمدوا عليه في تلك الفتوحات، وفي الصمود أمام التحالفات الأوروبية التي واجهتهم، وخطت الدولة العثمانية أمجادها التاريخية وبذلك احتلت الانكشارية مركزاً متميزاً بين فرق الجيش العثماني . [3]

وانطلاقاً من كون الدولة العثمانية دولة إسلامية منذ نشأتها فقد ارتبطت بالطرق الصوفية [4]، اتبع هؤلاء الطريقة الصوفية البكتاشية[5] ، وحسب ما أوردته المصادر العثمانية فقد اصطحب أورخان مجموعة من

(7) الهاشمي ، عبد المنعم . الخلافة العثمانية ، دار ابن حزم ،بيروت ،ص27.

([2]) سرهنك ، إسماعيل .(1312هـ). حقائق الأخبار عن دول البحار ،المطبعة الأميرية ، مصر ، ج1، ص488.

([3]) بكر ، عبد الوهاب .(1982). الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن 18م ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1، ص57.

([4]) لقد كانت الدولة العثمانية من المهتمين بالطرق الصوفية ودعمتهم منذ البدايات لنشأتها لدرجة جعلت فرق في الجيش تابعة لهم وانتسب السلاطين أنفسهم للطرق الصوفية وانتشرت في البلقان مثل المولوية و النقشبندية و البكتاشية والرفاعية . المرسي ، أحمد . (1983). الدولة العثمانية والولايات العربية ، مجلة الدار ،ع4، ص72.

([5]) البكتاشية : كلمة مشتقة من بكتاش حيث جاء هذا الرجل من خراسان في بلاد فارس وعاش في منتصف القرن الرابع عشر ، وقد تسمى بذلك نسبة إلى بكتاش الوالي الذي يقولون أنه ولد بنيسابور فأبوه إبراهيم الثاني وكان والياً على أحد المقاطعات وأمه خاتمة ابنة محمد النيسابوري من علماء نيسابور ولد عام(646هـ/1248م)، وكان له كرامات . سرهنك،

هؤلاء الجند الجد إلى مسكن هذا الوالي وطلب منه أن يباركهم ويخلع عليه اسماً فوضع بكتاش يده على رأس أحد الجند في الصف الأول وقال للسلطان أورخان " إن القوات التي أنشأتها ستحمل اسم يني جري وستكون وجوههم بيضاء وضاءة وستكون أذرعهم اليمنى قوية وسيوفهم بتارة وسهامهم حادة وسيقفون في المعارك ولن يبرحوا ميدان القتال إلا وراية الظفر معقودة لهم" [1]

وتخليداً لبركة بكتاش وضع الإنكشارية على رؤوسهم قلنسوة من اللباد الأبض شبيهة بقلنسوة الدروش وتتدلى منها من الخلف قطعة من الصوف وهي رمز لكم الوالي الذي بارك رقبة زميلهم.[2]

2-الفرسان :

-السباهية :

هم الخيالة والفرسان في الجيش العثماني وتعد هذه الفرقة أقدم أنواع الجنود في الدولة العثمانية ، حيث كانت تعتمد عليها في الفتوحات الأولى لها فهي أكبر القوات العسكرية آنذاك، ويرجع الفصل في استخدام السباهية لأول مرة في الجيش العثماني إلى السلطان أورخان (724-763هـ/1324-1362م) الذي منح لهؤلاء الفرسان إقطاعات مقابل خدماتهم العسكرية . [3]

إسماعيل.(1988). تاريخ الدولة العثمانيَّة، دار الفكر الحديث، بيروت، ج2،ص679؛ النعيمي ، أحمد نوري .(2006). الدولة العثمانية واليهود ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ص209.

([1])المحامي .تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص42؛ بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، ص125-126؛ لبيب ، حسين .(1921). تاريخ المسألة الشرقية ، مطبعة الهلال القاهرة ، ص11-12.

([2]) كوندوز ، عرفان .(1984). الدولة العثمانية والتصوف ، د. ن، استانبول ، ص133؛جودت ، تاريخ جودت ، ج1،ص39؛ البحراوي ،محمد عبد اللطيف . (1988).من خصائص تاريخ العثمانيين وحضارتهم ، مجلة الدرة،ع4 ، ص51، أبو غنيمة ،زياد . جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، دار الفرقان ، استانبول ، 1986م، ص34، مصطفى ، في أصول التاريخ العثماني ، ص43.

([3]) الحويري ، محمود محمد .(2000). تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة ،،ص252.

-السلحدارية :

تتكون كلمة السلحدار من كلمتين سلاح كلمة عربية ودار كلمة فارسية والمعنى الإجمالي لها هي مسك السلاح وتعتبر هذه الفرقة بمثابة الجيش الثاني للفرسان، ويعود ظهورها إلى السلطان بايزيد الصاعقة(1389-1402م)، وتناط بهذه الفرقة مهمة حماية السلطان ومشاركته في محاربة الأعداء أثناء المعارك كما تتضمن هذه الفرقة الأغا حامل السلاح وهو الرجل الذي يحمل سلاح السلطان، ويقف بجانبه دوماً في المناسبات الرسمية والحروب ويتم تعيينه من رجال مدرسة القصر الأكثر خبرة والأقدم سناً ولكن السلاطين فضلوا تعيين من سيحمل سلاحهم بأنفسهم فحامل السلاح يمتلك سلطات عالية جداً ولا بد للسلطان أن يثق به ثقة عمياء [1]، كما كان من مهام هذه الفرقة أيضاً إعداد المائدة السلطانية أثناء نزهة الصيد، كما يقدم السلحدار للسلطان المراسلات القادمة له من وزراءه وتنقل أوامر السلطان بدورها إليهم عن طريقه، كما يترأس السلحدار جميع الخدم والحشم خارج القصر السلطاني. [2]

-قوات القابي قولي :

هي أكبر فرقة في الجيش العثماني وتعد الأقرب والأكثر اتصالاً بالسلطان وتضم الجنود العاديين والفرسان وهي من العناصر الأساسية للجيش العثماني التي تعمل في إطاره بشكل رسمي، وتتبع السلطان العثماني بشكل مباشر وقد كانوا يمتطون الخيل، ويتولون المهام التقنية والتكتيكية داخل الجيش ومن مهمهم الرئيسية رسم الخطط الحربية وحماية القصر وحدود الدولة وصنع البنادق والمدافع والسيوف،

([1])غربي. دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي ، ص31.

([2]) بركات ، مصطفى .(1987). الألقاب والوظائف العثمانية ، ترجمة : فاضل لقمان ، دار الجليل ، دمشق ،ص238.

وكانت تخضع هذه القوات لقوانين صارمة فقد منع أفرادها من التواصل مع أهلهم وذويهم ولا يكون لهم اتصال إلا مع السلطان. [1]

3- القوات المساعدة :

-فرقة المدفعية

هي إحدى الفرق العسكرية التي ظهرت خلال القرن السادس عشر الميلادي وقد تطورت بصورة متسارعة نتيجة لتطور دار البارود طوبخانة ، والتي يعود زمن إنشائها إلى عهد السلطان محمد الفاتح بعد اتخاذ استانبول عاصمة له وكان لهذه الفرقة أثر كبير في ميادين القتال، وقد مكنت العثمانيين من تحقيق جملة من الانتصارات وبلغ الاهتمام بهذه الفرقة ذروته في عهد السلطان سليمان القانوني، حيث تزايد عدد أفرادها بشكل كبير جداً [2] هذا ويمكن تقسيم هذه الفرقة إلى قسمين رئيسيين هما كالتالي:

1-الجبه جي : والتي تعني لابس الدرع وصانع السلاح ومصلحه وقد كلف هذا الجيش بمهمة حراسة ونقل المعدات العسكرية إلى الصفوف الأولى في ميادين الحرب، ولم يكن له استقرار إلا مع وصول السلطان محمد الفاتح للحكم 1451م فقد بلغ عدد هذه القوات 700 رجل ومن ثم وصل في عهد السلطان مراد الثالث إلى 7500وقد وزعت في عدة مناطق وكانوا يحملون اسم العزاب في مصر ويعرف قائدهم بالجبه جي باشي [3]

(1) الشناوي . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،ج1،ص482.

(2) بن حادة ، عبد الرحيم .(2008). العثمانيون المؤسسات والاقتصاد والثقافة ، اتصالات سيبو للنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ،ص127.

(3) دوسون ، مرادجه .(1942). نظام الحكم والإدارة في الدولة العثمانيَّة في عهد مرادجه دوسون، الجامعة الأميركية في بيروت، لبنان، ،ص162.

2-الطوبجية :وتعني المدفعي وجمعها الطوبجية أي المدفعية وأطلق عليهم اسم الزراقين والزراقة بعد اتقانهم الرمي بالمدافع من علم الزراقة أي رمي القوارير من النفط [1] .

وتشير المعطيات التاريخية إلى أن توزيع هذه القوات (مثل الجبة جي و الطوبجية)لم يكن ثابتا أو شاملا لكل أقاليم الدولة بالقدر نفسه، بل خضع لاعتبارات جغرافية وعسكرية أملتها طبيعة الثغور الجبهوية . و بالمثل ،فإن القول " بضرورة " إنشاء أسطول قوي لمجاراة الإمارات المجاورة يحتاج إلى موازنة تاريخية ،إذ تظهر دفاتر التمليك و سجلات الأرشيف العثماني (الأمور دفتري) أن التطور البحري العثماني في بحر إيجة و مرمرة كان تطورا تدريجيا بطيئا ارتبط بمدى توفر الخبرات المحلية(التركمانية واليونانية المسلمة)، ولم يكن قفزة فورية أو نتاج قرار مركزي مطلق . فالوثائق تشير أن السيادة البحرية الكاملة لم تتحقق إلا بعد عقود من الاستعانة ببحارة إمارات الأناضول الساحلية السابقة وتطوير ترسانة "قره مرسل" ضمن سياق اقتصادي وعسكري محدد.

3-البحرية العثمانية :

يعود تاريخ البحرية العثمانية إلى استيطان الأتراك في شبه جزيرة الأناضول فقد كانوا يشعرون بنقص في قواتهم البحرية والتي شكلت عقبة في نشاطهم وفتوحاتهم خلال تلك الفترة مقترنة مع الجنويين والبنادقة والجدير بالذكر أن أول المعارك البحرية للعثمانيين كانت زمن السلطان يلدريم بايزيد مع الجنويين أما مع البنادقة فكانت في عهد السلطان محمد جلبي والتي تلقى فيها العثمانيون شر هزيمة وتوفي قائد البحرية جال بك . [2]

([1]) باشا ، أحمد تيمور .(2012). رسالة لغوية عن الرتب والألقاب المصرية ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ،ص25.

[2] (Ozen tok.(2012).osmanli teskilati.tufan gunduz.grafiker yay.ankara.p191

أمام تنامي تلك الأخطار المحيطة بالعثمانيين رأوا أنه من الضروري العمل على إنشاء أسطول قوي يستطيعون من خلاله التصدي للهجمات المعادية والاستمرار في نشاطهم الجهادي فضاعفوا مجهوداتهم في صناعة السفن حتى تمكنوا من مجاراة الإمارات المجاورة لسواحل بحر إيجة وبحر مرمرة وكانت ول ترسانة لهم في قره مرسل[1] بعد ضم منطقة قره سي [2] فاستفادوا من خبرات سكانها في هذا الميدان ومع وصول العثمانيين إلى غاليبلولي [3] قاموا بتكوين مجموعة من الشبان لصناعة السفن وتحولت إلى قاعدة بحرية كبيرة لصناعة السفن وتدريب البحارة وتخرج منها أشهر البحارة مثل كمال ريس [4] وبيري ريس[5] وعروج ريس [6] وخير الدين بربروس [7] وكانت غاليبلولي نقطة انطلاق للعثمانيين نحو بلاد البلقان ومن خلال هذا العرض في تطور البحرية العثمانية يمكن ملاحظة الاهتمام الكبير من قبل

---

[1] قره مرسل: بلدة ساحلية على خليج إزميت ،فتحت بقيادة البحار الشجاع "مرسل آلب"فسميت باسمه (قره مرسل).للمزيد انظر علي محمد الصلابي ،تاريخ الدولة العثمانية ،ص48-51.

[2] قره سي: إمارة بحرية تركمانية سابقة بالأناضول ، تملك اسطولا بحريا قويا و خبرة بالملاحة في بحر مرمرة . طقوش ، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ص32.

[3] غاليبلولي: شبه جزيرة و مدينة استراتيجية تطل على مضيق الدردنيل و بحر إيجة و مرمرة. دوسون ، نظام الحكم و الإدارة في الدولة العثمانية، ص166.

[4] كمال ريس :أمير بحار وقائد عسكري عثماني فذ(1451م-1511م)ولد في غاليبلولي. الصلابي ،الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، ص122.

[5] بيري ريس: أمير بحار و رسام خرائط ،وجغرافي عثماني شهير (1465م-1553م)وهو ابن أخ القائد كمال ريس .طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ص112.

[6] عروج ريس :قائد بحري ومجاهد عثماني شهير، يعرف في المصادر الغربية بلقب "بابا عروج"(طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ص142.

[7] خير الدين بربروس: القائد العام للبحرية العثمانية (قبطان باشا)وشقيق عروج ريس الأصغر، واسمه الحقيقي"خضر بن يعقوب". طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، ص145.

السلاطين الأوائل بالقوات البحرية واعتبارها قوة استراتيجية مساندة للقوات البرية وبالتنسيق بين الطرفين مكنوا من فتح القسطنطينية . [1]

ومع تحول الدولة العثمانية إلى العالمية زاد اهتمام السلطان محمد الفاتح بالقوات البحرية وتم من خلال فتح جزيرة إمروز [2] وليمني[3] و تاشوز [4] كما حققت هذا الأسطول انتصارات عديدة ضد البنادقة وتكلل أعماله بإنشاء دار صناعة للسفن في استانبول. [5]

ومع وصول السلطان بايزيد الثاني للحكم(1451م) زاد من اهتمامه في هذا الميدان وأمر بإنشاء السفن الحربية الكبيرة وألحق بخدمة الأسطول العثماني كبار البحارة الأتراك [6] كذلك في عهد السلطان سليم الأول تم توسيع ترسانة القرن الذهبي التي قد وجدت في عهد السلطان محمد الفاتح كما تم إنشاء سفن جديدة من أجل توسيع القوات البحرية غير أنه ما أوشك أن يستفيد منها حتى وافته المنية [7]، وبلغت البحرية العثمانية ذروة النمو والتطور خلال عهد السلطان سليمان القانوني وأصبح المتحكم في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط . [8]

ثانياً: دور المؤسسة العسكرية إدارياً –اقتصادياً –اجتماعياً:

---

[1] أوزتونا . تاريخ الدولة العثمانية ،ج1،ص29.

(1) إمروز: تقع قبالة سواحل تراقيا وعرفت في المصادر العثمانية باسم إمروز فتحها العثمانيون سنة (1455م) في عهد السلطان محمد الفاتح . أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج1، ص440

(2) ليمني: جزيرة يونانية تقع في شمال بحر إيجة تمت السيطرة عليها سنة 1456 في عهد السلطان محمد الفاتح. Enclopaedia of islam.second edition.vol5.1986.p763

(3) تاشوز: جزيرة تقع جنوب البحر الأحمر .أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ،ج1،ص320

(4) Ozen tok.(2012).osmanli teskilati.tufan gunduz.grafiker yay.ankara.p191

(5) أوزتونا ، يلماز .(2010). مذكرات خير الدين بربروس ، ترجمة : محمد دراج ، أصالة للنشر والتوزيع ،الجزائر، ،ص29.

(6) أوغلو . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،ج1،ص42.

(7) Ozen tok.osmanli teskilati.tufan gunduz.grafiker.p191

-إدارياً:

لقد لعبت المؤسسة العسكرية دوراً هاماً في المجتمع مما كان له انعكاساً على علاقتها مع الأهالي وقد تمثل ذلك من خلال الإسهامات التي ساهموا بها خلال تقلدهم مناصب في الإدارة من حيث حسن التسيير وتطبيق القانون بالإضافة إلى إقرار السلام للأهالي وعلى هذا الأساس

ففي عهد السلطان مراد الثاني (824-848هـ/1421-1444م) تقلد المناصب العليا في الدولة العثمانية مجموعة من الرجال الذين كانوا قد وصلوا إلى القصر عن طريق النظام العسكري المعروف باسم الدفشرمة، وقد أصبح لتلك الشخصيات أثرها البارز في توجيه الدولة داخلياً، واستمروا في التغلغل وارتفاع المكانة لا سيما مع وصول السلطان محمد الفاتح إلى السلطة الذي قام بتنحية الأسرات التركية لاسيما أسرة جاندرلي الذي بلغت من النفوذ ما أثار مخاوفه فأصبح يعتمد على هذا الصنف من الموظفين في تسيير الشؤون المختلفة ومن أبرز المناصب التي شغلوها (الصدر الأعظم) وقيادة الجيش . [1]

-الصدر الأعظم :

يحتل مركز الصدر الأعظم وفقاً للتقنينات المنظمة لهيكلية إدارة السلطة الموقع الثاني بعد السلطان هذه الوضعية يؤكدها قانون السلطان محمد الفاتح ، حيث يشير إلى الصدر الأعظم باعتباره صاحب الصلاحيات المطلقة في إدارة شؤون الدولة . [2]

(8)Op.cit.p192

([2])الشناوي . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ص358؛ بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية ،ج3،ص14.

يعود ظهور هذا المركز إلى بداية قيام الدولة ، وبالتالي كان يشكل إحدى أهم ركائز بنية السلطة إلا أن المكانة التي احتلها هذا المركز ضمن متواليات السلطة تعرضت كغيرها من المراكز إلى جملة من التحولات الهامة وإن اتخذت أشكالاً مخصوصة، حيث تميز حراكها عن باقي المراكز. [1]

كان يشغل منصب الوزير الأعظم حتى فتح القسطنطينية[2] مسلمون أحرار، فكانت الدولة تعتمد على الأرستقراطية الإسلاميَّة في آسيا الصغرى وخصوصاً في بداية نشوء الدولة ، حيث تم الاعتماد على أسرة جندرلي التي احتفظت بمنصب الوزارة ضمن أسرتها خلال القرن الرابع عشر ولغاية منتصف القرن الخامس عشر الميلادي [3]، ثم رأى السلطان محمد الفاتح(848-849هـ/1444-1446م) [4] أن التعيين في هذا المنصب يجب أن يقتصر على العبيد بعد أن خشي من النفوذ الكبير الذي بلغته أسرة جندرلي، حيث ضمن ولاءهم للسلطان ، فلا يشعر بالمنافسة أبداً إذ تربى هؤلاء العبيد على الولاء التام للسلطان ، وأصبح تعيين الصدور العظام من العبيد بمنزلة التقليد الذي اتبعه بقية السلاطين[5]، نتيجة

([1])الضيقة ، حسن .(1997). الدولة العثمانية الثقافة – المجتمع والسلطة ،دار المنتخب العربي ، بيروت ، ص87-88.

([2]) القسطنطينية : عاصمة الإمبراطورية البيزنطية التي أسسها الإمبراطور قسطنطين الأول عام 330 م كذلك عرفت باسم الإمبراطوريَّة الرومانية الشرقية عاشت حوالي إحدى عشر قرناً ونصف ، ثم سقطت على يد محمد الثاني. شينية ، كلود.(2008). تاريخ بيزنطة، تر: جورج زيتاني، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، لبنان، ص8.

([3]) بروي، إدوارد.(1986). تاريخ الحضارات العام ، تر: يوسف داغر ، ،دار عويدات ،بيروت ، ج3، ص583.

([4]) السلطان محمد الفاتح(848-849هـ/1444-1446م):سابع سلاطين الدولة العثمانيَّة ارتقى العرش لأول مرة في حياة والده وسنه لم يتجاوز الاثني عشر عاماً إلا أنه أقيل من منصبه بعد فترة وجيزة، وبعد اعتلائه العرش للمرة الثانية اتبع سياسة الحزم لتجنب أي اضطرابات داخليّة ، أو خارجيّة وتساوت عبقريته الحربيَّة مع أعماله الإداريّة فنظم أمور الدولة ، ووضع لها دستوراً سمي قانون نامه اشتهر في التاريخ بلقب محمد الفاتح وأبي الخيرات لفتحه القسطنطينية توفي مسموماً وهو في طريقه لفتح إيطاليا عام (1481م) . محمد، عبد الفتاح.(2015). السلطان محمد الثاني (الفاتح) فتح للقسطنطينية وسياسته الداخلية ،ع26، ليبيا،ص1-7.

([5]) طقوش. تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص564.

لذلك فقد تميز الصدور العظام بالتَّنوع العرقي طبعاً، حيث أن معظمهم كانوا من أبناء النصارى في الدول المفتوحة، فكان معظم الصدور العظام من أصول غير تركية. [1]

ومن أبرز الصدور العظام في الدولة العثمانية :

-الصدر الأعظم إبراهيم باشا

كانت ولادته لإحدى الأسر المسيحية في منطقة بارغا سنة(898هـ/1493م)، وكان أحد الذين انتظموا في الدفشرمة، وقد برزت شخصيته بقوة ودهاء وذكاء فتولى في عهد السلطان سليمان عدة مناصب، وترقى في السلم الإداري وصولاً إلى تولي منصب الصدر الأعظم سنة(929هـ/1523م). [2]

كان لإبراهيم باشا أيضاً مجموعة من الأعمال العسكرية والإدارية ولا سيما التكليف بحملة إلى مصر وتفقد أحوالها ، والتي مكث فيها ثلاثة أشهر، وتفقد الأمور وحال العامة وعمل على تحسينها وحد من جور وتعسف الولاة وضرائبهم الباهظة. [3]

كان من المصلحين أيضاً فقد وضع قوانين جديدة تتناسب مع أوضاع الأهالي وعمل على عزل الكثير من المسؤولين الذي ارتكبوا أخطاء جسيمة، وأجرى تعديلات على بعض القوانين العدلية والقضائية

(1) إيفا نوف، نيقولاي.(1988). الفتح العثماني للأقطار العربية (1516-1574م)، تر: يوسف عطا الله، دار الفارابي، بيروت، ص267.

(2)الهياجنة ، إيمان عبد الرحمن .(2015). الصدر الأعظم إبراهيم باشا دراسة في دوره السياسي (898-942هـ/1492-1535م)، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الأردن ، مجلد42 ، العدد2، ص477-478.

(2)بيات ، فاضل . (2007).الدولة العثمانية في المجال العربي -دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية مطلع العهد العثماني -أواسط القرن 19م، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ص408.

والعسكرية والدينية كترميم المساجد وخير شاهد على ذلك مسجد عمر بن العاص من أمواله الخاصة وأنشأ قاعدة عسكرية على البحر الأحمر. [1]

شغل إبراهيم هذا المنصب عدة سنوات محفوفاً بثقة كبيرة من قبل السلطان حتى أنه صاهره لكن ظهرت بعض المشاكل العائلية التي أفسدت العلاقات وأطاحت بالمكانة التي شغلها الصدر الأعظم، و أكيلت بحقه مجموعة من التهم كان منها الطمع في العرش بدون وجود أي دليل على ذلك. [2]

بعد وفاة السلطانة الأم حفصة والتي كانت على علاقة جيدة مع الصدر الأعظم إبراهيم باشا وكانت تقف إلى جانبه لم تستمر مكانته على ما هي عليه فقد دخل في صراع مع خرم سلطان (روكسلانة) زوجة السلطان سليمان القانوني، والذي كانت ترى فيه وبقوة مكانته حاجزاً يعيق رغباتها وتطلعاتها وتم اغتياله في القصر سنة(1536م) في ظروف غامضة لم تتحدث عنها المصادر العثمانية ودفن هناك سراً. [3]

-أسرة آل كوبرلي (1661-1687م):

كان أول من تسلم منصب الصدارة من تلك العائلة هو محمد باشا الكوبرلي وكانت تلك العائلة ألبانيّة هاجرت إلى آسيا الصغرى، واستقرت في مدينة كوبرو ،ونشأ، وترعرع فيها ،ولها ينسب. [4]

([1]) مرجع نفسه ، ص408.

([2]) بروكلمان . تاريخ الشعوب الإسلامية ،ص474.

([3]) إينالجيك، خليل.(2007). التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانيَّة،، دار المدار الإسلامي ، ليبيا ، ص152.

([4]) بروكلمان . تاريخ الشعوب الإسلامية،،ص516.

لم يكن وصول محمد باشا الكوبرلي لمنصب الصدر الأعظم في الدولة العثمانية قد جاء بصورة مباشرة ومن دون دراسة لشخصيته، وكفائته من قبل السلطانة تارخان بل مر بعدة مراحل حيث أنه تدرج في العديد من المناصب قبل وصوله إلى منصب الوزير، فقد كان طباخاً في السراي السلطاني في البداية ومن ثم والياً على الشام وطرابلس[1]، ثم انضم للسلك العسكري ومن ثم منصب الخازن دار [2]، تم تعيينه فيما بعد في الديوان السلطاني في وظيفة (وزير تحت القبة) [3]، والجدير بالذكر أن محمد باشا كوبرلي قبل تسلمه منصب الصدارة العظمى رجلاً معروفاً في الأوساط السياسيَّة العثمانيَّة، إلا أنه تم ترشيحه نظراً لكبر سنه ، فقد كان يملك الخبرة الكافيَّة التي تؤهله لمعرفة مواطن الضعف في الدولة ، وبالتالي القضاء عليها ،وتهدئة الاضطرابات والفتن. [4]

كان فاتحة بداية صدارة محمد باشا البطش والتخلص من المفسدين وإجراء العديد من التغييرات الوظيفية للمتقاعسين عن أداء واجباتهم بالشكل الأمثل حتى أن شيخ الإسلام لم يكن بمعزل عن تلك الإجراءات [5]، كما أن تلك الرقابة الوظيفية اتبعها داخل القصر أيضاً واستبدل من ليسوا أهلاً لتلك المناصب ولاسيما رئيس الخصيان في تلك الفترة[6]

([1]) مراد، جمال. (2017).تاريخ العراق في العهد العثماني الثاني(1638–1750م) ، در الرافدين، العراق ، ط2، ص90.

([2]) الخازن دار: هو الأمين على الأموال الخاصة .السبكي ، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ)، معيد النعم ومبيد النقم، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت، 1986م، ص27.

([3]) وزير تحت القبة: هو الوزير الذي يساعد الصدر الأعظم في أعماله ويسمى كذلك لأنه كان يجلس مع الصدر الأعظم تحت سقف واحد (الديوان السلطاني) . بروكلمان . تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص94.

([4]) أوزتونا ، يلماز.(1988). تاريخ الدول العثمانيَّة، مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا، ج1، ص501.

([5]) الثقفي ، يوسف، لمعان الضوء في دياجير الظلام ، مجلة المؤرخ العربي، مصر، المجلد1، العدد 1، ص235.

([6]) itzkowitzK, norman,(1972). Othman empire and Islamic tradition ,the university of Chicago press,London, .p77.

، وأمام التخلص من عناصر الجيش الفاسدين فتح باب التجنيد لعناصر جديدة تم جلبهم من مناطق البلقان[1]المختلفة. [2]

على المستوى الاقتصادي للدولة فقد عمل على إزالة النفقات التي كان يراها غير ضرورية وتشكل عبئاً عليها ولاسيما تلك المتعلقة بمظاهر الترف ، والكماليات وكان أهم إجراء في هذه الناحية مصادر العديد من التيمارات وتوزيعها عل الأفراد، وبالتالي تم توفر حاصلات للخزينة العامة للدولة من خلال عائدات هذه التيمارات[3]، ولم تكن الإجراءات المالية للصدر الأعظم محمد باشا الكوبرلي مقتصرة على عامة الشعب، بل وصلت إلى المساس بخزينة السلطان والاقتراض منها عند الحاجة. [4]

لم يقتصر الدور الذي قام به الصدر الأعظم محمد باشا كوبرلي على تلك النواحي بل ظهرت لديه اهتمامات عمرانية كبيرة[5]، ولاسيما ما تم في عهده من بإعادة بناء لاستراحة القوافل، والتي كانت تحمل

([1]) البلقان: شبه جزيرة تقع جنوب شرقي أوربا بين البحر الأسود في الشرق والبوسفور والدردنيل وبحر مرمره في الجنوب وبحر أيونيا والبحر الأدرياتيكي غرباً ، ونهر الساف والدانوب شمالاً وبذلك يدخل فيها ألبانيا صلب بلاد اليونان وجنوبي رومانيا وبلغاريا وتركيا الأوربية . بوجلطي، فاطمة .(2010). انعكاسات الإمتيازات الأجنبيّة على بلاد الشام خلال القرن التاسع عشر رسالة ماجستير منشورة، جامعة الجزائر ، الجزائر ، ص86.

([2]) الرفيعي، عبد الأمير.(2012). العراق بين سقوط الدولة العباسية وسقوط الدولة العثمانية، الفرات للطباعة والنشر ، العراق،ج1، ص216.

([3]) مانتران ، روبير . (1993). تاريخ الدولة العثمانية ، تر: بشير السباعي ،ج1، دار الفكر ، القاهرة ، ص150-151.

([4])علاوي، نسيبة .(207). دور آل كوبرلي في إصلاح أوضاع الدولة العثمانيَّة (1656-1702م)، مجلة أبحاث التربية الأساسية ، جامعة الموصل ، المجلد 6، العدد2، ص250.

([5]) يروي الرحالة الإنكليزي ويلر الذي زار تركيا بعد سنوات قليلة من وفاة محمد كوبرلي أسطورة سمعها عنه مما يثبت شدة صرامة محمد باشا كوبرلي والانطباع الذي تركه على العقل الجمعي فيقول ويلر في وصف أحد شوارع القسطنطينية " يزين هذا الشارع مجموع من الأبنية التي تعود إلى الوزراء والباشوات الذين يتمتعون بالميزات الرفيعة للإمبراطور سواء في الحرب أو الحكم لاحظنا واحداً منها مغطاة بقبة لا يحجبه سوى سياج كبير ، وجدنا عليه ذلك النص :"هذا نصب

اسم (خان الحجر) أو (حكيم خان) وهي تقع على طريق سيواس ملاطيه وهي منطقة في شمال تركيا حالياً، وهذا الخان عبارة عن قاعة مسقوفة بها ثلاثة صحون مساحة مربعة كبيرة يوجد فيها نقش مميز بثلاث لغات :العربية والسريانية والأرمينية ويذكر النقش "أن باني الخان هو ابن سالم بن أبي الحسن النحاس من ملاطيه" وبجانب النقش الأول نقش عثماني كتب عليه أن محمد كوبرلي قد أعاد بناء هذا الخان عن طريق المهندس حسن آغا عام (1660م)، ومعظم الإصلاحات التي قام بها هذا المهندس تركزت في الساحة الخارجية. [1]،كما أقدم محمد باشا كوبرلي على إصدار أوامره ببناء العديد في مختلف مناطق الثغور و أنشأ تكية (المولى أنسى) وكذلك تربة لدفن الموتى والتي دفن فيها في نهاية المطاف [2] .

2-آغا الانكشارية :

هو القائد الأعلى للجيش باعتباره أعلى ضباط هذا الجيش رتبة وهو شخصية بالغة الأهمية فمن ناحية كانت قواته أقوى اداة عسكرية تحت تصرف السلطان ثم من ناحية أخرى كان بعمل مديراً للبوليس في

محمد كوبرلي والد الوزير الحالي الذي وطد الحكم بعد اقترابه من الخراب " عندما كان السلطان في سن القصور وذلك بسبب استياء فصيل من (الهجاي) الأساسيين وتمرد الإنكشارية وبعد وفاته ودفنه هنا وتشييد هذا النصب التذكاري من الرخام المغطى بالرصاص فوق جثمانه رأى السيد الكبير والوزير الأعظم رؤيا في الليلة نفسها ومن الطرافة أن كوبرلي جاء إليهما سائلاً بعض الماء للترويح عنه من حرارة الاحتراق وهو ما أخبر به الوزير الأعظم والسيد الكبير بعضهما ومن ثم اعتقد أنه يجب استشارة المفتي فيما يجب القيام به حيال ذلك فنصح وفقاً لمعتقداتهم بأنه يجب كشف سقف الضريح بحيث ينزل المطر على جسده فتخمد النيران التي تعذب روحه وقد اعتقد الناس الذين اعنوا من ظلمه أنه من أكثر الأشخاص حاجة إلى مذل ذلك الدواء على اعتبار أنه يتعذب في العالم الآخر لطغيانه وقسوته التي ارتكبها ".

Whelar . whelar travels.p133

([1]) Aslanaba , oktay, Turkish art and architecute,new York,prager publishers,1971,p149.

([2]) المحبي، محمد بن فضل الله (1111هـ/1699م).(1971). خلاصة الأثر في أعيان القرن الأحادي عشر، دار الكتب العلمية، بيروت،،ج4 ، ص311.

استانبول ذاتها وكان بحكم منصبه هذا عضواً بديوان السلطنة وله في هذا المجلس مقام الصدارة على جميع أعضائه ممن لم ينالوا مرتبة الوزارة بعد. [1]

3-محافظي الديوان :

عملت فرقة الانكشارية في هذه الوظيفة أواخر القرن السابع عشر الميلادي ، وقد كانت تجتمع مجموعة منهم كل يوم مرتين، أو أربع مرات في الديوان في الصباح الباكر كمحافظين، كما عملت هذه الفرقة كمطافئ أوقات السلم عند وقوع الحرائق في استانبول وكانوا يرافقون الطولومباجية في عملية الإطفاء . [2]

اجتماعياً :

لم يقتصر دور المؤسسة العسكرية العثمانية على النواحي العسكرية أو الإدارية، بل تعدتها إلى المجتمع الذي ذاب أفرادها فيه فتركوا بصمتهم فيه فكان لهم اسهاماتهم المدنية المختلفة ،إضافة للدور المجتمعي للمؤسسة العسكرية العثمانية ،فالأدلة المستمدة من سجلات المحاكم الشرعية ودفاتر الطابو تكشف عن مساحة من التمايز والتوازن بين النفوذ العسكري و النخب المدنية المحلية (كالحرفيين ، والتجار ، و العلماء).ومن الأمثلة على الدور الاجتماعي للمؤسسة العسكرية:

1-البناء والعمران

فقد اشتهرت الدولة العثمانية بعمرانها وأبنيتها الفخمة والتي تعود إلى أفكار وضلوع مجموعة من المهندسين والمعماريين المهرة ومن الذين برزوا في هذا الميدان وكانوا من نتاج الدفشرمة سنان باشا

([1]) غب، هاملتون.(2012). المجتمع الإسلامي و الغرب، تر: احمد أبيش، دار الكتاب الوطنية ، أبو ظبي ، ج1، ص109

([2]) البنا ، فرقة الانكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية ،ص115.

وهو مهندس معماري كانت ولادته سنة (894هـ/1489م) بالقرب من قيصرية ويعود إلى أسرة مسيحية جند سنان في صفوف الدفشرمة سنة(918هـ/1512م)، وكان له مشاركة كبيرة في العديد من الحملات العسكرية لا سيما حملة بلغراد سنة(927هـ/1521م)، ومن الأعمال المهمة التي تنسب له أيضاً بناء جسر فوق نهر السيروت ونهر الدانوب ونال شهرة وصيت في التاريخ العثماني لا سيما بعد أن اتجه نحو بناء المساجد والأضرحة والحمامات والمطابخ . [1]

وكان من أشهر أعمال سنان باشا أيضاً مسجد السليمانية والذي اعتبر مرجعاً للعماريين الآخرين في بناء المساجد مقلدة للهندسة الرائعة الموجود فيه، وكان من أهم المساجد في العاصمة وتم بناؤه سنة(969هـ-964هـ/1552-1557م) أظهر فيه سنان براعته وعلمه ودقة هندسته. [2]

وتثبت هذه المعطيات أن العطاء الاجتماعي و العمراني المتمثل في فرقة الانكشارية ونتاج الدفشرمة كالمعماري سنان باشا ،يعكس الوجه الإيجابي للمؤسسة العسكرية العثمانية في توظيف (الهندسة العسكرية) وعناصر الجيش الحربية لخدمة المنظومة المدنية و المجتمعية .فالخبرات التي كسبها العسكر في تحصين الثغور وبناء الجسور الحربية أثناء الحملات تم نقلها وتطبيقها إداريا و عمرانيا داخل المدن في أوقات السلم.

2-الصناعة

لقد تعززت الطوائف بالإدارة من خلال اندماج الانكشارية و الأوجاقات المحلية بالطوائف الحرفية في استانبول وأخذت الأوجاقات الأخرى مثل القاهرة وحلب ودمشق وحتى بغداد هي الأخرى بدأت تتغلغل

(1)مانتران . تاريخ الدولة العثمانية ،ص381.
(2) مصدر نفسه . ص384-385.

تدريجياً في الحرف كما ارتكزت الصناعة في الأراضي العثمانية على أساس اقتصادي، بالإضافة إلى الأقمشة القطنية والصوفية والحريرية . [1]

3-الوقف :

كان للانكشاريين دوراً فعالاً في الوقف حيث كانت لهم إسهامات معتبرة من حيث الأملاك التي أوقفوها في مختلف المؤسسات الدينية والمشاريع الخيرية وقد أنشأوا مؤسسة أوقاف سبل الخيرات وكثيراً ما كان الجيش يحبس على الأوجاق أو الأودة التي كان يسكنها. [2]

ويوجد في الوقف أراضي الرزق بنوعيها الأحباسية و الجيشية العسكرية، حيث الأراضي الأحباسية هي أراضي ديوانية أوقفها أصحابها على الأعمال الخيرية مثل الإنفاق على الحرمين الشريفين والمساجد وكانت هذه الأخيرة معفاة من الضرائب أما الأراضي الجيشية تخرج من ديوان الجيش، وهي عبارة عن الأطياف التي كان يمنحها السلاطين لأحد الأمراء كمكافئة على خدمته للحكومة، وكان صاحبها ينتفع بها طوال حياته ويورثها لذريته من بعده كما كان له حق التصرف في البيع والشراء [3]

اقتصادياً :

كانت الدولة العثمانية تعتمد في إنعاش اقتصادها على العديد من الطرق للحفاظ عليها كما أن الاقتصاد يشكل أساس أي دولة فمن خلاله تتم عملية تمويل الخزينة وتحريك القطاعات المختلفة وبالتالي كان هناك عدة مصادر رفدت من خلالها الدولة العثمانية اقتصادها على النحو التالي :

([1]) غب . المجتمع الإسلامي والغرب ،ص215.

([2]) غطاس ،عائشة .(1954).الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها ، المركز الوطني للدراسات والبحث ،الجزائر ، ص88.

([3]) الجنابي ، بثينة عباس ،(2011). نظم الحكم والإدارة العثمانية في الوطن العربي ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العراق ، العدد71، ص500.

افتداء الأسرى وتجارة الأرقاء

حصلت الدولة العثمانية على الكثير من الأسرى في الحروب التي خاضتها مع أوروبا حيث كانوا يتحولون إلى عبيد مجرد وقوعهم في الأسر كما كان يتم تبادل عملية هؤلاء الرقيق من خلال البيع والشراء في الأسواق سواء في العاصمة أو في غيرها من المدن التابعة للدولة العثمانية ولم يقتصر الحصول عليهم على تلك الناحية بل كان يتم عن طريق الهدايا فيقدمون للسلاطين في كثير من الأوقات وبالتالي كان للجيش فضل كبير في هذه العمليات كما كانت عمليات الافتداء تقدر حسب قيمة الشخص وكلما كانت شخصيته مرموقة في المجتمع زاد ثمناً لافتداء مما وفر أرباح نقدية كبيرة عادة على خزينة الدولة. [1]

أما بالنسبة للأرقاء فقد كان يتم بيعهم وشرائهم كما تباع الأمتعة فقد كان الجنود قد ساقوهم من شواطئ المتوسط والمناطق الغربية للمحيط الأطلسي كروسيا وألمانيا والجزر البريطانية حيث كانت تتم عملية أسرهم عند مرورهم عرض البحار أو أثناء الغارات العمانية على تلك المناطق ومن جملتهم كان كبار الضباط والنبلاء الأوربيين والذين كان يتم افتدائهم بمبالغ ضخمة أيضاً وكل هذا انعكس إيجاباً على اقتصاد العثمانيين. [2]

-عملية جباية الضرائب :

خلال القرن السابع عشر الميلادي كانت تتم جباية الضرائب نقداً وتسلم للحكومة المركزية ويقوم بها جيش الدولة ولم يكتفي الفوائد التي حققوها من خلال سيطرتهم على العديد من المناطق الشاسعة بل

(1) الشناوي . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،ص119

(2) ولف ، ب. (1986). الجزائر وأوروبا من 1500-1830م ، ترجمة : أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،ص208.

عمدوا إلى فرض ضرائب على الأهالي[1] ومن أشهر تلك الضرائب ضريبة الجزية التي كان يدفعها غير المسلمين حيث كان يقوم عبيد السلطان والقوات العسكرية بجبايتها مباشرة لا سيما السباهية الذين طالبوا بالإبقاء على هذه الوظيفة فقد كانوا يتلقون رسوم من دافعي الضرائب . [2]

كما كان إلى جانب تلك الضرائب ما عرف باسم ضريبة العوارض وهي عبارة عن ضريبة سنوية فرضت خلال النصف الأول من القرن السابع عشر وتدفع على حسب حالة دافعي الضرائب ومقدرتهم على الدفع ويسجلون رسمياً على حسب حالتهم سواء أثرياء أو ميسوري الحال أم فقراء ويجمع دافعي الضرائب في وحدات تسمى عوارض خانة وكان على كل واحد دفع مبلغ متساوي من المال. [3]

-أهمية الإقطاع :

يعد قيام النظام الإقطاعي في الدولة العثمانية على أساس الأرض مقابل الخدمة العسكرية في ظل وجود السباهية بحيث أنه ساهم في البنيان الاقتصادي للدولة وكانت أراضي الميري هي التي تمنح لهم كإقطاعات مقابل الخدمة العسكرية ثم سرعان ما غير عملها إلى جمع الضرائب بأكبر عدد ممكن . [4]

رابعاً: فساد المؤسسة العسكرية وانعكاساتها السلبية :

([1]) هارشلاغ ، زيف يهودا .(1973). مدخل إلى الاقتصاد الحديث للشرق الأوسط ، ترجمة : مصطفى الحسيني ، دار الحقيقية ،بيروت ،ص18.

([2]) إينالجيك ، خليل .(د.ت). التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية ، ترجمة : عبد اللطيف الحارس ، دار المدار الإسلامي ،بيروت ، ص126.

([3]) طالب ، فاطمة .(2016). الوضع الاقتصادي في الدولة العثمانية من خلال كتاب مدخل إلى التاريخ الحديث للشرق الأوسط زيف يهودا هارشلاغ ، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ،ص15.

([4]) مصدر نفسه ، ،ص15.

لقد أسست الدولة العثمانية جيشها على قاعدة ونظم سليمة صارمة غير أن هذا النظام لم يستمر سوى قرابة قرن بعد سقوط القسطنطينية حيث بدأ في التدهور، وتجسد ذلك في فرقة الانكشارية بصورة خاصة [1] ويمكن إجمال عوامل الفساد على النحو التالي :

-الأسباب السياسية :

من أول الأسباب التي جعلت الانكشارية تتمرد على السلطة هو عدم خروج الانكشارية للحرب إلا إذا كان السلطان حاضراً، فقد كانت جل معاركهم الأولى بقيادة السلطان، لكن سرعان ما غير السلطان سليمان القانوني(926-973هـ/1520-1566م)، هذا العرف وأجاز لهم القتال تحت قيادة قائدهم الأكبر حتى وإن لم يكن السلطان حاضراً . [2]

لم يكن هذا الأمر الوحيد في الشق السياسي لتمردات الانكشارية بل كان هناك سبب أخطر ألا وهو عدم وجود قاعدة ثابتة لتولية السلاطين على العرش ولم يكن هناك أي نص شرعي أو قانون يتم الاعتماد عليه في هذه المسألة فقد كان السلاطين يعملون بمبدأ الاستخلاف، وليس الشورى وعليه فيمكن أن تأتي هذه الخلافة في الأخوة، أو الأبناء مما أفضى إلى بروز جملة من الصراعات الداخلية بين أبناء السلاطين فشكلت جواً لتدخل الانكشارية في هذه المسألة. [3]

على نحو متصل فقد استمر تراجع دور الانكشارية الإيجابي وزادت حدة تدخلاتهم السلبية خلال القرن السابع عشر الميلادي وأصبح لهم نفوذ سياسي صريح، فتحولوا من حماة للسلاطين إلى أداة ترهيب ضدهم، ولم يكتفوا بمسألة النزاع على العرش بل كانوا يتدخلون في التعيينات داخل الدولة لا سيما

(1) حلاق ، حسان .(2000). تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر ، د=ار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،ص21.

(2) المحامي . تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ص252.

(3) الغازي . دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العمانية ،ص155.

منصب الصدور العظام فيولون ويعزلون من يشاؤون حسب ما يتوافق مع مصالحهم مما أفضى إلى حالة من التوتر والاضطراب الداخلي بسبب سوء تصرفاتهم . [1]

-الأسباب الاقتصادية :

كان في مقدمتها ضعف دخلهم المادي مما نتج عنه ثورات وتمردات فضلاً عن التعسف في جمع الضرائب وابتزاز أموال الأهالي، كما أدى توقف الفتوحات العثمانية خلال تلك الفترة إلى زيادة في عدد الجنود مقارنة بالموظفين العاديين، وتناقصت معها واردات الدولة واختل اقتصادها [2]

عانت الدولة العثمانية أيضاً من انخفاض في قيمة عملتها فقد كانت مغشوشة وكانت تدفع هذه العملات كرواتب للجند والتي يدخل في صبها بعض المعادن البخسة الثمن خفيفة الوزن وبالتالي كثيراً ما كانت الانكشارية تثور وتتجمهر قرب القصر السلطاني مطالبة بنقودهم الصحيحة [3]، وبالتي يمكن القول أن معظم تمرداتهم كانت بسبب تخفيض العملة، وما يترتب عليها من مشاكل أو بسبب تأخر دفع مرتباتهم فقد كانت خزينة الدولة موجهة للإنفاق عليهم بالمقام الأول مما يجعلها في كثير من الأحيان خاوية بسبب كثرة عدد القوات العسكرية. [4]

-الأسباب الاجتماعية :

لقد تعددت الأسباب الاجتماعية التي جعلت هذه القوات تلعب دوراً سلبياً في الدولة العثمانية كان أولها السماح لهم بالزواج، فقد كانت العزوبية مشجعة في صفوف الانكشارية بطرق مختلفة، وكان الهدف

([1]) الرديني ، يوسف عبد الكريم .(2004). المؤسسة العسكرية العثمانية ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ،ص164.

([2])المرجة ، موفق بني .(1984). صحوة الرجل المريض ، مؤسسة صقر الخليج ،الكويت ،ص44

([3]) الغازي . دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العمانية ، ص169.

([4]) حمودة ، سمية .(2006). حركة الفتح العثماني في القرن (11هـ/17م) ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ،ص263.

من تشجيعها هو جعل الجندي متفرغاً لعمله العسكري فقط محاولين إبعاده عن الارتباط بعائلة مما يفضي إلى فتور هممه الجهادية. [1] ، حيث تمكن الانكشارية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي من إلغاء مبدأ تحريم زواجهم فتحول الانتماء إلى سلك الانكشارية وراثياً من الأب للابن دون أي خبرة عسكرية [2]

أدت عملية الزواج أيضاً إلى قامة هؤلاء الجنود خارج ثكناتهم بين الأهالي وأصبح لهم أولاد وأسر وزاد ارتباطهم بالمجتمع بدلاً من ثكناتهم، واتجهوا لجمع الثروة والمال بجميع السبل المتاحة كمساعدة سلطان فاسد مقابل الهبات أو إجبار السلطان على وقف الحرب مع العدو إن لم يلبي مطالبهم .[3]

بعد السماح لأفراد الانكشارية بالإقامة خارج الثكنات ازداد ارتباطهم بالحياة المدنية ولم تعد حرفتهم الجندية الصرفة كما كان أمرهم خلال قوة الدولة العثمانية ، وإنما أصبحت الجندية بالنسبة لهم مهنة ارتزاق فلم يعودوا يذهبون إلى الثكنات إلا لاستلام مرتباتهم مما قوى فيهم روح الطمع وقد عود السلاطين الأوائل عند ارتقاء العرش أن يمنحوا الانكشارية منحة الجلوس الملكي السعيد . [4]

كان توقف الفتوحات يؤدي إلى انقطاع الغنائم عن الانكشارية فكانوا يقومون بالسلب والنهب بحق السكان وممتلكاتهم فتسببوا بحالة من الفوضى، وفقدان الأمن وعدم الاستقرار وكل هذه الأمور كانت تؤثر على الواقع الاجتماعي العثماني بصورة عامة، فلم نعد نجد شخصيات صرفت همها إلى البناء والتحسين في المجتمع بل عمدوا إلى زيادة شقوقه .

كما كان هناك انتشار للرشوة والمحسوبية في دوائر الدولة فكان يتولى المنصب الأعلى من يدفع المال مقابل ذلك وبهذا لم يكن الحل المناسب في المكان المناسب فقد كان هؤلاء لا يهمهم مصلحة الدولة

([1]) لونيسي . رابح ،(2010). تاريخ الجزائر المعاصر(1830–1989م)، دار المعرفة ، الجزائر ،ج1،ص43.
([2]) غب . المجتمع الإسلامي والغرب ،ص254–255.
([3])المنصور ، ميمونة حمزة .(2008). تاريخ الدولة العثمانية ، دار الحامد للنشر والتوزيع ،عمان ،ص112.
([4])غربي ، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288–1916م) ، ص41.

وكانوا يبتزون الشعب بالأموال ويفكرون في مصلحتهم الشخصية كيف يجمعون ثروة والعيش برفاهية وقد أدى ذلك إلى حدوث انهيار سياسي اجتماعي، واضطرابات اقتصادية داخل الدولة وبالتالي فساد الإدارة العثمانية . [1]

كما كان لشرب الخمر أثره في الحال الذي وصلت إليه الانكشارية فقد كان هذا الجيش يقوم على العاطفة والتربية الإسلامية والتدريب السليم مما شكل قوة اعتمد عليها في كثير من الحروب والانتصارات لكن فيما بعد ومع زيوع الخمر وضعف التربية الإسلامية تأثر الجيش بذلك وأجبروا السلاطين على التراجع عن قراراتهم المانعة لشربه ومنهم على سبيل المثال مراد الثالث ومن الآثار السلبية للخمر انعكاسه على السلاطين بحد ذاتهم الذين انغسوا به في قصورهم مهملين لشؤون دولتهم بشكل عام . [2]

ولو أريد سوق بعض الأمثلة على تمرداتهم وابتزازاتهم فيمكن الحديث عن تنازل السلطان مراد الثاني(982-1004هـ/1574-1595م)لابنه الأمير محمد الثاني عن العرش سنة (848هـ/1444م) [3] بعد شعوره بالإرهاق من أعباء الحكم ورغبة منه أن يصفوا بنفسه، ويتفرغ للعبادة وكان عمر ابنه 12 سنة ولم يكن باستطاعته تسيير أمور الحكم[4]، مما أدى إلى قيام الانكشارية بإعلان الثورة ضد الأمير محمد الثاني والتمرد عليه مستغلين غياب الأب فنهبوا مدينة أدرنة عاصمة الدولة آنذاك وأحرقوا الأسواق مما دفع السلطان مراد الثاني للعودة إلى الحكم وتمكن من تهدئة الأمور. [5]

([1]) جبارة ، تيسير. تاريخ الدولة العثمانية (1289-1924م)، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا ، القدس ، ص193.

([2]) شاكر ، محمود .(2015). التاريخ الإسلامي (العهد العثماني)، المكتب الإسلامي ، بيروت ،ص121-122.

([3]) السامرائي ، علو محمود أحمد ،(2010). الإنكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة 1826م ، مجلة التربية والعلم ، جامعة تكريت ، العدد2،المجلد17، ، ص71.

(2) زياد ، أبو غنيمة .(1983). جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، سوريا ،ص73.

([5]) قازان ، نزار .(1996). سلاطين الدولة العثمانية بين قتال الأخوة وفتنة الإنكشارية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1،

لقد تعدى هؤلاء الانكشارية في عصيانهم وتمردهم ليس فقط على الأهالي فقط بل بلغوا حتى المساس بالسلطان نفسه حيث تدخلوا في خلع وتنصيب السلاطين كما حدث في عهد السلطان بايزيد الثاني (822-918هـ/1418-1512م)، والذي تم إرغامه على التنازل عن العرش لصالح ابنه سليم الأول (918-926هـ/1512-1520م) فمنحهم السلطان الجديد بعد أن وقوفوا إلى جانبه الأعطيات والهبات المالية. [1]

في نهاية المطاف يمكن الوصول إلى فكرة أساسية شاملة هي أن المؤسسة العسكرية متمثلة بجيشها الانكشاري ابتعدوا عن واجبهم العسكري وعجزوا عن تحقيق الأمن والاستقرار فضلاً عن عجزهم للتصدي للقوى المعادية للدولة وأصبحوا قوة هدم بعد أن كانوا قوة بناء فقد كانت إيجابياتهم واضحة خلال الفترة الأولى من عمر الدولة في شتى مجالات الحياة، حيث برزت شخصيات منهم كان لها شهرتها وسيطها بينما لم يعد وجود مثل تلك الشخصيات ظاهراً في فترات الفساد التي مرت بها المؤسسة العسكرية مما كان له وقعه العكسي على الدولة بشتى ميادينها .

ص.34

([1]) السامرائي . الإنكشارية ودورهم في الدولة العثمانية حتى سنة 1826م ، ص72.

الاستنتاجات و التوصيات :

1-استطاع السلطان عثمان الأول الانتقال بشعبه من حدود القبيلة إلى حدود الإمبراطورية الشاسعة الأطراف بعدما استطاع تشكيل جيش نظامي حقق الانتصار تلو الأخر بناءاً على التنظيم الدقيق والصارم والمتشبع بروح الجهاد .

2-إن دور المؤسسة العسكرية لم يكن مقتصراً على الناحية العسكرية فقط كما روجت له أكثر الدراسات والمصادر التاريخية بل دورها الاجتماعي والاقتصادي والمالي لا يقل أهمية عن الشق الأول فقد كانوا قاعدة للدولة أيضاً .

3-لم تكن إيجابيات وسلبيات المؤسسة العسكرية مجرد مرحلتين زمنيتين متعاقبتين بل كانتا وجهين لعملة واحدة منذ البداية فالتنظيم الذي أسس الإمبراطورية حمل بذور تدميرها لأنه بنى شرعيته على الفتح وليس على الإنتاج المستدام .

4- على الرغم من الدور الواضح الذي لعبه أفراد المؤسسة العسكرية إدارياً إلا أن تغلغل العسكريون في المناصب الإدارية أدى إلى تراجع معايير الكفاءة المدنية وحول إدارة الدولة إلى امتداد لتراتبية عسكرية خالية من المرونة والابتكار الإداري .

5-تحول الولاة والقادة العسكريون في الأقاليم إلى قوى طاردة مركزية مستغلين سلطاتهم العسكرية لبناء إمارات مالية وإدارية خاصة مما أضعف سيطرة الباب العالي.

6-نجح نظام الدفشرمة في دمج عناصر مسيحية في النخبة الحاكمة ، لكنه خلق في الوقت نفسه شرخاً اجتماعياً عميقاً بين العسكر الحاكم والرعايا المحكومين .

7-كانت المؤسسة العسكرية محركاً للاقتصاد ومنهكاً له في آن واحد فالحروب جلبت الغنائم ووسعت الموارد لكن تكاليفها المتصاعدة أدت إلى عجز مزمن في الخزينة خاصة مع تراجع الفتوحات .

8–في النهاية تثبت الدراسة أن الفهم الحقيقي للمؤسسة العسكرية العثمانية يستعصي على التبسيط فلا هي كانت نموذجاً للكمال في عصرها الذهبي ، ولا كان الانكشارية مجرد عصابة همجية كما صورها خصومهم لقد كانوا ظاهرة تاريخية مركبة نتاجاً منطقياً لظروف إمبراطورية شاسعة وقدموا حلولاً عملية لتحديات عصرهم إدارياً ومالياً واجتماعياً قبل أن تتحول هذه الحلول نفسها إلى معضلات قاتلة.

قائمة المصادر والمراجع:

1–أبو غنيمة ، زياد .(1983). جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، سوريا

2–أوزتونا ، يلماز ،(2010). مذكرات خير الدين بربروس ، ترجمة : محمد دراج ، أصالة للنشر والتوزيع ،الجزائر

3–أوزتونا ، يلماز .(2008). تاريخ الدول العثمانيَّة، مؤسسة فيصل للتمويل ، تركيا، ج1

4–إينالجيك، خليل.(2007). التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانيَّة،، دار المدار الإسلامي ، ليبيا

5–بروكلمان ، كارل .(1986). تاريخ الشعوب الإسلامية ، تر : منير البعلبكي ،دار العلم للملايين ،بيروت

6–بكر ، عبد الوهاب .(1982). الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن 18م ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1،

7–بن دهيش ، عبد اللطيف .(1988). قيام الدولة العثمانية ، دار النهضة الحديثة ، مكة المكرمة

8–البنا ، سونيا محمد .(2006). فرقة الانكشارية نشأتها ودورها في الدولة العثمانية من خلال المصادر التركية ، أتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة

9-بيتروسيان ، إيرينا .(2007). الانكشاريون في الإمبراطورية العثمانية ، تح: قسم الدراسات والنشر بمركز جمعية الماجد ، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث ، دبي

10-حسنين، إبراهيم.(2014). سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط ، دار التعليم الجامعي ، ليبيا ، 2014

11-الحويري ، محمود محمد .(2000). تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى ، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ، القاهرة

12-دوسون ، مرادجه .(1942). نظام الحكم والإدارة في الدولة العثمانيَّة في عهد مرادجه دوسون، الجامعة الأميركية في بيروت، لبنان

13-سرهنك ،إسماعيل .(1312هـ). حقائق الأخبار عن دول البحار ،المطبعة الأميرية ، مصر

14-سرهنك، إسماعيل.(1988). تاريخ الدولة العثمانيَّة، دار الفكر الحديث، بيروت، ج2

15-الشناوي ، عبد العزيز محمد .(2004). الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، مكتبة الأنجلو مصرية ،القاهرة

16-شوجر ،بيتر .(1988). أوروبا العثمانية ، ترجمة : عاصم الدسوقي ، دار الثقافة الجديدة ، القاهرة

17-طقوش ، محمد سهيل .(2013). تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة ، دار النفائس ، بيروت

18-عاشق باشا زاده ، أحمد بن يحيي (ت1484م). (1914). تواريخ آل عثمان ، تحقيق :عالي بك ، مطبعة أحمد كامل ، الأستانة (اسطنبول)

19-عامر ، محمود .(2024). المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية ،مجلة دراسات تاريخية ، جامعة دمشق ، ع117

20-الغازي ، أماني بنت جعفر .(2007). دور الإنكشارية في إضعاف الدولة العمانية ، دار القاهرة ، مصر

21-غب، هاملتون، المجتمع الإسلامي و الغرب، تر: احمد أيبش، دار الكتاب الوطنية ، أبو ظبي ، ج1

22–غربي ، الغالي .(2012). دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي (1288–1916م) ، ديوان المطبوعات العربية ، الجزائر ،2007م
23–ابن كمال (كمال باشا زاده)، أحمد بن سليمان (ت 1534).(1316هـ). رسائل ابن كمال ، مطبعة أندام ، استانبول ،ص200
24–كوندوز ، عرفان . (1984).الدولة العثمانية والتصوف ، د. ن، استانبول
25–لبيب ، حسين .(1921). تاريخ المسألة الشرقية ، مطبعة الهلال القاهرة
26–مانتران ، روبير .(1993). تاريخ الدولة العثمانية ، تر: بشير السباعي ،ج1، دار الفكر ، القاهرة
27–مجموعة من المؤلفين . (2008).موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية ، دار الفكر العربي ، القاهرة
28–المحامي ، محمد فريد بك .(1981). تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس ،بيروت
29–المرسي ، أحمد .(1983). الدولة العثمانية والولايات العربية ، مجلة الدار ،ع4
30–مروان ، محمد عمر .(2017). الإنكشاريون قوة الدولة وضعفها ، المجلة العلمية لكلية التربية ،ليبيا ، م2،ع8
31–معاشي ، جميلة .(2007). الانكشارية والمجتمع ببايلك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ، رسالة دكتوراه ، جامعة منتوري ، قسنطينة
32–موستراس ، س.(2002). المعجم الجغرافي للدولة العثمانيَّة، تر: عصام احمد الشحادات، دار ابن حزم ، بيروت ،ط1
33–النعيمي ، أحمد نوري .(2006). الدولة العثمانية واليهود ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت
34–الهاشمي ، عبد المنعم . (2004).الخلافة العثمانية ، دار ابن حزم ،بيروت
35–ياغي ، إسماعيل .(1997). العالم العربي في التاريخ الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض
36–ياغي ، إسماعيل أحمد .(1996). الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض

المراجع الأجنبية :

1- itzkowitzK, norman,(1972). Othman empire and Islamic tradition ,the university of Chicago press,London,

2- Ozen tok(2012)..osmanli teskilati.tufan gunduz.grafiker yay.ankara

نظرية حل المشكلات عند لاري لودان ونقده لفلسفة العلم المعاصرة

محمد مصطفى بشو *
د. جلال بدلة **
د. شفيقة الشعار ***

ملخص

هذا البحث يتطرق إلى عدة أنواع أساسية من المشكلات العلمية في الابستمولوجيا كما قدمها Larry Laudan، وهي ما يسميها المشكلات المفاهيمية أو التصورية Conceptual Problems، والتي تحتل مكاناً هاماً في تحليل ونقد النظريات العلمية وتقييمها. البحث يركز على طبيعة هذه المشكلات ودورها في تطور المعرفة العلمية، يقسم لودان المشكلات التصورية إلى نوعين رئيسيين. النوع الأول هو المشكلات التصورية الداخلية: وهي المشكلات التي تنشأ من الغموض المفاهيمي أو من داخل النظرية نفسها أما النوع الثاني فهو المشكلات التصورية الخارجية: وهي التي تنشأ نتيجة تعارض النظرية العلمية مع نظريات علمية أخرى مقبولة، وتكمن أهمية البحث في عرض هذه المشكلات العلمية المعاصرة وتصبح معالجة هذه المشكلات مهمة أساسية في عملية تقييم النظرية العلمية. كما يتطرق البحث نقد لودان لعدد من الاتجاهات الهامة في فلسفة العلم المعاصرة. ففي نقده لنظرية الثورات العلمية التي قدمها Thomas Kuhn، يرى لودان أن مفهوم النموذج الإرشادي الذي اعتمد عليه كون يتسم بالغموض وغير محدد بدقة من الناحية التصورية، كذلك يتطرق البحث لنقد لودان لنظرية برامج الأبحاث العلمية التي طورها Imre Lakatos. وينتقد لودان برنامج البحث الصارم الذي يقدمه لاكاتوش.

الكلمات المفتاحية: الابستمولوجيا، الميثودولوجيا، المشكلات التصورية، المشكلات الإمبيريقية

* طالب دراسات عليا دكتوراه. اختصاص ابستمولوجيا ـ قسم الفلسفة ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة اللاذقية ـ سوريا.
البريد الإلكتروني: Mohammad.bisho@latakia.univ.edu.sy
** أستاذ مساعد ـ قسم الفلسفة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة اللاذقية ـ سوريا.
البريد الإلكتروني: badlehjalal@yahoo.com
*** مدرس ـ قسم الفلسفة. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة اللاذقية ـ سوريا.
البريد الإلكتروني: chafikacha.yahoo.com

Larry Laudan's problem-solving theory and his critique of contemporary philosophy of science

* Mohammed Mustafa Bisho
** Dr. Jalal Badleh
*** Dr. Shafikah Al-Shaar

ABSTRACT

This research addresses several fundamental types of scientific problems in epistemology, as presented by Larry Laudan, which he calls conceptual problems. These problems occupy a crucial place in the analysis, critique, and evaluation of scientific theories. The research focuses on the nature of these problems and their role in the development of scientific knowledge. Laudan divides conceptual problems into two main types. The first type is internal conceptual problems: these arise from conceptual ambiguity or from within the theory itself. The second type is external conceptual problems: these arise as a result of a scientific theory contradicting other accepted scientific theories. The importance of this research lies in presenting these contemporary scientific problems, and addressing these problems becomes a fundamental task in the process of evaluating scientific theory. The research also addresses Ludan's critique of several important trends in contemporary philosophy of science. In his critique of Thomas Kuhn's theory of scientific revolutions, Ludan argues that Kuhn's concept of the paradigm is vague and conceptually undefined. The research also includes Ludan's critique of Imre Lakatos's theory of scientific research programs. Ludan criticizes Lakatos's rigid research program.

Key Words: Epistemology**,** Methodology**,** Conceptual problems**,** Empirical prob

*PhD Candidate, Epistemology – Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University, Syria.
Email: Mohammad.bisho@latakia.univ.edu.sy
** Dr. — Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University, Syria.
Email: badlehjalal@yahoo.com
*** Dr. — Department of Philosophy, Faculty of Arts and Humanities, Latakia University, Syria.
yahoo.com.chafikacha :Email

مقدمة

تتميز فلسفة العلم المعاصرة بمباحثها النقدية حول طبيعة المعرفة العلمية وآليات تطورها ومعايير تقويمها. وفي هذه المواضيع برز لاري لودان بوصفه أحد أبرز فلاسفة العلم المعاصرين، إذ سعى إلى بناء تصور إبستمولوجي يدافع عن مشروعية المنهج العلمي ويعيد الاعتبار للأسس المنهجية التي يقوم عليها النشاط العلمي. وقد جاء مشروعه الفلسفي في مواجهة عدد من الاتجاهات الفكرية الحديثة التي شككت في قيمة المنهجية العلمية. فقد حاول لودان أن يقدم رؤية فلسفية نقدية تتجاوز العديد من الفلسفات الكلاسيكية التي واجهت فلسفة العلم في القرن العشرين، خاصة تلك التي أثارها الوضعيون المناطقة من جهة، والتيارات النسبوية لدى فلاسفة ما بعد الوضعية من جهة أخرى.

لودان يكون هنا كمدافع عن فكرة أن فهم العلم يتحقق فقط عبر الم حل المشكلات، بل أيضاً عبر فحص المشكلات التصورية للنظريات. فانتقاده لبعض الاتجاهات، مثل توماس كون ولاكاتوش، يرتبط بكونها ركزت بشكل أساسي على التحقق الامبيريقي وأهملت المشكلات التصورية داخل النظريات. وفي المقابل، فإن نقده للنسبوية نابع من كونها بالغت في التشكيك في المعايير، دون تقديم بديل واضح لضبط هذه المشكلات التصورية.

"إن المشكلات التصورية هي خصائص للنظريات، وليس لها وجود مستقل عن النظريات التي تعرضها، بل ليس لها حتى استقلال محدد كالذي تتميز به أحياناً المشكلات الإمبيريقية. فإذا كانت المشكلات الإمبيريقية هي تساؤلات من الدرجة الأولى عن كيانات أساسية في مجال معين، فإن المشكلات التصورية تعد تساؤلات من درجة أعلى عن التأسيس الجديد للتركيبات المفاهيمية أعني النظريات التي تم ابتكارها لتجيب عن تساؤلات الدرجة الأولى[1]".

أي بمعنى أخر أن المشكلات التصورية ليست مستقلة بذاتها، بل هي مرتبطة بالنظريات التي تنتجها. أي أنها تنشأ من داخل الإطار المفاهيمي للنظرية، وتتعلق بمدى وضوح مفاهيمها، واتساقها الداخلي، وقدرتها على التفسير. بخلاف ذلك، فإن المشكلات الإمبيريقية التجريبية تتجه مباشرة إلى الواقع، فهي تساؤلات من الدرجة الأولى تبحث في الظواهر والوقائع. أما المشكلات التصورية فهي تساؤلات من درجة أعلى، لأنها لا تسأل عن الظواهر نفسها، بل عن كيفية بنائنا للنظريات التي تفسر تلك الظواهر. لذلك، فهي تهتم بإعادة صياغة المفاهيم ودورها الحاسم وبتحسين الأطر النظرية.

1 لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص64.

حاول لودان أن يثبت، بالأدلة التاريخية أن فكرة أساسية مفادها " أن تاريخ العلم لا يظهر أن التقدم العلمي تحقق فقط عبر حل المشكلات التجريبية الإمبيريقية، بل يكشف أيضاً أن هناك دوراً حاسماً لعوامل غير تجريبية، أي تصورية ومفاهيمية. بمعنى أن العلماء لم يكونوا يغيرون نظرياتهم فقط بسبب تعارضها مع الوقائع، بل أيضا بسبب وجود خلل في مفاهيمها، أو غموض في بنيتها، أو ضعف في انسجامها الداخلي[2]".

يرى لاري لودان أن المشكلات التصورية تحتل مكانة محورية في تطور العلم، بل ويؤكد أن الاعتراف بها والعمل على حلها يعد من أكثر العمليات إبداعاً في تاريخ العلوم، سواء الطبيعية أو الاجتماعية. فالعلم لا يتقدم فقط عبر الملاحظة والتجربة، وإنما أيضاً من خلال مراجعة المفاهيم وإعادة بناء النظريات التي نفسر بها العالم. وتظهر أهمية هذه المشكلات بوضوح حين نجد أنفسنا أمام نظريات متناقضة أو غير قابلة للتصديق في الوقت نفسه؛ إذ لا يمكن قبولها معاً، مما يفرض ضرورة التخلي عن إحداها أو إعادة النظر فيها. هذا التعارض يكشف عن خلل أعمق في البنية التصورية للنظريات ذاتها. ومن هنا، فإن كل تعارض بين نظريتين مقبولتين يخلق مشكلة تصورية، ويدفع العلماء إلى البحث عن حلول أكثر اتساقاً ودقة. وهكذا تصبح للمشكلات التصورية أهمية في البحث العلمي، لأنها تفتح المجال أمام تطوير المعرفة وإعادة تشكيل الأطر النظرية بشكل أكثر.

يؤكد لودان" أن الاعتراف بمثل هذه المشكلات التصورية وحلها هو من أكثر العمليات إبداعاً في تاريخ العلوم الطبيعية والاجتماعية. فإذا كانت هناك نظريات متناقضة أو غير قابلة للتصديق Implausible على نحو متبادل، فهناك فرضية قوية تقول بوجوب التخلي عن إحداها على الأقل[3]". ويجب التأكيد على أن أية نظرية معينة تعد متعارضة مع نظرية أخرى مقبولة إنما تخلق مشكلة تصورية لكلتا النظريتين، وهو ما يحاول لودان معالجته من خلال " تحديد السمات المميزة للتقدم العلمي المتمثلة في عملية الانتقال من وضع المشكلات الشاذة عديمة الحل إلى وضع المشكلات ذات الحل المفترض.[4]" وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى دراسة نظرية حل المشكلات عند لاري لودان، والكشف عن طبيعة المشكلات العلمية التي تناولها، ولا سيما المشكلات التصورية الداخلية والخارجية، إضافة إلى

2لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص63.

3إسماعيل، فاطمة. فلسفة العلم عند لاري لودان، الطبعة الأولى، الناشر دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، 2023، ص102.

4محمد أبو علي، أحمد عبد الفتاح. إشكالية التقدم العلمي، دراسة في فلسفة لاري لودان، ص2.

تحليل نقده لبعض الاتجاهات البارزة في فلسفة العلم المعاصرة. ومن هنا تطرح الدراسة إشكاليتها الأساسية التي تتمثل في التساؤل الآتي: **كيف أسهمت نظرية حل المشكلات عند لاري لودان في إعادة بناء معايير تقويم النظريات العلمية، وما حدود فاعليتها في نقد التصورات المعاصرة لتطور العلم، وبخاصة فلسفتي توماس كون وإيمري لاكاتوش؟**

أولاً–مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في محاولة الكشف عن مدى قدرة نظرية حل المشكلات عند لاري لودان على تقديم تصور إبستمولوجي جديد لفهم طبيعة المعرفة العلمية وتطورها، في ظل التحولات التي عرفتها فلسفة العلم المعاصرة وما أثارته من إشكالات حول مفهوم العقلانية العلمية ومعايير تقويم النظريات. فقد انتقد لودان بعض التصورات السائدة، خاصة عند توماس كون وإيمري لاكاتوش، معتبراً أن هذه التصورات لم تقدم تفسيراً كافياً لكيفية تقدم العلم ودور المشكلات العلمية في توجيه مساره.

وعليه، تتمحور مشكلة البحث حول بيان الأسس التي تقوم عليها نظرية حل المشكلات عند لودان، والكشف عن طبيعة المشكلات العلمية التي حددها، ولا سيما المشكلات التصورية الداخلية والخارجية، ومدى إسهامها في بناء معيار موضوعي لتقييم النظريات العلمية. كما تبحث الدراسة في حدود نقد لودان لفلسفة العلم المعاصرة، ومدى نجاح مشروعه في تجاوز المشكلات التي رآها في تصورات كل من كون ولاكاتوش.

ثانياً– أهمية البحث

تكمن في تناوله للمشكلات التصورية التي تأخذ مكاناً هاماً في دراسة التقدم العلمي، لأنها لا ترتبط فقط بمطابقة النظريات مع الوقائع، بل ترتبط أيضاً بكيفية انسجام المفاهيم والبنية النظرية داخل الإطار العلمي نفسه. فالتقدم العلمي لا يتحقق فقط من خلال حل المشكلات الإمبيريقية، بل أيضاً من خلال معالجة التوترات التصورية والمشاكل النظرية التي قد تظهر داخل النظريات.

تلك النظريات التي قدمها كل من توماس كون وإمري لاكاتوش، واللذين كان لهما دور كبير في فهم طبيعة تطور العلم. ورغم القيمة العلمية لهذه النماذج، إلا أنها تواجه صعوبات تحليلية وتاريخية عندما نطبقها على بعض الحالات الفعلية لتطور العمليات وتكمن أهمية هذا البحث في محاولته إعادة النظر في النماذج الفلسفية التي سعت لتفسير التقدم العلمي.

وكذلك تكمن أهمية هذا البحث في تسليطه الضوء على حدود المفهوم الإمبريقي للتقدم العلمي، الذي يختصر التقدم فقط في زيادة المحتوى التجريبي أو القدرة التنبؤية، متجاهلاً الأبعاد المفاهيمية والمنهجية والتفسيرية للعلم. كما يناقش البحث مشكلة التحيز المنهجي الذي قد ينشأ من بناء نماذج

مثالية للعلم التقدمي، مما قد يؤدي إلى تفسير بعض الوقائع التاريخية على أنها استثناءات أو انحرافات عن النموذج المثالي.

كذلك تكتسب هذه الدراسة أهميتها من خلال تسليط الضوء على تصور بديل أكثر مرونة، يتمثل في مفهوم تقاليد البحث الذي طرحه لاري لودان، والذي يركز على حل المشكلات العلمية كمعيار أساسي للتقدم العلمي. هذا المفهوم يسمح بتعدد الأطر النظرية والتدرج التاريخي في تطور المعرفة العلمية.

ثالثاً- هدف البحث

هذا البحث يهدف إلى:

-تحليل ونقد ومقارنة بعض النماذج الفلسفية المعاصرة التي فسرت التقدم العلمي، وتسليط الضوء على نموذج الثورات العلمية ونموذج برامج البحث. كما يقدم البحث مفهوم فلسفي معاصر يطلق عليه لودان مفهوم تقاليد البحث هدفه تقييم النظريات العلمية وإحداث أقل عدد ممكن من المشكلات التصورية لفهم تطور العلم.

-توضيح أوجه التشابه والاختلاف بين هذه النماذج العلمية المعاصرة، وتوضيح كيف يمكن الاستفادة من إنجازاتها النظرية مع تخطي بعض محدودياتها.

رابعاً- منهجية البحث

من المعروف لدى الباحثين وفلاسفة العلم أن موضوع البحث هو الذي يحدد منهجية البحث وطريقته. وبالنظر إلى أن موضوع هذا البحث يتعلق بأهمية المشكلات التصورية، وخاصة في نقد النماذج العلمية المعاصرة، فقد تم اعتماد المنهج التحليلي النقدي كمنهج رئيسي، وذلك لأنه يسمح بـ:

1- تحليل المفاهيم الأساسية مثل التقدم العلمي، النماذج الكبرى، وتقاليد البحث.

2- نقد حدود نظريات مثل نظرية توماس كون حول الثورات العلمية ونموذج إمري لاكاتوش حول برامج البحث.

3- إبراز نقاط القوة والضعف في هذه التصورات، بما يسهم في تقييم مدى فاعلية النماذج العلمية المعاصرة. كما تم استخدام المنهج المقارن، حيث يقارن البحث بين ثلاث رؤى فلسفية مركزية: تصور

توماس كون حول الثورات العلمية، وتصور إمري لاكاتوش لبرامج البحث، وتصور لاري لودان لتقاليد البحث. يهدف ذلك إلى إظهار الفروقات والتقارب بين هذه المناهج.

بالإضافة إلى ذلك، تم توظيف المنهج التاريخي بشكل جزئي، لأنه يتيح تتبع التطور التاريخي للعلم وفهم صعوبة تفسير كل الحالات التاريخية من خلال نموذج واحد فقط، مع بقائه داعماً للمنهج الرئيسي التحليلي النقدي. هذا التوظيف المتكامل يمكن البحث من تقديم تحليل معمق للنظريات العلمية المعاصرة وربطها بسياقها التاريخي والفلسفي.

خامساً– الدراسات السابقة

تختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة الذي سوف أشير لها الأن من حيث زاوية المعالجة وطبيعة الإشكالية التي تنطلق منها؛ فبينما ركزت بعض الدراسات على عرض فلسفة لاري لودان بصورة عامة أو تناولت مفهوم التقدم العلمي لديه، تهتم هذه الدراسة بتحليل نظرية حل المشكلات بوصفها محوراً أساسياً في مشروعه الإبستمولوجي، مع التركيز على دور المشكلات التصورية في تقييم النظريات العلمية وتفسير تطور المعرفة العلمية.

كما تتميز هذه الدراسة بربطها بين الجانب البنائي في فلسفة لودان، المتمثل في نظريته حل المشكلات، والجانب النقدي الموجه إلى فلسفة العلم المعاصرة، خاصة نقده لمفهوم النموذج الإرشادي عند توماس كون ونظرية برامج البحث العلمي عند إيمري لاكاتوش. ومن ثم فهي لا تكتفي بعرض أفكار لودان، بل تسعى إلى الكشف عن موقع مشروعه ضمن الجدل الفلسفي حول طبيعة العلم ومعايير عقلانيته.

وعليه، تتمثل خصوصية هذه الدراسة في الجمع بين تحليل نظرية حل المشكلات عند لودان ودراسة أبعادها النقدية، بهدف تقييم مدى قدرتها على تقديم بديل إبستمولوجي لتفسير نمو المعرفة العلمية وتجاوز بعض الإشكالات التي أثارتها الاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم.

الدراسة الأولى: للدكتور السيد نفادي بعنوان: التقدم العلمي ومشكلاته، ناشر مجلة عالم الفكر م29، عدد،2، 2000.

الدراسة مقسمة إلى أربعة محاور. تناولت الدراسة في المحور الأول والثاني التقدم العلمي وعوائقه. حيث يعني بصفة عامة التقدم حركة للأمام ولا سيما تجاه هدف محدد سلفاً. أما

التقدم العلمي فيعني بالمثل حركة للأمام في حدود المعرفة العلمية. في المحور الثالث تناول التقدم العلمي بين التراكم والثورة. في هذا المحور يرى أن البنية المفهومية للعلم لا تطور عن طريق رصانة جديدة للغة القديمة، أي عن طريق تراكم ثابت لمفردات جديدة، وإنما تطور اللغة العلمية هو مثل تطور الوقائع والفروض. أي تلك الثورات التي لا تأتي بمفاهيم جديدة لظواهر ومشكلات علمية جديدة فحسب، وإنما تأتي أيضاً بمعاني جديدة لظواهر ومشكلات علمية قديمة. تناول في المحور الرابع عدة نماذج في التقدم العلمي منها: نموذج كارناب وتأييد النظريات، ونموذج بوبر وتكذيب النظريات، ونموذج كون والثورات العلمية، وعرض نموذج لاكاتوش وبرامج الأبحاث، وصولاً إلى نموذج لاري لودان في حل المشكلات العلمية. لذا يرى أن لودان يذهب إلى أن دراسات التطور التاريخي للعلم قد أسهمت في توضيح أن أي نموذج معياري للعقلانية العلمية لابد أن يشتمل على المصادر التي تبني أن العلم كان مشروعاً عقلانياً واسعاً. وأنه يتوصل إلى مصطلحات ذات ملامح ثابتة معينة للتطور العلمي.

النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة

توصلت الدراسة إل1- أن التقدم العلمي يمثل حركة مستمرة نحو تطوير المعرفة العلمية وتحقيق أهداف.

2-أكدت أن التقدم العلمي لا يتحقق بالتراكم المعرفي وحده، بل يعتمد أيضاً على الثورات العلمية التي تحدث تغييرات جوهرية في المفاهيم والنظريات.

3-بينت أن الثورات العلمية لا تقدم مفاهيم جديدة فحسب، بل تعيد تفسير الظواهر والمشكلات العلمية القديمة بمعان جديدة.

4-أوضحت أن هناك عدة نماذج فلسفية لتفسير التقدم العلمي، منها نماذج كارناب، وبوبر، وكون، ولاكاتوش، ولاري لودان، ولكل منها رؤية مختلفة لتطور العلم.

5-خلصت الدراسة إلى أن نموذج لاري لودان يعد من أكثر النماذج شمولاً، إذ يربط التقدم العلمي بقدرة النظريات على حل المشكلات العلمية، ويرى أن التاريخ العلمي يبرهن على أن العلم مشروع عقلاني يتطور وفق معايير واضحة وثابتة نسبياً.

الدراسة الثانية: للدكتورة فاطمة إسماعيل بعنوان: معضلة التقدم العلمي، ناشر حلقات جدل، د.ت.

تهدف الدراسة إلى تقديم مقاربة ميثودولوجيا تقاليد البحث عند كل من لودان وتوماس كون وإمري لاكاتوش.

تضيء الدراسة بشكل مباشر على سيرورة التقدم العلمي. كما تطرقت الدراسة بصورة أساسية إلى النقد الموجه لنظرية النماذج العلمية عند توماس كون، ونظرية برامج الأبحاث عند لاكاتوش والفكر النسبوي. النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة

توصلت الدراسة إلى1- أن التقدم العلمي يفهم بصورة أفضل من خلال تقاليد البحث كما عرضها كل من لاري لودان، وتوماس كون، وإمري لاكاتوش.

2-أكدت أن سيرورة التقدم العلمي عملية معقدة وديناميكية، ولا يمكن تفسيرها من خلال منظور فلسفي واحد.

3-بينت الدراسة أن نظرية النماذج العلمية عند توماس كون تعرضت لانتقادات تتعلق بتفسيرها لطبيعة التغير العلمي والثورات العلمية.

4-أوضحت أن نظرية برامج الأبحاث عند لاكاتوش تمثل محاولة لتفسير تطور المعرفة العلمية، إلا أنها واجهت أيضاً عدداً من الانتقادات.

5-خلصت الدراسة إلى أن الفكر النسبوي يثير إشكاليات تتعلق بمعايير الموضوعية والعقلانية في تقييم التقدم العلمي، مما يستدعي تبني مقاربة منهجية أكثر شمولاً لفهم تطور العلم.

الدراسة الثالثة: للدكتور أحمد عبد الفتاح محمد أبوعلي بعنوان: إشكالية التقدم العلمي دراسة في فلسفة لاري لودان، ناشر وجهات نظر، د.ت.

تهدف الدراسة في تقديم رؤية نقدية للاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم وعلى رأسها الوضعية المنطقية وما بعد الوضعية أي النسبوية. تكمن أهمية الدراسة بأن هدف العلم عند لودان هو حل مشكلة ما، يفسر فكرة التقدم العلمي فيفترض بأن العلم تقدمي وأن هذا التقدم يمكن أساساً في الاختبار بين النماذج المتنافسة. تقدم الدراسة ايضاً مفهومين جديدين فكرة العقلانية العلمية وفكرة التقدم والطبيعة المعيارية. تتضمن هذه الدراسة نقطة التساؤل حول القواعد المنهجية، فالطبيعة المعيارية هي رؤية حول مكانة نظرية المعرفة وفلسفة العلم، أي أنها تربط الوسائل المنهجية بالأهداف المعرفية. النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة

توصلت الدراسة إلى 1-أن فلسفة لاري لودان تقدم رؤية نقدية للاتجاهات المعاصرة في فلسفة العلم، وخاصة الوضعية المنطقية وما بعد الوضعية النسبوية.

2-أكدت أن هدف العلم عند لودان هو حل المشكلات، وأن نجاح النظريات العلمية يقاس بقدرتها على معالجة المشكلات العلمية.

3-بينت أن التقدم العلمي يتحقق من خلال المفاضلة بين النماذج أو النظريات المتنافسة واختيار الأكثر قدرة على حل المشكلات.

4-أوضحت الدراسة أن العقلانية العلمية والتقدم العلمي مفهومان مترابطان، وأنهما يرتكزان على الطبيعة المعيارية للعلم.

5-خلصت إلى أن الطبيعة المعيارية تربط القواعد المنهجية بالأهداف المعرفية، مما يجعل تقييم النظريات والمناهج قائماً على مدى تحقيقها للأهداف المعرفية وحلها للمشكلات.

الدراسة الرابعة: للباحثة ايمان شاكر عبد العزيز بعنوان: رؤية نقدية لمفهوم التقدم العلمي عند لاري لودان، ناشر مجلة جامعة أسيوط، عدد 48،2022

في هذه الدراسة تناولت الباحثة مفهوم التقدم العلمي عند لاري لودان وأنماطه وأشكاله ومشكلاته بوجهة نظر نقدية ما بين لاري لودان ومعاصريه أمثال: كون وفيرابند.

كما أوضحت الباحثة دور الثورات العلمية في عملية التقدم العلمي، وأيضاً مدى ارتباط الثورات العلمية وتأثيرها في مفهوم التقدم العلمي. النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة

توصلت الدراسة 1-إلى أن لودان يجعل معيار تقدم العلم هو قدرة النظرية على حل المشكلات التجريبية والمفاهيمية، وليس مجرد كونها أحدث أو أكثر شيوعاً

رفض التفسير الثوري الخالص للتقدم العلمي.

2-تنتقد الدراسة الاتجاه الذي يربط التقدم العلمي حصرياً بالثورات العلمية كما عند توماس كون، وتوضح أن لودان يرى أن التقدم قد يتحقق بصورة تدريجية ومستمرة أيضاً، من خلال تحسين القدرة على حل المشكلات.

الثورات العلمية ليست الشرط الوحيد للتقدم

3-تخلص الباحثة إلى أن الثورات العلمية قد تحدث نقلات كبيرة في المعرفة، لكنها ليست المعيار الحاسم للتقدم العلمي، إذ قد توجد فترات من التقدم دون حدوث ثورة علمية

نقد موقف بول فيرابند.

4-تشير الدراسة إلى أن النزعة التعددية والمنهجية المفتوحة عند فيرابند تضعف إمكانية وضع معيار موضوعي للحكم على التقدم العلمي، بينما يحاول لودان تقديم معيار أكثر عقلانية يعتمد على نجاح النظريات في معالجة المشكلات.

تميز تصور لودان بقدر من الوسطية

5-ترى الباحثة أن تصور لودان يجمع بين الاعتراف بتاريخية العلم وتغير نظرياته، وبين الحفاظ على إمكانية تقييم النظريات وفق معايير عقلانية، وهو ما يجعله يتجاوز بعض جوانب القصور في تصورات كل من كون وفيرابند.

العلاقة بين الثورات والتقدم علاقة تكامل لا تطابق

6-تؤكد الدراسة أن الثورات العلمية قد تكون وسيلة لتحقيق التقدم، لكنها ليست التقدم ذاته، لأن معيار التقدم الحقيقي يظل مرتبطاً بزيادة قدرة العلم على تفسير الظواهر وحل المشكلات.

المحور الأول: طبيعة المشكلات التصورية.

هناك نظرة أكثر اتساعاً تتعلق بطبيعة حل المشكلات؛ إذ تبرز من خلالها طبيعة المشكلات التصورية، بما يضعنا في موقف يمكننا من استيعاب وشرح ذلك النوع من التفاعل العقلي الذي قد يحدث بين المدافعين عن نظريات جرى تدعيمها بمعطيات متكافئة. ولأن تقييم النظريات يتحدد وفق عوامل متعددة، فإن تعادل القيمة أو التكافؤ بين النظريات بحسب عامل واحد لا يمنع بالضرورة إمكان الاختيار العقلاني، الذي قد يرتكز على فروق في مستويات أخرى.

من طبيعة المشكلات التصورية أنها تسعى إلى تقديم صياغة دقيقة لنمو المعرفة العلمية الموضوعية، أو ما يمكن تسميته بـ التطور العقلي الخالص. بمعنى آخر، فإن هذه المشكلات تتعامل مع الأسس النظرية التي تحدد كيفية تقدم العلم وتطور المعرفة بشكل عقلاني. ومن خلال هذه الصياغة، نحاول أن نفهم كيف يتطور العلم بناء على المبادئ العقلانية التي تؤدي إلى بناء معرفة أكثر صحة ودقة مع مرور الوقت.

لذلك، عندما نتحدث عن المشكلات التصورية في سياق فلسفة العلم، نجد أن هذا المجال لا يقتصر فقط على محاولة فهم الواقع أو تفسير الظواهر، بل يتعلق أيضاً بتوضيح كيفية تطور المعرفة. إنه

يشمل فحص الأسس التي بنيت عليها النظريات العلمية وكيف يمكن لهذه الأسس أن تتطور بشكل عقلاني لتواكب التقدم في مجال العلم. إن هذا التقدم العقلي ليس مجرد جمع الملاحظات، بل هو عملية عقلية تهدف إلى تحسين أساليب التفكير العلمي وصياغة مفاهيم وأدوات جديدة لتفسير المشاكل بشكل أكثر دقة وموضوعية.

في هذا السياق، تأتي فلسفة العلم، أو ميثودولوجيا العلم، لتكون محاولة لشرح أو تحديد هذه العمليات العقلانية التي تقود إلى التقدم العلمي. الفلسفة هنا لا تتعلق فقط بالمفاهيم والنظريات في حد ذاتها، بل تتعلق أيضاً بالطرق والمنهجيات التي يستخدمها العلماء لتطوير هذه المفاهيم والنظريات. هي محاولة لشرح كيفية تطور المعرفة على أساس عقلاني، أي كيف يمكن للعلم أن ينمو بشكل منهجي ومتسق مع العقلانية.

إحدى أبرز الأعمال التي تناولت هذا الموضوع هو التقدم ومشكلاته، وهو كتاب يعتبر من أهم أعمال لاري لودان في مجال فلسفة العلم. في هذا الكتاب، يناقش لودان كيف يتم تحقيق التقدم في العلم وكيف يمكن التعامل مع المشكلات التصورية التي تظهر أثناء تطور النظريات العلمية. لودان يعرض في هذا الكتاب فكرة أن التقدم العلمي لا يتحقق من خلال تراكم المعرفة فقط، بل عبر إعادة تقييم النظريات وتطويرها بناء على النقد المستمر. فهو يعتبر أن العلم أساس لحل المشكلات التصورية.

إذاً، لودان قام بتعريف المشكلات التصورية عن طريق الاستبعاد، ورأى أنها غير إمبيريقية. المهم في عملية التقدم العلمي هو أن نوضح بدقة ما هي وكيف نشأت. " أن المشكلة التصورية هي مشكلة تعرضها نظرية ما أو أخرى، فالمشكلات التصورية هي خصائص للنظريات وليست لها وجود مستقل عن النظريات التي تعرضها، بل ليس لها حتى استقلال محدد كالذي تتميز به أحياناً المشكلات الإمبيريقية.[5] " إذاً، الهدف الأساسي للمشكلات التصورية هو عرض النظريات الأكثر ثراء في حل مشكلة ما بأكثر مما يسمح به التجريبيون، والبحث الدقيق لطبيعة العلاقات غير الإمبيريقية وعرض الدور الذي تقوم به في تقييم النظرية. كذلك رؤية لودان تجاه بعض فلاسفة العلم التجريبيين، مثل بوبر و كارناب و ريشنباخ، وأيضاً بعض الميثودولوجيين الذين لم يكونوا ملتزمين بالتجريبية، مثل لاكاتوش و كولينجوود و فايبرآبند. لودان يشير إلى أن جميع هؤلاء الفلاسفة تخيلوا " أن تفضيل نظرية علمية يجب أن يعتمد فقط على اعتبارات تجريبية، أي أنه ينبغي أن نحكم بصحة أو أولوية النظريات العلمية بناء على قدرتها على التفسير التجريبي للظواهر. بعبارة أخرى، كانوا يعتقدون أن التجربة والبيانات

5 لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، .الطبعة الأولى، 2016، ص63.

الحسية هي العامل الرئيسي الذي يجب أن يؤخذ في الاعتبار عند تقييم أو تفضيل نظرية علمية على أخرى[6]".

أن هؤلاء الفلاسفة أخفقوا في الاتفاق على دور المشكلات التصورية في العلم، فإنه يشير إلى أن تصوراتهم كانت غير محايدة لأنها استبعدت أهمية العوامل التصورية والفلسفية في تحديد صحة النظريات. بالنسبة لهم، كان التقدم العلمي مقصوراً على البيانات التجريبية والتجارب القابلة للتحقق، لكن هذه النظرة تتجاهل دور المفاهيم والنماذج الفكرية التي تقوم عليها هذه البيانات. " فهذه التصورات التي تؤلف ما يسميه نظرية علمية شاملة ليست محايدة Neutral، بل تؤدي دوراً كانطياً نسبة إلى كانط، فهي تؤثر، وتشكل، وتحدد اختبارنا لهذا، ويقول: إن تقدم نظرية جديدة يشتمل على تغيير في النظرة إزاء ملامح العالم الممكن ملاحظتها وتلك التي لا يمكن ملاحظتها، ويترافق ذلك مع تغيير في المعاني، حتى معاني المفردات الأكثر أساسية للغة المستعملة.[7]" لودان ينتقد هذا التصور الذي يشير إلى أن النظريات العلمية تشكل وتؤثر على كيفية اختبارنا للواقع، ويعتبر أن هذا الفهم يتجاهل الدور الحاسم الذي تلعبه المشكلات التصورية في تطوير العلم بشكل عقلاني. هو يرفض فكرة أن النظريات يمكن أن تكون مجرد أدوات لتشكيل الواقع كما نراه، ويتبنى موقفاً أكثر نقداً تجاه تصور كانط حول المعرفة، الذي يرى أن التصورات أو النماذج النظرية ليست عقلانية. " لقد رأى بعض مؤرخي العلم وفلاسفته، أن بعض القرارات التي اتخذت بين بعض النظريات في العلم كانت لا عقلانية، ليس هذا فحسب، بل رأوا أن الاختيارات بين النظريات العلمية المتنافسة، بطبيعتها، يجب أن تكون لا عقلانية.[8]"

أن النموذج الذي يقدمه لاري لودان عن العقلانية ليست مجرد سمة تتعلق بزمن أو ثقافة معينة، بل هي سمة عامة تتجاوز القيود الثقافية والزمنية. إذن أن هناك خصائص مشتركة بين كل الأنماط الفكرية التي يمكن تصنيفها على أنها عقلانية، بغض النظر عن السياقات الثقافية أو التاريخية. وبذلك لا يظل التشييد النسقي أو المذهبي للفلسفة مغلقاً على نفسه، بل ثمة أفق متحرك أمام الفيلسوف تتعدد المشكلات

6.لودان،لاري، التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي، المصدر السابق نفسه، ص نفس الصفحة.

7كون، توماس. بنية الثورات العلمية، ترجمة حيدر حاج إسماعيل، ناشر المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، 2007، ص33.

8لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص13.

التي يتناولها وفقاً له " فندما تندثر مشكلات قديمة عند بزوغ اكتشافات علمية جديدة، لم يكن من المتصور أن تطرح آثارها من قبل.[9]"

إذاً، يركز لودان بأهمية على الحدود القصوى لنطاق هذا الطيف من المشكلات التصورية، ويرى أن ظهور المشكلات التصورية بالنسبة لنظرية ما n يكون على الشكل التالي:

1-"عندما تكون n تحتوي على تناقضات داخلية، فهذا يعني أن هناك عناصر أو مسلمات تتعارض مع بعضها البعض ضمن نفس النظرية أو النظام

2-عندما تضع n افتراضاً عن العالم يخالف بها نظريات أخرى، فهذا قد يكون إشارة إلى وجود مشكلة[10]".

كما لاحظنا، فإن المشكلات التصورية هي خصائص للنظريات، وليست لها وجود مستقل عن النظريات التي تعرضها. أي إنها تتعلق ببنية النظرية نفسها، ومفاهيمها، واتساقها الداخلي والخارجي.

انطلاقاً من هذا العرض، نلاحظ أن هناك مشكلات تصورية داخلية ومشكلات تصورية خارجية. سوف نتحدث عن كل واحدة منها والفرق بينهما.

المشكلات التصورية الداخلية: الفئة الأولى

ترى فاطمة إسماعيل أن المشكلات التصورية الداخلية هي الأكثر تكراراً. وهذا النوع مكون من فئتين:

الفئة الأولى: "تعبر عن نمط من المشكلات التصورية يظهر مع اكتشاف أن النظرية غير متسقة منطقياً، أي متناقضة ذاتياً. وهذا النمط من المشكلات قد يكون أكثر شيوعاً في تاريخ الرياضيات، غير أنه كثيراً ما يتم اكتشاف نظريات غير متسقة في كل فروع العلم الأخرى تقريباً.[11]"

تظهر المشكلات الداخلية التصورية عندما تتعارض النظرية مع بعض التناقضات الداخلية أو عندما تكون مقولاتها الأساسية في التحليل مبهمة وغير واضحة. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هو وجه خطورة مثل هذا النوع من المشكلات؟ تأتي خطورته في نظر لودان إذا كانت النظرية تحتوي على تناقض داخلي، فإنها لا يمكن أن تكون مقبولة من الناحية المنطقية. وهذا يعني أن استنتاجات النظرية

9قنصوة، صلاح. فلسفة العلم، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة،1981، ص9.

10لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص65.

11إسماعيل، فاطمة. فلسفة العلم عند لاري لودان، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2023، ص96.

تتعارض مع بعضها البعض، وهو أمر لا يتماشى مع المنطق. "فإنها لا تقبل الإثبات أو الدحض بصورة نهائية، وأن إعادة البناء التي يقوم بها الفلاسفة لا يجمعها إلا القليل مما يقع داخل العلم.[12]"

لذا يرى لودان أن الفئة الثانية من المشكلات التصورية الداخلية هي أكثر شيوعاً وأكثر صعوبة في التناول، والتي تنشأ من الغموض المفاهيمي أو الوقوع في الدائرة داخل النظرية. يقول لودان: "إن غموض المفاهيم شأن يتعلق بالدرجة أكثر من تعلقه بالنوع، ومن المحتمل أن توجد درجة ما من الغموض لا يمكن استبعادها في أية نظرية باستثناء أغلب النظريات الأكسيومية. وأحياناً قد تعد درجة صغيرة من الغموض إضافة إيجابية للنظرية، لأن النظريات الأقل دقة في تعريفها يمكن غالباً تطبيقها بسهولة على مجالات جديدة من مجالات البحث أكثر من النظريات التي يتم تحديدها بصرامة. ولكن بالطبع، الغموض المنتظم والمستمر أو الوقوع في الدائرية داخل نظرية ما يجعلها غير ملائمة إلى حد كبير.[13]"

المشكلات التصورية الخارجية: الفئة الثانية

المشكلات التصورية الخارجية تظهر عندما تتعارض نظرية علمية مع نظرية أخرى يعتقد أنصار هذه النظرية أنها مؤسسة جيداً بشكل عقلاني أو تتصادم مع مبادئ معرفية أو ميتافيزيقية عامة. "تنشأ المشكلات التصورية الخارجية بفضل نظرية ما T، وعندما تتعارض T مع نظرية أو مبدأ آخر، في حين يعتقد أنصار T أنها مؤسسة جيداً بشكل عقلاني. لذا يرى لودان أن هذا التعارض يخلق توتراً Tension، وهو الذي يتسبب في تكوين مشكلة تصورية.[14]"

لكن بالإضافة إلى التوتر وعدم الاتساق، هناك علاقات أخرى تشكل أيضاً مشكلات تصورية للنظريات، المشكلة هنا تكمن في التعارض بين النظريات من حيث القبول العقلي أو الصدق، على الرغم من أن كلاهما قد يكون متوافقاً من الناحية المنطقية. حيث تشير إلى أن النظرية قد تكون منطقية ومترابطة داخلياً، ولكن لا يمكن قبولها بالوقت نفسه مع نظرية أخرى، لأن قبول إحداهما قد يجعل الأخرى أقل مصداقية أو أقل معقولية. "عندما لا يمكن تصديق نظريتين في آن معاً، رغم توافقهما من

12شالمر، آلان. نظريات العلم، دار توبقال للنشر، دار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى، 1991، ص13.
13فاطمة. فلسفة العلم عند لاري لودان، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2023، ص97.
14لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص67.

الناحية المنطقية. يعني لودان هنا أنه عندما يؤدي قبول إحداهما إلى جعل الأخرى أقل معقولية مقارنة بالأولى.[15]"

هناك أنماط متعددة يمكن أن تتولد منها مشكلات تصورية للنظريات العلمية والفكرية، بالإضافة إلى التوترات والتناقضات الداخلية. ومن بين هذه الأنماط، نجد نمطاً ثالثاً يتعلق بالغموض في دعم نظرية لأخرى، وهو يشير إلى حالة تكون فيها نظرية جديدة كان من المفترض أن تدعم أو تعزز نظرية أخرى، لكنها في الواقع تفشل في القيام بذلك وتظل مجرد متوافقة مع النظرية السابقة، دون تقديم أي إضافة حقيقية. فتربط هذا النمط بفهم بنية العلم متعددة التخصصات أو ما يعرف بـ العلوم المتداخلة Interdisciplinary Science. فهذه تظهر كيف أن النظريات من مجالات علمية مختلفة قد تتداخل وتؤثر على بعضها البعض. وفي بعض الأحيان، يظل التداخل بين هذه النظريات بسيطاً ولا يسهم في تعزيز أيٍ منها، بل يظل مجرد توافق دون أن يضيف أي جديد.

"أن فروع المعرفة العلمية المختلفة ومجالاتها المتعددة ليست مستقلة تماماً عن بعضها البعض، وفي كل حقبة زمنية توجد أنساق متدرجة [16]"هيراركية للعلاقة المتبادلة بين مختلف العلوم، تحدد التوقعات العقلية للعلماء عند تقييم النظريات[17]". من الواضح أن التوافق المحض بين نظريتين لا يعد دائماً مشكلة تصورية، ولكن في كثير من الحالات فإن التوافق بين نظريتين، بوصفه مخالفاً للعلاقة الإيجابية، ينظر إليه على أنه يمثل عائقاً رئيسياً لقبول النظرية محل الخلاف.

لودان يقدم دوراً أساسياً في تصنيف العلاقات المعرفية المختلفة التي يمكن أن توجد بين نظريتين أو أكثر، كما يلي:

1- "علاقة لزوم Entailment: تعني أن نظرية T تستلزم نظرية أخرى T1.

2- علاقة تعزيز Reinforcement: بمعنى أن T تقدم تعزيزاً عقلانياً لجزء من T1.

3- علاقة توافق Compatibility: تعني أن T لا تستلزم شيئاً من T1.

4- علاقة اللاقابلية للتصديق Implausibility: تعني أن T تستلزم أن جزءاً من T1 لا يبشر بالنجاح.

15لودان،لاري، التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي، المصدر السابق نفسه، ص68.

[16] كلمة هيراركية : تعني التسلسل الهرمي أو الترتيب الطبقي، أي تنظيم العناصر أو الأشخاص أو المناصب بحيث تكون بعضها أعلى أو أدنى من بعضها الآخر وفق مستوى معين من السلطة أو الأهمية أو الأولوية.

17لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص69.

5- علاقة تناقض Inconsistency: تعني أن T تستلزم نفي أو سلب جزء من T1.[18]"

من حيث المبدأ: الموقف من 2 إلى 5: يشير إلى مجموعة من المواقف التي يمكن أن تثير مشكلات تصورية في النظريات. وهذه الحالات قد تمثل درجات مختلفة من التهديد المعرفي التي يتعرض لها النظام الفكري. الموقف من 2 إلى 5 قد يمثل تسلسلاً من الحالات التي تزداد حدتها مع كل خطوة. على سبيل المثال، قد يكون الموقف 2 هو مجرد تعارض طفيف يمكن تداركه بسهولة، بينما الموقف 5 قد يشكل تهديداً كبيراً للنظرية، بحيث يعرضها للرفض الكامل أو يتطلب إعادة هيكلة كبيرة في الأسس النظرية.

هذه هي أنواع العلاقات بين النظريات العلمية التي يمكن أن تؤدي إلى مشكلات تصورية خارجية. وكما ترى فاطمة إسماعيل، إلى جانب هذه العلاقات يشير لودان أيضاً إلى ثلاثة أنواع مختلفة من الصعوبات تمثل مصادر للمشكلات التي يمكن أن تؤدي إلى مشكلات تصورية خارجية، وهي كما يلي:

1- "حالات تتوتر فيها العلاقة بين نظريتين علميتين من مجالات مختلفة.

2- حالات تتعارض فيها نظرية علمية مع النظريات المنهجية التي يتبناها المجتمع العلمي في المجال.

3- حالات تتعارض فيها نظرية علمية مع أي عنصر أساسي من العناصر المكونة لوجهة النظر السائدة عن العالم[19]".

المحور الثاني: نقد لودان لنماذج المعرفة العلمية عند توماس كون.

أن توماس كون من فلاسفة العلم الذين مثلوا علامة فارقة في فلسفة العلم المعاصر، كما تقول سهام النويهي. "ويعد كتاب كون بنية الثورات العلمية، الذي نشره سنة 1962، نقطة البداية لما يمكن أن نطلق عليه ثورة في فلسفة العلم[20]". فلقد قدم كون في هذا الكتاب أفكاراً جديدة حول مفهوم العلم وتطوره وتركيبه، وكان لآرائه تأثير واسع المدى بين الفلاسفة ومؤرخي العلم. لقد عرض كون في عمله

18لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016،ص70.

19إسماعيل، فاطمة. فلسفة العلم عند لاري لودان، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر، 2023، ص100.

20النويهي، سهام. تطور المعرفة العلمية، مقال في فلسفة العلم، 1988، ص78.

البارز بنية الثورات العلمية نموذجاً للتقدم العلمي الذي تشكل دعامته الأساسية [21]"البرادايم Paradigm، وبرغم أن فكرة عن البرادايم ظهرت مبهمة من الناحية النسقية، فإنها تمثل أساس النموذج. ينظر لودان إلى نظرية كون Kuhn عن النماذج العلمية ونظرية لاكاتوش عن برامج البحث باعتبارهما من أفضل الجهود المعروفة التي تصدت لمشكلة التطور العلمي، وتناولا طبيعة تلك النظريات الأكثر عمومية more general؛ لكن ذلك لم يمنعه من نقدهما. رغم أن لودان يتفق مع كون ولاكاتوش في القول بالنظريات الكبرى الأكثر عمومية البرادايم، برنامج البحث ويقول هو بتقليد البحث، فإنه يختلف معهما في كثير من النقاط وفي المعالجة نفسها. ويرجع ذلك إلى اختلاف منطلقات كل منهم، أو اختلاف طبيعة المنهجية Methodology لدى كل منهم. لقد اقترح كل من كون ولاكاتوش، بصفة خاصة، أن النظريات الأكثر عمومية هي أداة أولية لفهم التقدم العلمي وتقييمه، أكثر من النظريات الأكثر خصوصية. "إن كون، مثله في ذلك مثل لاكاتوش، لا يبين أن العلم أرقى من ميادين البحث الأخرى، إنما يفترض ذلك افتراضاً. فهو في الواقع يوحي بأنه علينا، أن نغير هذه النظرية لا العلم الذي تعارضت معه[22]".

يعترف لودان بأن رؤية كون تحتوي على قيمة معرفية كبيرة، خاصة عندما يميز بين نوعين من النظريات العلمية: النظريات الكبرى والنظريات الصغرى. فالنظريات الكبرى عند كون ليست مجرد تفسيرات واسعة للظواهر، بل هي أطر شاملة تنظم طريقة تفكير العلماء وتوجه البحث العلمي نحو أسئلة معينة دون غيرها. أما النظريات الصغرى فهي أكثر تحديداً وارتباطاً بمشكلات جزئية داخل هذا الإطار العام. " إن النظريات الكبيرة maxi-theories تحمل وظائف معرفية مختلفة، موجهة ومساعدة على الكشف heuristic مقارنة بالنظريات الصغيرة mini-theories[23]".

ربما يكون كون أول مفكر يشدد على تماسك وجودة النظريات العلمية: " تركز نظريات التحقق الاحتمالية في صياغتها الأكثر عمومية إلى إحدى شكوك اللغات الملاحظية. إن مقارنة النظريات العلمية بسائر النظريات التي يمكن تخيل تطبيقها مع مجموعة المعطيات الملاحظية ذاتها ضرورية

21 البرادايم : هو مفهوم يستخدم لوصف الإطار الفكري الشامل الذي يعمل من خلاله الأفراد أو الجماعات لفهم العالم. وهو يتكون من مجموعة مترابطة من الافتراضات والمعتقدات والقيم والمفاهيم والمناهج التي تحدد ما الذي يعد حقيقة، وما الأسئلة التي ينبغي طرحها، وكيف تفسر الظواهر، وما الطرق المقبولة للوصول إلى المعرفة أو حل المشكلات.

22شالمرز، آلان. نظريات العلم، دار توبقال للنشر، دار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى، 1991، ص113.

23إسماعيل، فاطمة. مشكلة التقدم العلمي، دار الجمهورية للصحافة، 2016، ص107.

للمقارنة بين قيم احتمالية بعينها، مطلقة كانت أم نسبية[24]". غير أنه يصعب تصور ذلك من وجهة نظر شابير. من وجهة نظر لودان، الذي يشير أيضاً إلى النقد الشامل الذي قام به شابير Shapere لتفسير كون للبرادايم النماذج ومساراتها: "حيث لفت الانتباه إلى صفة الإبهام في البرادايم ذاته، وأشار إلى العديد من التناقضات في استخدام كون للفكرة، كما يشير إلى نقد فاييرآبند Feyerabend ممن شددوا على الخطأ التاريخي في اشتراط كون بأن العلم السوي يمثل شأناً نموذجياً أو سوياً[25]".

وكل برادايم مؤسس جيداً يضم عدداً من النظريات الخاصة، كل منها يفترض مسبقاً عنصراً أو أكثر من عناصر البرادايم. وبمجرد قبول العلماء برادايم ما، فإن مزاعم كون بالغة التطرف، أنه في أي علم ناضج mature سيقبل كل عالم البرادايم ذاته معظم الوقت، وبإمكان العلماء أن يبددوه أو يعبروا عنه، وهي العملية التي تعرف أيضاً باسم العلم القياسي. وفي فترات العلم القياسي، سيتم اعتبار البرادايم السائد نفسه غير قابل للتغيير ومستثنى من النقد.

يبدأ لودان بنقد فكرة البرادايم النماذج التي تشكل الدعامة الأساسية لنموذج التقدم العلمي، إذ يصعب وصفها على نحو دقيق، وإن كانت تلك النماذج ذات خصائص يمكن تحديدها؛ فهي طريق النظر إلى العالم. ففي رأي لودان: "تبصرات شبه ميتافيزيقية واسعة أو حدوث عن كيفية تفسير ظاهرة ما في مجال معين[26]".

لودان يشير إلى أنه، وفقاً لكون، عندما يبدأ البرادايم السائد في مواجهة صعوبات أو مشكلات، فإن العلماء يصبحون أقل قدرة على التشكيك فيه، لأنهم يعتبرون البرادايم قاعدة ثابتة. لكن، كيف يتخذ العلماء قراراً ما إذا كان البرادايم لا يزال ملائماً أم لا؟ لا يوضح كون ما هي المعايير التي يعتمد عليها العلماء لبدء عملية الشك في البرادايم السائد. لم يوضح كون إطلاقاً كيفية تحديد هذه الدرجة، ببدء العلماء في التساؤل عنها إذا كان البرادايم السائد يعد ملائماً حقاً أم لا. لقد أطلق كون على هذه الفترة اسم فترة الأزمة: "وتجد الأزمة حلها عندما ينبثق نموذج علمي جديد كل الجدة، ويحظى بالقبول من

24شابير، ددلي. إشكاليات فلسفية في العلم الطبيعي، ترجمة نجيب الحصادي، ناشر المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، د.ت، ص194.

25لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص91.

26لودان،لاري، التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي، المصدر السابق نفسه، ص90.

طرف عدد متزايد من رجال العلم، إلى أن يتم في النهاية التخلي عن النموذج العلمي الأصلي الذي كان مصدر الإشكال. وينجم عن ذلك تغير غير متصل، وهذا التغيير هو الذي يشكل الثورة العلمية[27]".

لذا، فمن أوجه الاختلاف بين لودان وكون، أن لودان يرى أن كل حقبة رئيسية في تاريخ العلم تتميز بوجود أمرين: 1-الوجود المشترك co-existence للعديد من النماذج المتنافسة، دون أن يمارس أحدهما سيطرة على مجال التخصص.

2-وجود نمط مستمر على أساسه تتم مناقشة الافتراضات الأساسية لكل برادايم داخل المجتمع العلمي.

كما يتفق لودان مع العديد من النقاد الذين لاحظوا تعسفية نظرية الأزمة عند كون.

1-في حين أن كون يركز على المعايير الدقيقة التي يمكن أن تستخدم لاختيار أو تقييم البرادايمات، "يذكر معايير كثيرة يمكن استخدامها في تقويم نظرية ما، وتحديد ما إذا كانت أفضل من منافستها، ومن بين هذه المعايير: دقة التنبؤ، والتنبؤ الكمي بوجه خاص، والعلاقة بين مواضع الحياة العامة ومواضيع البحث العلمي المتخصص، وعدد المشاكل المختلفة التي تم التوصل إلى حلها[28]"، يرى لودان أن هذه المعايير قد تكون تقليدية ومحدودة، ولا تعكس التحديات المعقدة التي يواجها العلم في تطوره. مثل: هل تفسر النظرية وقائع أكثر من سابقتها؟ هل يمكنها حل بعض حالات الشذوذ الإمبيريقي التي عرضتها النظرية السابقة؟ كما لم يجد لودان تمثيلاً جاداً في تحليل كون يبين أهمية الفكرة الكلية للمشكلات. 2- ينتقد لودان كون لعدم تقييمه تقييماً دقيقاً وشاملاً حول دور البرادايم في تشكيل النظريات: هل هو العامل المسبب لظهور النظريات، أم أن النظريات هي التي تخلق وتشكل البرادايم؟ " أما الجانب الذي يعارض لودان في نسق كون فهو الجانب الذي يذهب إلى أن العلم يدور في سلسلة من الدورات ويطلق عليها أسم الثورات العلمية.[29]" لودان يعتقد أن هناك غموضاً في فكر كون حول العلاقة بين البارادايم والنظريات، خاصة فيما يتعلق بكيفية تطابق النظريات مع البرادايم أو ما إذا كانت النظريات تنتج في البارادايم أم أنها تتجاوزها.

كما يرى لودان:3- " إن نماذج كون ذات صرامة في البنية، مما يحول دون تطورها عبر مسار الزمن لتتجاوب مع حالات الضعف والحالات الشاذة التي تحدثها. علاوة على ذلك، لأن كون جعل

27شالمرز، آلان. نظريات العلم، دار توبقال للنشر، دار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى، 1991، ص95.

28إسماعيل، فاطمة. مشكلة التقدم العلمي، دار الجمهورية للصحافة، 2016، ص111.

29نفادي، السيد. التقدم العلمي ومشكلاته، نموذج التقدم العلمي عند لودان، مجلة عالم الفكر م29، عدد2، 2000،ص45.

الافتراضات الأساسية للبرادايم مستثناة من النقد، فلا يمكن أن توجد علاقة تصحيحية بين البرادايم والمعطيات، وبناء على ذلك، من الصعب جداً أن تتفق صلابة النماذج عند كون مع الحقيقة التاريخية القائلة: إن كثيراً من النظريات الكبرى قد تطورت عبر الزمان.[30]"

4–تعد نماذج كون أو القوالب البحثية disciplinary matrices " دائماً مضرة، فلم يتم التعبير عنها بوضوح تام مطلق، وكنتيجة لذلك، من الصعب أن نفهم كيف يستطيع أن يفسر الكثير من الخلافات النظرية التي حدثت في تطور العلم، مادام العلماء يسلمون فحسب بمناقشة الافتراضات التي صيغت حرية على نحو معقول[31]".

5–لذا يرى لودان أن بما أن نماذج كون تكون مضمرة إلى بعيد ويمكن تعريفها فحسب بالإشارة إلى أمثلتها، فينتج عن ذلك: " كلما اتضح عالمان بهذه الأمثلة ذاتها، فإنهما، طبقاً لوجهة نظر كون، ملتزمان بالبرادايم ذاته بطبيعة الحال. مثل هذا المنظور، في رأي لودان، يتجاهل الواقعة المستمرة والقائلة: إن العلماء على اختلافهم غالباً ما ينتفعون بالقوانين أو بالأمثلة ذاتها، ومع هذا يقبلون بآراء مختلفة جذرياً بشأن معظم المسائل الأساسية المتعلقة بالأنطولوجيا والميثودولوجيا العلمية[32]".

6–أن التقدم عند كون هو:" السمة المميزة للمعرفة العلمية، وأن دراسة تاريخ العلم تفصح عن زيف مفهوم التراكم إذا أخذنا به على خط مستقيم. ويؤكد مع بوبر أن الثورة هي مفتاح هذا التقدم، لكنه يختلف عنه حين يرفض تطرف بوبر الثوري واعتبار كل تقدم علمي ثورة[33]". لودان يرفض أن تكون الثورات العلمية هي المقولة الأساسية لفهم تطور العلم. فهو يرى أن هناك مبالغة في تصوير الثورة العلمية بشكل يجعلها تبدو وكأنها فجوة حادة في سيرورة العلم. بدلاً من ذلك، يشير لودان إلى أن العلم يتطور تدريجياً، وأن التطور العلمي لا يتوقف على الثورات الكبرى فقط، بل يشمل التراكم المستمر للأفكار والنظريات عبر الزمن.

يؤكد لودان نقطة مهمة يختلف فيها أيضاً مع كون، وهي أن وجود اثنين أو أكثر من تقاليد البحث في كل مجال من هذه المجالات يمثل القاعدة وليس الاستثناء، بل من الصعب بالفعل أن نجد أي فترة

30لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص92.

31لودان،لاري، التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي، المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة.

32المصدر السابق نفسه، ص92–93.

33الخولي، يمنى طريف. فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول – الحصاد – الآفاق المستقبلية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، ص400.

زمنية يسود فيها تقليد بحث أو برادايم واحد فقط في أي فرع من فروع العلم. ويختار لودان بعض الأمثلة التي استشهد بها كون نفسه ليوضح مدى إخفاق تحليله، على سبيل المثال: كل من علماء الميكانيكا وعلماء الطاقة قبلوا بقوانين الحفظ نفسها.

وليثبت من خلالها أن الوجود المستمر لتقاليد البحث المتعارضة هو الذي جعل التركيز على الحقب الثورية مضللاً للغاية، يرى لودان: إن هذه التقاليد تتطور باستمرار وقد يتغير ثراؤها النسبي عبر الزمن، وفي الغالب قد تحل التقاليد الحديثة محل القديمة، لكن ليس من المفيد عامة تركيز الانتباه على بعض مراحل هذه العملية باعتبارها ثورية، وعلى بعضها الآخر بوصفها تطورياً.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل هناك طرق أخرى للتقدم؟

توجد طرق عديدة يمكن أن يتحقق بها التقدم. يمكن تحقيقه ببساطة عن طريق: " توسيع مجال المشكلات الإمبيريقية المحلولة في ظل ثبات جميع موجهات التقييم الأخرى، وفي مثل تلك الحالة يمثل إصلاح T2 محل T1، التي تحل فقط بعض المشكلات الإمبيريقية، عملاً تقدمياً بوضوح. ويمكن أن يتحقق التقدم كذلك نتيجة لتعديل النظرية بحيث تستبعد بعض حالات الشذوذ الصعبة أو تحل بعض المشكلات التصورية. وبالطبع، غالباً ما يحدث التقدم كنتيجة لكل المتغيرات المتحولة بإحكام والمتصلة بالموضوع[34]".

بالإضافة يوجد العديد من جوانب القصور في مفهوم تقدم العلم كما قدمه كل كون ولاكاتوش:

" إن اقتراح أن كل علم يخضع لتحول دائم من النوع الذي وصفه كون ولاكاتوش لا يتفق مع ما نعرفه عن تطور العلم[35]". وهنا يتساءل لودان: هل يمكن لكون أن يدلنا على وجود علم رئيسي لا يكون فيه احتكار النموذج هو القاعدة، أو يكون النقاش التأسيسي فيه غالباً؟ أما لاكاتوش، من جانبه، فلم يحدد علماً فيزيائياً له من السمات المهيمنة ما يجعله يزدري المشكلات الشاذة ولا يكترث بالمشكلات التصورية ما بعد البرنامجية extra Programmatic.

المحور الثالث: نقد لودان لنماذج المعرفة البحثية عند لاكاتوش.

يعالج إمري لاكاتوش مشكلة التقدم العلمي من منظور ميثودولوجيا برامج البحث العلمي، وبمنهجية مختلفة أيضاً عن سابقيه، مستخدماً مفردات ومفاهيم ذات طابع خاص تميزه عن غيره، فنجد عنده أبرز

---

34 Laudan, Larry, and P. Thomas Carroll. "Progress and its problems: Toward a theory of scientific growth." 66-P.65 ،:1977.

35لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص175.

مفهوم هو برنامج البحث الذي يمثل البرادايم عند كون، ومكونات برنامج البحث هي: النواة الصلبة والحزام الواقي، والموجّه المساعد على الكشف السالب والموجه المساعد على الكشف الموجب، "والتقدم في العلم يتم عن طريق نمو وتطور برامج البحث، فينظر إلى الإنجازات العلمية العظيمة على أنها برامج بحث يمكن تقييمها في حدود مشكلة الدورات المتقدمة والمتدهورة.[36]" إذ يرفض لاكاتوش " التعامل مع النظرية العلمية المفردة، وهي فكرة تعود إلى أطروحة دوهيم–كواين[37]"، عالجها لاكاتوش في إطار منهجيته، مثلها مثل برادايم توماس كون مع الفارق في طبيعة رؤية كل منهما. في نقد لودان لميثودولوجيا لاكاتوش، نجده يطبق أفكاره عن العلاقة بين النموذج القديم والنموذج الجديد، من حيث إن " الجديد يعد تطويراً للقديم ويحل بعض المشكلات التي عجز النموذج السابق عن حلها، ومع ذلك فقد يتسبب في مشكلات جديدة، كما أنه في الوقت نفسه ينفي فكرة التقدم الثوري، أي ينفي القطيعة بين السابق واللاحق؟ لكن هل يعني ذلك أن يكون التغيير تقدمياً؟ ويكون التقدم تراكمياً؟ ويتأكد المعنى القائل إن المعرفة لا تبدأ من الصفر بل تبدأ من النقد، نقد السابقين والمعاصرين؟[38]".

يرى لودان إن إعلان الفيلسوف والعالم إمري لاكاتوش Imre Lakatos عن طرح نظري بديل في فلسفة العلم يهتم بدراسة الكيفية التي تتطور بها المعرفة العلمية عبر الزمن. وقد ركز لاكاتوش بشكل خاص على الدور الذي تؤديه النظريات الفائقة أو الشاملة super theories في توجيه مسار البحث العلمي وتطوره. وعلى خلاف بعض التصورات التي ترى أن العلم يتقدم عبر هدم النظريات السابقة واستبدالها مباشرة بنظريات جديدة، حاول لاكاتوش أن يبين أن التقدم العلمي يتم في إطار أوسع وأكثر تعقيداً من مجرد تعاقب النظريات.

فبرامج البحث يرى أنها تحتوي على عناصر ثلاثة هي: 1–النواة الصلبة، وهي أشبه بالعقيدة الأساسية التي لا يسمح بالمساس بها. 2–الحزام الواقي. هذا الحزام يتكون من مجموعة من الفرضيات الثانوية والتفسيرات المساعدة، وهو أكثر مرونة وقابلية للتعديل. 3–الإرشاد السلبي، الذي يمنعهم من الاقتراب من النواة الصلبة أو التشكيك فيها. أما الثاني فهو الإرشاد الإيجابي، الذي يوجههم نحو كيفية تطوير البرنامج، عبر اقتراح طرق جديدة لتعديل الحزام الواقي وتوسيع نطاق التفسير. بهذا الشكل،

36لاكاتوش، إمري. تاريخ العلم وإعادة بناءاته العقلانية، ضمن كتاب التطورات العلمية تحرير إيان هاكينج، ترجمة السيد نفادي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص 174.

37الخولي، يمنى طريف. فلسفة العلم في القرن العشرين، الأصول – الحصاد – الآفاق المستقبلية، المجلس [37] الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000، ص414.

38إسماعيل، فاطمة. مشكلة التقدم العلمي، دار الجمهورية للصحافة، 2016، ص110.

يظهر برنامج البحث العلمي كمنظومة متوازنة وجوهره الصلب: نواة ثابتة تمنح الاستقرار، وحزام مرن يسمح بالتكيف، وتوجيه منهجي يقود عملية التطور. ومن خلال هذا التفاعل، يستمر العلم في التقدم، ليس عبر الانهيار المفاجئ، بل عبر إعادة البناء التدريجي والتطوير المستمر.

" تتميز جميع برامج البحث العلمي بجوهرها الصلب، والمحاولة التجريبية السلبية للبحث تمنعنا من توجيه طريقة التفنيد إلى الجوهر الصلب، وبدلاً من ذلك علينا أن نستخدم مهارتنا في صياغة أو ابتكار افتراضات مساعدة تشكل حزام الأمان حول ما هو الجوهر الصلب، ويجب أن نعيد توجيه طريقة التفنيد إليها. فحزام الأمان من الافتراضات المساعدة هو الذي يجب أن يتحمل حدة صدمة الاختبارات، وتتعدل مرة بعد أخرى حتى يمكن أن تستبدل كلياً لكي يحمي الجوهر الصلب. فبرنامج البحث يمكن أن ينجح إذا أدى كل هذا إلى تحول إشكالي تقدمي، ويفشل إذا أدى هذا إلى تحول إشكالي تأخري.[39]"

يرى لاري لودان أن نموذج لاكاتوش، هو امتداد وتطوير لأفكار توماس كون، لكنه في الوقت نفسه يتجاوزها في نقاط جوهرية. نموذج لاكاتوش يحتفظ بالفكرة التاريخية لتطور العلم كما عند كون، لكنه يرفض بقاءها في نموذج واحد " يعد نموذج لاكاتوش تطويراً لنموذج كون، وبخلاف كون فإن لاكاتوش يأخذ بعين الاعتبار، بل يشدد على الأهمية التاريخية لتواجد العديد من برامج البحث البديلة في الوقت نفسه وفي المجال ذاته، خلافاً لكون Kuhn الذي كثيراً ما يأخذ بالرأي القائل بأن النماذج غير قابلة للقياس incommensurable، وبالتالي لا تخضع لمقارنة عقلية، في حين يؤكد لاكاتوش أننا نستطيع أن نقارن على نحو موضوعي التقدم النسبي لتقاليد البحث المتنافسة. وأكثر من كون، يحاول لاكاتوش أن يتصدى للمسألة الشائكة الخاصة بعلاقة النظرية الفائقة بالنظريات الصغرى المكونة لها.[40]"

وعلى الرغم من أن نموذج برامج البحث العلمية الذي قدمه إيمري لاكاتوش حاول أن يقدم تصوراً أكثر مرونة ودقة لتطور المعرفة العلمية مقارنة بما طرحه توماس كون، فإن هذا النموذج لا يخلو بدوره من مجموعة من الإشكالات. فالكثير من النقاد يرون أن تصور لاكاتوش يظل قريباً، في بعض جوانبه، من العيوب التي وجهت إلى نموذج كون. لذا يرى لودان" كما هو الحال، فإن أنواع التغيرات التي يسمح بها لاكاتوش ضمن النظريات الصغرى التي تشكل برنامجه البحثي هي محدودة للغاية؛ إذ إنه فيما يتعلق بالعلاقة بين أية نظرية والنظرية اللاحقة لها في برنامج البحث، يسمح لاكاتوش فقط بإضافة

39محمد علي، محمود محمد. الفروض المساعدة ومكانتها في ميثودولوجيا برامج الأبحاث عند إمري لاكاتوش، دار الوفاء للطباعة والنشر،2010، ص28.

40لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص94.

افتراض جديد أو إعادة تفسير سيمانطيقي لمصطلحات النظرية السابقة. وطبقاً لهذه الرؤية المهمة للأشياء، يمكن لنظريتين فقط أن تكونا معاً في برنامج البحث نفسه، لو أن واحدة منهما استلزمت.[41]"

لذا يرى لودان أن العيب الجسيم في فكرة برامج البحث عند لاكاتوش هو أنها " تعتمد على أفكار تارسكي وبوبر المتعلقة بالمحتوى الإمبيريقي والمنطقي؛ إذ إن جميع مقاييس التقدم عند لاكاتوش تتطلب مقارنة المحتوى الإمبيريقي لكل عضو في سلسلة النظريات التي تشكل أي برنامج بحث. وكما أوضح جرونباوم Grunbaum وآخرون بشكل مقنع، فإن محاولة تحديد مقاييس للمحتوى بالنسبة للنظريات العلمية تعد إشكالية للغاية، إن لم تكن مستحيلة فعلياً. ولما كانت مقارنة المحتوى مستحيلة بصفة عامة، فلم يستطع لاكاتوش ولا أتباعه تحديد أية حالة تاريخية يمكن أن ينطبق عليها بدقة تعريف لاكاتوش للتقدم.[42]"

ويرى لودان أن تصور لاكاتوش لبرامج البحث العلمية يواجه مشكلة أساسية تتعلق بالعلاقة بين تقييم التقدم العلمي واتخاذ القرار العلمي العقلاني. فحسب فهمه للاكاتوش، قد يكون بالإمكان الحكم على أن برنامجاً بحثياً معيناً أكثر تقدماً من برنامج آخر من حيث قدرته على تفسير الظواهر أو إنتاج تنبؤات جديدة. " إن برنامج البحث العلمي الجديد الذي يدخل في منافسة ربما يبدأ بتفسير وقائع قديمة بطريقة جديدة، ولكنه ربما يأخذ وقتاً طويلًا قبل أن يرى ويقدم وقائع جديدة حقيقية.[43]" حين حاول لاكاتوش أن يمنح العلم صورة أكثر عقلانية، افترض أن الحالات الشاذة أي الظواهر التي لا تنسجم مع التوقعات لا تؤدي مباشرة إلى إسقاط برنامج البحث، بل يتم استيعابها داخل الحزام الواقي عبر تعديلات مستمرة. " أن محاكمة الحالات الشاذة ليس لها أي تأثير على تقييم برامج البحث، فإن ذلك قد تعرض للتفنيد على نطاق واسع من قبل تاريخ العلم؛ لذا تعد برامج البحث عند لاكاتوش، مثلها مثل نماذج كون، ذات صلابة من حيث بنيتها المركزية الصارمة التي لا تسمح بتغيرات جوهرية.[44]" لذا يؤكد لودان أن عملية فحص المبادئ الأساسية، واستكشاف البدائل الأخرى، وإحلال منظورات أحدث وأكثر تقدمية محل المنظورات القديمة، هي عملية تحدث باستمرار في العلم، مثلما تحدث في كل النظم الفكرية الأخرى. هذا لا يعني بالطبع أن كل عالم، كما يرى بوبر،" ينتقد باستمرار الإطار أو التقليد

41لودان،لاري، التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي، المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة.

42لودان، لاري. المصدر السابق نفسه، ص95.

43قطب، خالد. منطق التقدم العلمي، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، 2003، ص183.

44لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص95.

الذي يعمل من خلاله؛ فالعديد من العلماء في أي زمن معين يتعاملون مع التقليد على أنه مسلم بصحته، يكون بشكل إيجابي على تطبيقه على نطاق أوسع لحل المشكلات الإمبيريقية غير المحلولة، وهو ما يطلق عليه كون حل المعضلات. لكن أن نتخيل أن جميع العلماء يفعلون ذلك طوال الوقت فيما عدا الفترات النادرة للأزمة، هو ما يعني أننا نحرف بشكل لافت للنظر حقيقة التطور الفعلي للعلوم.[45]" إن ما أراد لاري لودان توضيحه من خلال استعراضه المختصر لنظريتين رئيسيتين في تفسير التغير العلمي – وهما نظرية الثورات العلمية والعلم العادي عند توماس كون، ونظرية برامج البحث عند إيمري لاكاتوش – هو كشف مجموعة من الصعوبات التحليلية والتاريخية التي تواجه هذه النظريات الكبرى. فالصعوبات التحليلية تتعلق بالمشكلات المنهجية والفلسفية داخل النظرية نفسها، مثل تحديد معايير التقدم العلمي أو تفسير كيفية اختيار العلماء بين النظريات المختلفة.

فكل من كون ولاكاتوش يرى أن النشاط العلمي لا يسير على شكل واحدة، بل يمر بمرحلتين مختلفتين. في المرحلة الأولى، يطلق عليها لاكاتوش العلم غير الناضج والعلم الناضج، وأطلق عليها كون علم ما قبل البرادايم وعلم ما بعد البرادايم، وكلاهما قد التزم بالرأي القائل إن العلوم المختلفة تمر بمراحل انتقالية من الطفولة إلى الرشد. لذا يرى لودان بالنسبة لـ كون "تحدث المرحلة الانتقالية عندما يمثل أحد النماذج احتكاراً للمجال، وعندما ينشأ العلم القياسي للمرة الأولى. وبالنسبة لـ لاكاتوش يصل العلم إلى نضجه عندما يتجاهل العلماء في المجال باستمرار كل المشكلات الشاذة والعوامل الفكرية والاجتماعية.[46]"

لذا فأهم ما يميز العلم الناضج عند كون ولاكاتوش هو ظهور نماذج أو برامج بحث مستقلة بذاتها، وبالتالي مستقلة عن النقد الخارجي. لذا ترى النويهي "حيث يؤكد التسامح المنهجي، فلا وجود للبت القاطع، إذ إن إلغاء برنامج يستغرق زمناً كما أن قبول برنامج جديد يستغرق زمناً أيضاً.[47]" إن ما يؤكد عليه لاكاتوش في هذه النقطة هو " أننا يجب ألا نستبعد برنامجاً نامياً للبحث فقط لأنه فشل في أن يلحق بمنافس قوي، كما يجب ألا نتخلى عنه إذا كان سيشكل تحولاً إشكالياً متقدماً في حال غياب منافسه. وما دام برنامج البحث النامي قادراً على إعادة بناء نفسه بطريقة عقلانية كتحول إشكالي متقدم،

---

[45] Laudan, Larry, and P. Thomas Carroll. "Progress and its problems: Toward a theory of scientific growth." .P.136 :1977

46لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص95.

47النويهي، سهام. تطور المعرفة العلمية، مقال في فلسفة العلم، دار النشر والتوزيع، القاهرة، 1988 م، ص 136.

يجب حمايته مؤقتاً من منافسه القوي الثابت.[48]" إذ يؤكد كل من كون ولاكاتوش أن العلم الناضج أكثر تقدمية وأكثر علمية وأصالة مقارنة بنظيره غير الناضج.

لذا يؤكد لودان بوجود العديد من جوانب القصور في مفهوم العلم الناضج كما قدمه كل من كون ولاكاتوش "حتى إن وجدت العلوم الناضجة، فإنه لم يتم إثبات أطروحتي كون ولاكاتوش القائلة إن هذه العلوم أكثر تقدمية فعلاً وأكثر عملية مقارنة بالعلوم غير الناضجة. لذا يرى لودان أن كون لم يوضح أنه سيتم حل المزيد من المشكلات الإمبيريقية بالضرورة ولو سيطر بارادايم على ميدان علمي معين. ولم يقدم لاكاتوش حالة مقنعة لزعمه بأن برامج البحث المستقلة بذاتها التي تتجاهل الشذوذ من المحتمل أن تكون أكثر تقدماً من برامج البحث غير المستقلة التي تعترف بالشذوذ.[49]" أما الصعوبة الثالثة لمبدأ العلوم الناضجة وغير الناضجة فهي تتعلق بالنطاق الذي يسمح لمقدم أي نموذج للمقارنة العلمية أن يرفض أي أمثلة تاريخية مضادة بوصفها لا علاقة لها بنموذجه. ونظراً لأن النموذج صمم أساساً بوصفه صورة طبق الأصل للعلم الناضج، فإن أية أمثلة علمية فعلية تفشل في التوافق مع النماذج يمكن تفسيرها على أنها علم زائف بدلاً من اعتبارها استثناءات حقيقية للنماذج.

لذا يرى لودان: "إن التفضيل الذي أعرب عنه كل من كون ولاكاتوش للعلوم الناضجة لا أساس له، هذا التقسيم الثاني للعلوم الناضجة وغير الناضجة يعد مشكوكاً فيه من الناحية المنهجية، حيث يصور نماذج العقلانية العلمية على أنها محصنة ضد النقد الإمبيريقي، غير أن مفهوم العلم الناضج كما يتصوره كل من كون ولاكاتوش للأسف لم يقدم ذلك الوصف.[50]" يعتبر مفهوم تقاليد البحث لدى لاري لودان رداً نقدياً على المشكلات التي تواجه النماذج العلمية السابقة، خصوصاً نموذج توماس كون حول الثورات العلمية ونموذج إمري لاكاتوش حول برامج البحث. بدلاً من النظر إلى التقدم العلمي على أنه انتقال من نموذج إلى آخر كما يفعل كون، أو توسيع المحتوى الإمبيريقي كما يقترح لاكاتوش، يرى لودان أن المعيار الأساسي للتقدم العلمي هو حل المشكلات. التقدم العلمي، من وجهة نظر لودان، لا يقاس فقط بالتغيرات الثورية في النظريات أو توسع البرامج البحثية، بل بمدى قدرة العلماء على معالجة المشكلات الواقعية بطريقة عقلانية ومنهجية. هذا يجعل نموذج تقاليد البحث أكثر مرونة في تفسير

48لاكاتوش، إمري. فلسفة العلوم برامج الأبحاث العلمية، ترجمة: ماهر عبد القادر محمد علي، ج 6، ط1، 1997، ص 157.

49لودان، لاري. التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي ترجمة: فاطمة إسماعيل، المركز القومي للترجمة، الطبعة الأولى، 2016، ص175.

50لودان،لاري، التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي، المصدر السابق نفسه، ص174-175.

التطور التاريخي للعلم، لأنه يسمح بوجود تعدد نظري وتغيرات تدريجية دون الحاجة إلى ثورات مفاجئة أو التركيز على البعد الإمبيريقي فقط بالنسبة لي لودان، تقاليد البحث ليست مجرد وصف لكيفية تطور العلم، بل هي إطار منهجي مرن وديناميكي يسمح بفهم تطور المعرفة العلمية مع مراعاة التنوع والتعقيد التاريخي. ورغم نقده للنماذج السابقة، يعترف لودان بنجاحات كون ولاكاتوش في فهم تطور العلم، لكنه يرى أن تقاليد البحث تقدم تحسينات منهجية وفلسفية مهمة.هذه التحسينات تكمن في معالجة الفجوة بين التقييم النظري للتقدم العلمي وقدرة العلماء على اتخاذ قرارات عقلانية، بالإضافة إلى تقديم تفسير أكثر مرونة لتاريخ العلم يسمح بتعدد النظريات والتغيرات التدريجية دون الحاجة إلى الثورات المفاجئة أو اقتصار التقدم على الجانب الإمبيريقي فقط.

الاستنتاجات:

1- النماذج الكبرى تواجه صعوبات تحليلية وتاريخية

نظريات كون الثورات العلمية ولاكاتوش برامج البحث تقدم أدوات مفيدة لفهم التغيرات العلمية، لكن لا يمكنها تفسير كل الحالات التاريخية بدقة.

هناك فجوة بين كيفية تقييم التقدم العلمي نظرياً وبين كيفية اتخاذ العلماء قرارات عقلانية عند مواجهة خيارات متعددة.

2- المفهوم الإمبيريقي للتقدم محدود

التركيز على زيادة البيانات التجريبية أو القدرة على التنبؤ كما في نظرية لاكاتوش يجعل مفهوم التقدم العلمي ضيقاً، حيث يتجاهل الأبعاد المفاهيمية أو المنهجية.

3- النماذج المثالية قد تخلق تحيزاً منهجياً

كما أشار النص إلى الصعوبة الثالثة، عندما يصمم النموذج على أنه صورة للعلم الناضج، فإن أي أمثلة تاريخية لا تتفق مع هذا النموذج تبدو وكأنها علم زائف أو استثناء، مما يقلل من قدرة النموذج على تفسير التعقيدات التاريخية.

4- تقاليد البحث كإطار أكثر مرونة

فكرة لودان عن تقاليد البحث توفر إطارا أكثر مرونة يسمح بالتعددية النظرية والتطور التاريخي في التقدم العلمي، ويركز على حل المشكلات كمعيار أساسي للتقدم بدلاً من الاقتصار على الثورات أو التوسع الإمبيريقي.

5- وجود عناصر مشتركة بين النماذج

رغم النقد، هناك تشابه كبير بين نموذج تقاليد البحث ونماذج كون ولاكاتوش، مما يعكس الاعتراف بأهمية هذه النظريات، مع تقديم فروق منهجية تساعد على تجاوز بعض قيودها.

التوصيات:

1-ضرورة الاهتمام بدراسة مشاريع فلاسفة العلم المعاصرين، ومنها مشروع لاري لودان، لما تقدمه من محاولات لإعادة بناء مفهوم العقلانية العلمية وتفسير آليات تطور المعرفة العلمية الدعوة إلى توسيع البحث في نظرية حل المشكلات عند لاري لودان، خاصة فيما يتعلق بدور المشكلات التصورية في توجيه البحث العلمي وتقويم النظريات العلمية، باعتبارها جانباً مهماً من جوانب تطور العلم.

2-أهمية إعادة دراسة مفهوم التقدم العلمي بعيداً عن التصورات التي تختزله في التراكم المعرفي أو التحولات الثورية فقط، والنظر إليه بوصفه عملية مستمرة تقوم على القدرة على حل المشكلات العلمية.

3-ضرورة إجراء دراسات مقارنة بين تصور لاري لودان لتطور العلم وتصورات فلاسفة العلم الآخرين، مثل توماس كون وإيمري لاكاتوش، من أجل الكشف عن نقاط الاتفاق والاختلاف وحدود كل نموذج.

4-تشجيع الدراسات العربية في مجال فلسفة العلم المعاصرة على الاهتمام بالتحليل النقدي للنظريات الإبستمولوجية الحديثة، وعدم الاكتفاء بعرضها، بل دراسة قدرتها على تفسير الممارسة العلمية الفعلية.

5-ضرورة البحث في مدى قابلية معيار حل المشكلات عند لودان للتطبيق على مختلف فروع العلوم، والكشف عن حدود هذا المعيار وإمكاناته في تقويم النظريات العلمية المعاصرة.

الخاتمة:

ي ختام هذا البحث، يتضح أن مشروع لاري لودان يمثل محاولة مهمة لإعادة بناء فلسفة العلم على أساس إبستمولوجي يركز على مفهوم حل المشكلات باعتباره معياراً أساسياً لفهم تطور المعرفة العلمية وتقويم النظريات. فقد حاول لودان تجاوز بعض الإشكالات التي ظهرت في فلسفة العلم المعاصرة من خلال التأكيد على أن تقدم العلم لا يرتبط فقط بالتغيرات الثورية أو الانتقال بين

النماذج، كما يرى توماس كون، ولا بمجرد تطور برامج البحث العلمي كما عند إيمري لاكاتوش، بل يرتبط بقدرة النظريات العلمية على معالجة المشكلات المطروحة وتقديم حلول أكثر فاعلية.
وقد أظهر البحث أن تقسيم لودان للمشكلات العلمية، خاصة المشكلات التصورية الداخلية والخارجية، يكشف عن أهمية الجوانب المفاهيمية في تقييم النظريات العلمية، إذ إن نجاح النظرية لا يتحدد بقدرتها على تفسير الظواهر فقط، وإنما أيضاً بقدرتها على إزالة التناقضات والغموض والتعارضات التي تواجهها داخل المجال العلمي وخارجه.

وفي خاتمة البحث ومن وجهة نظري، تكمن أهمية مشروع لاري لودان في أنه يقدم نقداً لفلاسفة العلم المعاصرين؛ خاصة فلسفة العلم عند توماس كون وفلسفة العلم عند لاكاتوش. ومع ذلك، أرى أن معيار حل المشكلات، رغم قيمته المنهجية، لا يمكن اعتباره المعيار الوحيد للحكم على تقدم العلم، لأن النشاط العلمي يتأثر أيضاً بعوامل نظرية وتجريبية وتاريخية متعددة. لذلك يبقى مشروع لودان إسهاماً مهماً في فلسفة العلم، لكنه يحتاج إلى أن يقرأ ضمن حوار مستمر مع مختلف الاتجاهات الفلسفية المعاصرة.

المصادر والمراجع:

1. الخولي، ي. ط. (2000). (*فلسفة العلم في القرن العشرين: الأصول – الحصاد – الآفاق المستقبلية*) .المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
2. شابير، د. (د.ت) . (*إشكاليات فلسفية في العلم الطبيعي*) .ن. الحصادي، مترجم. المكتب الوطني للبحث والتطوير.
3. شالمرز، أ. (1991).(*نظريات العلم*). ط1. دار توبقال للنشر.
4. قطب، خ. (2003).(*منطق التقدم العلمي*). دار قباء للطباعة والنشر.
5. قنصوة، ص. (1981). (*فلسفة العلم*) . دار الثقافة للطباعة والنشر.
6. كون، ت. (2007). (*بنية الثورات العلمية*) .ح. ح. إسماعيل، مترجم؛ ط1. المنظمة العربية للترجمة.
7. لاكاتوش، إ. (1996). تاريخ العلم وإعادة بناءاته العقلانية. في إ. هاكينج (تحرير، *التطورات العلمية*) س. نفادي، مترجم). دار المعرفة الجامعية.
8. لاكاتوش، إ. (1997). (*فلسفة العلوم برامج الأبحاث العلمية*) م. ع. م. علي، مترجم؛ ج 6، ط1.

9. لودان، ل. (2016). (*التقدم ومشكلاته نحو نظرية في التطور العلمي*) ف. إسماعيل، مترجم؛ ط1). المركز القومي للترجمة.

10. لودان، ل.، وكارول، ب. ت. (1977).(*التقدم ومشكلاته: نحو نظرية في النمو العلمي.*)بدون ناشر.

11. محمود، م. م. ع. (2010). *الفروض المساعدة ومكانتها في ميثودولوجيا برامج الأبحاث عند إمري لاكاتوش* . دار الوفاء للطباعة والنشر.

12. محمد، أ. أ.، وأحمد، ع. ف. (د.ت).(*إشكالية التقدم العلمي: دراسة في فلسفة لاري لودان*) . بدون ناشر.

13. نفادي، س. (2000). التقدم العلمي ومشكلاته نموذج التقدم العلمي عند لودان .*عالم الفكر*، *29*.(2)

14. النويهي، س. (1988). تطور المعرفة العلمية. [مقال في فلسفة العلم، بدون تفاصيل النشر.

15. إسماعيل، ف. (2016). (*مشكلة التقدم العلمي*).دار الجمهورية للصحافة.

16. إسماعيل، ف. (2023). (*فلسفة العلم عند لاري لودان*) ط1). دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

17. Laudan, L., & Carroll, P. T. (1977). *Progress and its problems: Toward a theory of scientific growth*. .University of California Press

التَّشكيل اللغويّ لأدب التَّهديد

في العصر الأمويّ

إعدادُ: ياسر محمود الأقرع إشراف: أ. د. أحمد دهمان المشرف المشارك: د. هند جمال المحمد

الملخَّص:

يهدف بحث (التَّشكيل اللغويّ لأدب التَّهديد في العصر الأموي) إلى دراسة الأدوات الفنِّية التي شـكَّلت البناء اللغوي للنصِّ التهديديّ في العصـر الأمويّ (شـعره ونثره)، ودور هذه الأدوات في خلق خطابٍ قادرٍ فنياً على فرض الهيمنة النفسيَّة على المتلقي والتَّأثير فيه.

يسعى البحث إل دراسة التَّشكيل اللغويّ لأدب التَّهديد في العصر الأموي وفق مستويين رئيسين:

أ – على مستوى الألفاظ:

- الألفاظ الدالة على قوة المهدِّد
- الألفاظ الدالة على ضعف المهدَّد

ب – على مستوى الأساليب:

- أسلوب الشرط
- أسلوبا الأمر والنهي

- أسلوب الاستفهام
- أسلوب التوكيد

الكلمات المفتاحية: التشكيل اللغوي، أدب التهديد، العصر الأموي

The Linguistic Structure of Threatening Literature in the Umayyad Era

Abstract:

This research, "The Linguistic Structure of Threatening Literature in the Umayyad Era," aims to study the artistic tools that shaped the linguistic construction of threatening texts (both poetry and prose) during the Umayyad period, and the role of these tools in creating a discourse capable of exerting psychological dominance over the recipient and influencing them.

The research seeks to study the linguistic structure of threatening literature in the Umayyad era according to two main levels:

A – At the level of vocabulary:

*** Words indicating the strength of the threatener**

* **Words indicating the weakness of the threatened**

B – At the level of styles:

* **Conditional sentences**

* **Imperative and prohibitive sentences**

* **Interrogative sentences**

* **Emphatic sentences**

Keywords: Linguistic structure, threatening literature, Umayyad era

مقدمة البحث:

شـغل أدب التهديد حيِّزاً مهمَّاً من النتاج الأدبي الأمويّ (شـعره ونثره)، وكان له كبير الأثر في تكوينِ الأحداث والتحكُّمِ في مســـاراتها، أو على الأقل المســـاهمة في ذلك. وما كان لأدب التَّهديد أن يمتلكَ هذه المقدرة، ويترك ذلك الأثر لولا أنَّ الأدباء استطاعوا أن ينسجوا نصوصهم نسجاً فنيَّاً محكمَاً تتضافر فيه عناصر اللغة المختلفة وتتشاكل لتحقِّق الغاية وتبلغ الهدف.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من تخصيصه دراسة التشكيل اللغويّ لأدب التَّهديد في العصر الأموي دراسة نقدية تحليلية تبين طبيعته وتبرز أهم خصائصه.

هدف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف أهمها:

– بيان دور الأدوات اللغوية لأدب التهديد على مستويَي: الألفاظ، والأساليب، في القدرة على التأثير في المتلقي.

– تأكيد القيمة الفنية المستمدة من النسيج اللغوي في نصوص أدب التهديد (شعراً ونثراً).

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي تتصل بموضوع البحث: التشكيل اللغوي وأثره في بناء النصّ "دراسة تطبيقية"، للدكتور زيد خليل القرالة. وهي دراسة تناولت التشكيل اللغوي في النص الشعري الحديث.

منهج البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي

العرض والمناقشة:

من البداهة القول: إن دراسة الظاهرة الأدبية لا يمكن لها أن تحقق غايتها دون الولوج إلى عالم البنية اللغوية للنَّصِّ، استقراءً واستنباطاً وفهماً وتحليلاً وتفكيكاً وتركيباً، من غير أن يعني ذلك انغلاقنا على عالم النصِّ الداخلي، بل لنجعل دراسة النسيج اللغوي بوابة الانطلاق إلى العالم المحيط الذي نشأت فيه الظاهرة فأثرت فيه وتأثرت به.

ومن المهم أن نشير إلى أن دراسة التشكيل الفني بمستوياته المختلفة لأي نصّ إنما تنطلق من مادته الخام الأولية (اللغة)، غير أن اللغة أوسع من كونها مجرد ألفاظٍ ومعانٍ، أو دالاً ومدلولاً. وإلى ذلك أشار الدكتور أحمد دهمان بقوله:" ليست اللغة مجرد ألفاظٍ أو معانٍ فحسب، ولكنها تحمل إلى جانب ذلك الكثير من الجوانب الموسيقية والوجدانية والخيالية، إضافة إلى ألوان من الرمز والإيحاء والإيجاز. واللغة هي مادة العمل الأدبي بما يحمله من صور ومشاعر وأخيلة؛ لذلك فهي الظاهرة الأولى فيه؛ لأنه يستخدم اللغة أداةً للتعبير".[1]

وإذا كانت " البلاغة التقليدية تعزو إلى اللغة بعامة ثلاث وظائف أساسية هي: الإخبار والإمتاع والتأثير"[2]، وربما لا نجانب الصواب إذا ما قلنا إن اللغة في أدب التَّهديد ذات وظيفة تأثيرية بالدرجة الأولى، بينما هي بدرجة أقل ذات وظيفة إخبارية، بينما لا نجد وظيفة إمتاعية أرادها الكاتب في أدب التَّهديد، وإن كنا لا نعدم ذلكَ ونحن نتناول اليومَ أدب تلك المرحلة تناولاً فنياً كما نفعل ههنا الآن.

(1) الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني "منهجاً وتطبيقاً" ، أحمد علي دهمان ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ،ط2-2000م. ص21.

(2) علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته) ، صلاح فضل ، دار الشروق/ القاهرة ، ط1- 1419هـ/1998 ، ص303.

تُعَدُّ (الكلمة) اللبنة الأساسية في بناء النص، ومنها نلج إلى دراسة التَّشكيل اللغويّ. وفي أدب التَّهديد تؤدي الكلمة دوراً مؤثراً وحاسماً في تشكيل النص؛ لأن لغة التَّهديد التي يلجأ إليها الأديب يراد منها أولاً أن تكون قادرة على استيعاب لحظة الانفجار العاطفي الذي يعيشه، وفي الوقت ذاته أن تترك أكبر الأثر في نفس المهدَّد؛ فتبعث في نفسه الخوف والرهبة، وتكفُّه عما هو مقدم عليه تحسباً من ردِّ الفعل، أو تهزمه داخلياً قبل الهزيمة الخارجية إن كان قد سبق السيف العذل.

من خلال استقرائنا أدب التَّهديد نثره وشعره وجدنا أن للأدباء في خطابهم التَّهديدي سمات أسلوبية عامة وقواسم لغوية مشتركة، لا يمكن أن نردها جميعها إلى علاقات التأثير والتأثر، فالسمات الأسلوبية المتقاربة قد تنتجها الظروف المتقاربة بيئياً، والمرجعية المشتركة فكرياً واجتماعياً وثقافياً[1]. ثمَّ إن الجميع يعيشون عند التَّهديد لحظة انفعالية متقاربة تنتج نصاً أدبياً معبراً عنها، وصولاً إلى غاية واحدة، ومبتغى محددٍ.

سنقوم بدراسة التشكيل اللغوي لأدب التهديد على مستويين:

أ – على مستوى الألفاظ

ب – على مستوى الأساليب

أ – على مستوى الألفاظ:

في حديثنا عن أثر الكلمة في أدب التَّهديد ندرك أن الأديب إذا ما أراد أن يطلق تهديداً شديد الوقع، عظيم الأثر، عجم كنانة مفرداته فاختار أقساها وأعنفها وأشدها وقعاً، ورمى خصومه بها، فهو يدرك أنه بقدر ما يسنُّ شفرة كلماته، ويصقل حدَّها يزرع في قلب خصمه الرهبة والخوف. وكلما كان

(1) انظر: الأدب المقارن (مشكلات وآفاق) ، عبده عبّود ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، 1999م ، ص39 – 40.

الرصيد اللغوي للأديب أشد ثراء، ومعجمه أغزر معيناً، وذكاؤه في انتقاء البدائل أوفر حظاً، كان نصه أعلى قيمة أدبياً وأكثر نجاعة نفسياً؛ اذ لا تأتي مفرداته عبثاً ولا كلماته حشواً.

1 – الألفاظ الدالة على قوة المهدِّد:

ومن أولى سمات المفردات في نصوص التَّهديد اعتماد الأديب المفردات التي تظهر قوته وتعكس شدة بأسه وتصور عظيم قدرته على الفعل، وهذا وحده كفيل بأن يزرع الرهبة في نفوس خصومه والوهن في قلوب أعدائه. ولنتأمل قول **عبيد الله بن الحر** [1] مهدداً أعداءه بالحرب:[2]

أَهمُّ مراراً أن أسير بجحفلٍ إلى فئةٍ زاغت عن الحقِّ ظالمهْ
فَكُفُّوا وإلَّا ذُدْتُكم في كتائبٍ أشدَّ عليكم من زحوف الديالمهْ

في هذين البيتين ليس ثمة كلمة جاءت اعتباطاً؛ فقوله: (أهمُّ) تعني: إنني أعزم على الأمر ولم أفعل بعد، وقوله: (مراراً) يعني أنَّ المهدَّد قد نجا سابقاً أكثر من مرة من مصير سيئ كان قاب قوسين أو أدنى من أن يعيشه، وفي ذلك إظهار القوة والقدرة والصبر الذي يكاد ينفد. ثم هو يقول: (أسير) بحالة الإفراد متحدثاً عن نفسه كونه قائداً، أي هو وحده من يتخذ القرار. ثم يصوِّر قوة جيشه وعظمته بقوله: (بجحفل) و(كتائب) و(زحوف).

(1) عبيد الله بن الحر بن عمرو الجعفي، كان قائداً شجاعاً، وشاعراً فحلاً (ت68هـ). انظر: : الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت/ لبنان ، ط15- 2002م ، ج4، ص192.

(2) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان (بيروت/ لبنان)، م5 ، ص470.

ويقول **جارية بن قدامة**[1] مخاطباً معاوية مهدِّداً إياه بالحرب، بعد أن ذكَّره الأخير بموالاته لعلي: "**تركنا وراءنا رجالاً مداداً وأدرعاً شداداً وأسنة حداداً.**"[2]

رجال (مداد) يمد بعضهم بعضاً كأن لا نهاية لهم ولا نفاد، وأدرع (شداد) قوية قادرة على الحماية وصد كيد العدو، وأسنة (حداد) تمرست على خوض المعارك مهيَّأة للقتال، وهذه كلمات تجمع عناصر القوة في المعركة، وهل القوة في الحروب غير عدد كبير من المقاتلين، والقدرة على الصدِّ والدفاع، والمبادرة إلى الهجوم؟ وهذا ما دفع معاوية إلى أن يقول له إثر كلماته هذه: لا أكثر الله في الناس أمثالك!

وحين يهدد **الفرزدق**[3] خصومه بالهجاء يختار من الكلمات ما يبين قوة هجائه وشدة تأثيره ووقعه في نفوس خصومه، فيقول: [4]

سَتَأتي عَلى الدَّهنا قَصائِدُ مِرْجَمٍ إذا ما تَمَطَّت بِالفَلاةِ رِكابُها
وَلَو أَنَّها رامَت صَفا الحَزْنِ أَصبَحَت تَصَيَّحُ مِن حَذِّ القَوافي صِلابُها

(1) جارية بن قُدامة التَّميميّ السعديّ، يعد في البصريين، وكان من أصحاب عليّ في حروبه، وقيل إن قدامة عمُّ الأحنف بن قيس. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي النَّمري. صححه وخرَّج أحاديثه عادل مرشد ، دار الإعلام ،عمان/ الأردن ، ط1 ، 1423هـ/2002م ، ص126.

(2) تاريخ الخلفاء ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ قطر ، إشراف: محمد غسان نصوح عزقول الحسيني ، ط2 - 1434هـ/ 2013م ، ص331. مداداً: يمد بعضهم بعضاً لقوتهم وكثرتهم. أدرع: دروع. الأسنة: رؤوس الرماح.

(3) الفرزدق: هَمَّام بن غالب بن صَعْصَعَةَ المُجَاشِعِيُّ الدَّارِمِيُّ التَميميُّ، يكنى أبا فراس، وسُمِي بالفرزدق لأنه شُبِّه وجهُه - وكان مدوراً جَهماً- بالخبزة، شاعر من النبلاء من أهل البصرة - (ت110هـ). انظر: معجم الشعراء ، للمرزباني ، ص465. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، ج8 ، ص93.

(4) ديوان الفرزدق ، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت/ لبنان، ط1، 1407هـ /1987م ، ص54. المرجَم: الشديد القويّ. الصفا، الواحدة صفاة: الصخرة الصلبة. الحَزن: ما غلظ من الأرض. تصيَّح: تشَقَّقَ. حذّ القوافي: وقع القوافي وإسراعها إليه.

انظر في وصف وقع قصائد هجائه بـ(مرجم) أي: الشديد القوي، وكان وقع الكلمة في النفس أكبر أثراً لإيحائها بالرجم واشتقاقها منه، وهو وصف دقيق لتتالي ضربات هجائه على عدوه، ثم يختار كلمة (حَذّ) لوصف وقع القوافي على خصومه، و(الحذُّ) كلمة تجمع معاني: القطع والخفة والسرعة والشدة [1]، وهذا اللفظ دون سواه فيه تصوير جامع لقوة هجائه وشدة تأثيره.

ويذهب **جرير**[2] في تهديد خصومه بالهجاء إلى استدعاء كلمات تبين قدرته على اصطياد المعاني التي من شأنها أن تسحق مناوئيه، ولأنه يدرك أن شيوع قصائد هجائه أعداءه على ألسنة الناس هو أقسى وأشد على نفوس خصومه من الهجاء ذاته، فإنه يختار من الألفاظ ما يشير إلى هذا المعنى، فيقول: [3]

وإنِّي لقوَّال لكلِّ غريبةٍ وَرودِ إذا السَّاري بليلٍ تَزَنَّما
خَروج بأفواهِ الرُّواةِ كأنَّها قَرى هُندوانيّ إذا هُزَّ صَمَّما

إنَّ وصفه نفسه بأنه (قوَّال) بصيغة المبالغة، تدل على الكثرة والممارسة والخبرة، وهذا سلاح مرعب بيد الشاعر، ثم تأكيده قدرته على الإتيان بالمعاني الغريبة، ومعلوم أن كل غريب وغير مألوف هو أعلق في الذهن وأرعى للانتباه، وأكثر قابلية للتداول لخروجه عن السائد ومفارقته المعتاد، وهذا من دون شك سلاح آخر بيده، ثم يصف قصائده بـ (وَرود) مبالغة من الوُرود أي: تسير بها الركبان

(1) لسان العرب ، ابن منظور، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف/ القاهرة (د.ت) ، م2، ص 808،809.

(2) جرير بن عطية بن حذيفة (الخَطَفي) الكلبي اليربوعي التميمي. كان يكنى بأبي حَرزَة، واحد من كبار الشعراء في عصره ، ولد ومات في اليمامة (ت110هـ). انظر: الأغاني ، ج8 ، ص5. وانظر: الأعلام ، ج2 ، ص119.

(3) ديوان جرير (بشرح محمد بن حبيب) ، تح: نعمان محمد أمين طه ، دار المعارف/ مصر ، ط3 ، (د.ت) ، م3 ، ص980. الغريبة من الشعر: التي لم يُقَل مثلها. الورود: التي ترد البلدان على أفواه من يتغنى بها إذا سار ليله. قَرى كل شيء: متنه. وتصميم السيف: مُضيُّهُ في ضَرِيبته.

وترد البلاد، ثم يصـــف قوافيه بأنها (خَروج) مبالغة من الخُروج بأفواه الناس، أي: تتغنى بها الشـــفاه وترددها الألسن.

نلاحظ كيف اســتطاع جرير بهذه الكلمات المنتقاة أن يبين مكامن القوة في شــعره، ومواضــع التمكن فيه، عند هجائه أعداءه.

وأما **الأخطل**[1] فإنَّه حين أراد أن يصوِّر قوة سلاح هجائه قال:[2]

فـلأجـعـلـنَّ بـنـي كُـلـيـبٍ شُـــهْـرَةً بـعـوارمٍ، ذهـبـت مـع الـقُـفَّـالِ

لنقف على كلمة (عوارم) التي وصف بها جرير قصائده في الهجاء: يقال: عرم الرجل اشتد، وخرج عن الحدّ، وخبث، وكان شـريراً، وشـرسـاً، ومؤذياً. والعرم: وسـخ القدر[3]. وبالنظر إلى معاني الكلمة معجمياً ندرك إلى أي مدى جاء اللفظ جامعاً لكل المعاني، التي تبعث في قلب المهدَّد الرعب من أن يكون عرضة لهجاء الشاعر، وقذائف قصائده.

وفي إطار التَّهديد بالهجر والارتحال يكون إظهار قوة المهدِّد بإثباته قدرته على الاســتغناء، وتبيانه أن ثمة خيارات كثيرة يمكنه أن يبيمم وجهه شــطرها، وقد حرص الشــاعر المهدِّد بالرحيل أن يختار من الألفاظ ما يوحي بهذا المعنى ويدل عليه.

يقول **الفرزدق** مهدداً بني أمية بالرحيل عنهم: [4]

فـإن تُـنصِـــفـونـا يـالَ مَـروانَ نَـقـتَـرِب إلَـيـكُـم وَإلّا فَـأذَنـوا بِـبِـعـادِ

(1) الأخطل: غياث بن غوث بن الصَّلت بن الطَّارقة التغلبي، و(الأخطل) لقب يعني: السَّفيه. من كبار شعراء العصر الأموي، وكان نصرانياً. ت92هـ). انظر: الأغاني ، ج8 ، ص201.

(2) ديوان الأخطل ، شرح: مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان) ، ط2 -1414هـــ /1994م ، ص260. العوارم، جمع العارمة: قصيدة الهجاء. القفال، مفردها القافل: وهو العائد.

(3) لسان العرب ، م4 ، ص2914،2913.

(4) ديوان الفرزدق ، ص145.

فَـإِنَّ لَـنـا عَـنـكُـم مَـراحـاً وَمَـذهَـبـاً بِـعيسٍ إِلـى ريـحِ الـفَـلاةِ صَـــوادي
وَفي الأَرضِ عَن ذي الجورِ مَنـأى وَمَـذهَـبٌ وَكُـلُّ بِـلادٍ أَوطَـنَـتْـكَ بِـلادي

انظر إلى ألفاظ: (مراحاً)، (مذهباً)، (منأى)، (مذهب) جاءت كلها على صيغة اسم المكان، وهي توحي بالخيارات الكثيرة المتاحة أمام الشـــاعر، والبدائل المتوفرة لديه، ثم ذكره (الفلاة) بما توحي به الكلمة من الاتســـاع والرحابة والانفتاح على الاتجاهات، ثم تأتي لفظتا (بلاد) و(بلادي) بصـــيغة الجمع لتؤكد معنى وجود البدائل ووفرة الخيارات.

وتشـــكل الألفاظ وطريقة اختيارها في أبيات قالها **المتوكل الليثي**[1] علامة فارقة في توظيف الألفاظ في التعبير عن القدرة على الاستغناء ورد الجفاء بمثله، وذلك حين قال مهدداً بالرحيل:[2]

أَلا أَبـلِـغ أَبـا قَـيـسٍ رَســـولاً فَـإِنّـي لَـم أَخُـنـكَ وَلَـم تَـخُـنِّـي
وَلَـكِـنِّـي طَـويـتُ الـكَشـــحَ لَـمّـا رَأَيـتُـكَ قَـد طَـوَيـتَ الـكَشـــحَ عَـنّـي
وَكُنـتُ إِذا الـخَـلـيـلُ أَرادَ صَـــرمـي قَـلَـبـتُ لِصَـــرمِـهِ ظَـهـرَ الـمِـجَـنِّ
كَـذاكَ قَضـــيـتُ لِـلـخُـلانِ أَنّـي أديـنُ عـلـيـهـمُ وَأديـنُ مِـنّـي
فَـلَسـتُ بِـآمِـنٍ أَبَـداً خَـلـيـلا عَـلـى شـــيءٍ إِذا لَـم يـأتَـمِـنّـي

(1) المتوكل الليثي: المتوكل بن عبد الله الليثي الكناني، من شـــعراء الإســـلام، وهو من أهل الكوفة، له مدائح في معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، ويكنى أبا جهمة، (ت85هـ). انظر: الأغاني ، ج12 ، ص111.

(2) شـعر المتوكل الليثي ، يحيى الجبوري ، مكتبة الأندلس/ بغداد ، د.ت ، ص268، 269. الكشـح: ما بين الخاصـرة والضـلع الخلفي، طوى عني كشحه كناية عن القطيعة والبغض. أدين عليهم: أجازيهم، والدين: الجزاء والمكافأة.

بالنظر إلى الألفاظ نجد الشـــاعر يَزِن العلاقة مع الآخر بميزان دقيق ليكون التعامل بالمثل، ولم يجد لذلك خيراً من الألفاظ لتكون وسيلة تعبير عن هذا المعنى الذي أراده، ودليلاً على إمساكه بزمام القرار والتحكم به، فإما المعاملة بالمثل وإما فالرحيل قراره. وانظر إلى هذه الألفاظ التي وردت في الأبيات السـابقة: **(أخنكَ/ تخنّي)، (طويتُ/ طويتَ)، (الكشـحَ/ الكشـحَ)، (صَـرمي/ صَـرمه)، (أدينُ/ أدينُ)، (بآمنٍ/ يأتمنّي)**.

ألفاظٌ منتقاةٌ بدقة بالغة، وعناية فائقة، أدَّت دورها في إظهار قوة موقف الشـــاعر وقدرته على ضـــبط مشاعره بميزان العقل والحكمة والعدل.

ويهدد **القتَّال الكلابي**[1] بالثأر فيصور قوته على الفتك بأعدائه فيقول:[2]

إنّـي لَـعَـمـرُ أَبـيـهِـم لا أُصـــــالِـحُـهُـم حَتّى يُصـــــالِحَ راعي الثَّلَّـةِ الـذيـبُ
أَو تَنجَلي الخَيـلُ عَن قَتلى مُصَـــرَّعَـةٍ كَـأَنَّهـا خَشَـــبٌ بِـالقـاعِ مَقطوبُ

إن وقع الألفاظ: (قتلى، مصرَّعة، مقطوب)، وقع ثقيل في الأذن وعلى النفس أيضاً، وقد أراد الشاعر من اختيارها أن يعبر عن قوته وشدة بأسه ويثير في قلوب خصومه الرهبة والخوف. ومجيء (مصرَّعة) و(مقتول) و(مقطوب) على صيغة اسم المفعول للإشارة إلى حال الأعداء عند اللقاء، جعل الأمر وكأنه قد حدث فعلاً ولم يعد ثمة سبيلٍ إلى ردّه، أو مجال لاتقائه.

(1) القتال الكلابي: اسـمه عبد الله بن المُضَـرِّحِيّ بن عامر الكلابي من بني ربيعة، والقتَّال لقبٌ غلب عليه لتمرُّده وفتكه. شـاعر، أدرك الجاهلية والإسلام وعاش إلى أيام عبد الملك بن مروان. توفي حوالي سنة 70هـ. انظر: الأغاني ، ج24 ، ص91-106.
(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1- 1425هـ/ 2004م – ج2 – ص60. الثَّلَّة: جماعة الغنم قليلة كانت أو كثيرة. القاع: أرض واسعة سهلة مطمئنة. مقطوب: مقطوع.

مما جاء في التَّهديد قول **زياد بن أبيه**[1] لمَّا ولي العراق: "**أحدثنا لكلِّ ذنب عقوبةً، فمن غرق قوماً غرَّقناه ومن حرَّق على قومٍ حرَّقناه ومن نقب بيتاً نقبت عن قلبه ومن نبش قبراً دفنته فيه حياً، فكفوا عني ايديكم وألسنتكم أكفف يدي وأذاي. وايم الله إنَّ لي فيكم لصرعى كثيرة فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صراعي**"[2]

لو استعرضنا الألفاظ التي حملت دلالة القوة والهيمنة والاستعلاء فيما أوردناه من قول زياد لوجدناها كثيرة. أولها قوله: (أحدثنا) وهو قول من يمتلك اتخاذ القرار، ثم قوله (غرَّقنا) و(حرَّقنا) و(ثقبنا) و(دفنته) في معرض تصوير نتائج تهديده إن لم يذعنوا لما يقوله، وهذه كلها ألفاظ تدب الرعب في قلب المهددين، وما جاء بالضمير (نا) إلا تعظيماً لنفسه، وتهويلاً لقدرته في قلوب خصومه، أو ربما إشارة إلى قوة كبيرة تدعمه وتسانده وتقف خلفه، وفي الحالين كليهما أدى الضمير (نا) معنى القوة والمقدرة والاستعلاء على خصومه. ثمَّ إنه سماهم (صرعى) و(صرعاي)، كأنها نتيجة حتمية لما سينتهي إليه حال من يخالف أمره. ومجموع الألفاظ التي جاءت في خطبة زياد كفيل بأن ترتعد له فرائص الخصم، وينقبض له قلبه.

عمد الأدباء في معرض التَّهديد إذاً إلى الاستفادة من الألفاظ الدالة على قوتهم وقدرتهم، فانتقوا ألفاظهم بعناية، وسخروها في خدمة الفكرة حتى تترك أثرها في نفس المهدَّد فتُشعِره بالضعف، وانعدام القدرة، وتتجه به نحو الاستسلام، تجنباً لسطوة المهدِّد واستعلائه وتمكنه.

(1) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة القادة الفاتحين، الولاة. من أهل الطائف. ألحقه معاوية بنسبه سنة (44هـ)؛ فكان عضده الأقوى وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق. ت(53هـ). انظر: الأعلام ، ج3 ، ص53.

(2) تاريخ الطبري ، م5، ص220.

2 – الألفاظ الدالة على ضعف المهدَّد:

وإذا كان الكاتب وهو يهدد خصـومه ينتقي من الكلمات ما يوحي بقوته وشـدة بأسـه ويشـي بقدرته على إنفاذ تهديده، فإنَّه بالمقابل كان شديد الحرص على انتقاء كلمات يصف بها خصمه فيهوِّن من أمره، ويقلل من شـأنه، ويسـعى إلى اسـتصـغاره، والحطِّ من قدره، ولذلك ما له من عظيم الأثر في دحر المهدَّد نفسياً، وهزيمته معنوياً.

في أبيات **عبيد الله بن الحر** التي سـبقَ ذكرها، والتي حرص فيها على اختيار مفردات تدل على قوة بطشـه مثل: (جحفل)، (الكتائب)، (زحوف)، نراه بالمقابل يقلِّل من شـان أعدائه فيصـفهم بـ(فئة) هكذا بالتنكير، فيقول:[1]

أَهمُّ مراراً أن أسير بجحفلٍ إلى فئةٍ زاغت عن الحقِّ ظالمهْ

ومن تقليل شأن الخصم عند تهديده ما ورد في مخاطبة الشعراءِ الأخطلَ التغلبي بـ(الأخيطل)، وهو تصغير أريد منه التحقير والاستصغار. ومن ذلك قول **جرير** في تهديده الأخطل بالقتال:[2]

وقـد عَلِقَ الأُخَيطـل حبـلَ سـوءٍ فـأَبْـرَحَ يـومُـهـن بـه وطـالا
ألـم تـرَ يـا أُخَـيـطـلُ حـربَ قـيـسٍ تُـمِـرُّ إذا ابـتـغـيـتَ لـهـا الـعِـلالا

تقصَّد جرير نداء خصمه بـ(الأخيطل) تصغيراً لقدره وتحقيراً لشانه، ثم أخذ يهدِّده بأن معاودة حرب قيس تزيدها مراراً.

(1) تاريخ الطبري ، م5، ص470.

(2) ديوان جرير ، ج3- ص751. تمرُّ: تصبح مرَّة. العِلالا: الشربة الثانية بعد الشربة الأولى وهي كناية عن المواجهة الثانية.

ومما جاء في تحقير الخصـــم في ســـياق التَّهديد بالقتال ما ورد في معظم خطب **الحجاج بن يوســـف الثقفي**[1] حين ولي العراق فإنه ما فتئ يحقر مناوئيه ويقلل من شـــأنهم، ويختار لذلك ألفاظاً تفعل في نفوس الخصـوم فعل السـيف في صـدورهم، ومن ذلك قوله: "**يا أهلَ العراقِ، يا أهلَ الشِّقَاقِ والنِّفَاقِ، وَمَساوِئِ الأَخْلاقِ (....) يا بني اللكيعة وعبيد العصا وأبناء الأيامى**"[2]

فقد أورد في تحقيرهم ألفاظاً مثل: (الشـقاق) و(النفاق) وبأنهم أبناء (اللكيعة) وهي الحمقاء من الإماء، كما وصفهم بأنهم (عبيد) العصا، وبأنهم أبناء (الأيامى).

ومما ورد في تحقير الخصم المهدد بالثأر ما جاء في قول **عبد الله بن الزَّبير الأسدي:**[3]

قَضـــى اللَـــهُ أَنَّ النَفسَ بـــالنَفسِ بَينَنـــا وَلَـم نَـكُ نَـرضـــى أَن نُـبـــاوِئَـكُـم قَـبـلُ
وَنَـحـنُ قَـتَـلـنـا بـــالـمَـنـيـح أَخـاكُـمُ وَكـيـعـاً وَلا يـوفـي فـي الـفَـرَس الـبَـغـلُ

مع إقرار الشـاعر بمبدأ القصـاص (النفس بالنفس) غير أنه أراد أن يضـع من قدر خصـومه فنعت قتيلهم بـــــــ(البغل) بينما قتيل قوم الشـــاعر (فرس)، وهذا الطباق المعنوي بين الفرس والبغل ووضعهما في موضع المقارنة جعل زخم التحقير والاستخفاف بالخصم أقوى وأشد تأثيراً.

(1) الحجاج بن يوســـف بن الحكم الثقفي، قائد، داهية، ســـفاك، خطيب. كان على جند عبد الملك بن مروان في قتاله عبد الله بن الزبير، ولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف والعراق.(ت95هـ). انظر: الأعلام ، ج2 ، ص168.

(2) تاريخ الطبري ، م6، ص206.

(3) مجالس ثعلب ، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، شـــرح وتحقيق: عبد الســـلام محمد هارون ، دار المعارف بمصـــر ، ط2-1948م ، ج3، ص106،105. نباونكم: نجعلكم كفؤاً لنا. وعبد الله بن الزَّبير بن الأشيم الأسدي، من شعراء الدولة الأموية، كوفي، مات في خلافة عبد الملك بن مروان سنة75هـ. انظر: سير أعلام النبلاء ، للإمام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي ، رتبه وزاده فوائد واعتنى به: حســـان عبد المنان ، بيت الأفكار الدولية ، لبنان/ 1424هـــــ/2004م ، ج2 ، ص2381. انظر: الأعلام ، ج4 ، ص87.

وفي معرض التَّهديد بالهجر والارتحال يتخذ تقليل شـأن المهدد شـكلاً مختلفاً إذ يتجلى في إظهار ضـعفه وقلة حيلته إذا ما نفذ المهدِّد تهديده، فيُظهر الأديب بذلك عدم قدرة المهدَّد على الاستغناء محبةً أو منفعة؛ ولذا نجد **أبا الخطار الكلبي**[1] في تهديده بني أمية بالارتحال عنهم، يضمِّن تهديده كلمات توحي بالحال التي سـيؤول إليها خلفاء بني أمية عند حاجتهم إلى بني كلب بعد فوات الأوان، فيقول:[2]

فـلا تـعـجـلـوا إنْ دارتِ الـحـربُ دورةً وزلَّـت عنِ المَوْطَـأةِ بـالقـدَمِ النَّعـلُ
ولا تطمَعوا في نصـرنـا بـعـد فِعلكم فقـد ظهرت شـحنـاؤكم وبَـدَا الغِـلُّ
وإن رثَّ حَبْـلُ الوصـل وانقطع الهُوى ألا ربَّـمـا يُـلـوى فـيـنـقـطـعُ الـحَـبْـلُ

في قوله: (زلَّت) إشارة إلى أن حالة الثبات التي وصل إليها الحكم الأموي ليست مضمونة، فربما جاء بعد ذلك الزلل المؤدي إلى الهاوية، ثم يصـف حبل الوصـل بين قبيلته وبني أمية بقوله: (رثّ) ثم (انقطع) و(يلوى) و(ينقطع)، وكلها ألفاظ تظهر قلة حيلة بني أمية وضعفهم وحاجتهم الماسة إلى دعم قبيله كلب، غير أنه قدم لذلك بأنه لا سـبيل إلى عودة الأمور إلى ما كانت عليه وقد أبدى بنو أمية ما أبدوه من سوء المعاملة، وشدة التغافل عنهم.

(1) أبو الخطار الكلبي: حسام بن ضرار بن سلامان بن خيثم بن ربيعة الكلبي، أبو الخطار. كان حازماً شجاعاً فصيحاً شاعراً. (ت130هـ). انظر: الأعلام ، ج2 ، ص175.

(2) انظر: كتاب الوحشيات (الحماسة الصغرى) ، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، زاد في حواشيه: محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ط3 - 1388هـ /1968م ، ص42،43. والحماسة ، لأبي عبادة الوليد بن عُبيد البحتري ، تح: محمد إبراهيم حور/ أحمد محمد عبيد ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث ، ط1- 1428هـ/ 2007م ، ص179،180. ونسبت فيها الأبيات لـ(بشر بن صفوان الكلبي). وانظر: عتاب الخلفاء وتهديدهم في الشعر الأموي "دوافع ونتائج" - مفلح الفايز - دراسات، الجامعة الأردنية - العلوم الإنسانية والاجتماعية ، م42- العدد 2، 2015م، ص492.

لم يترك الشعراء أو الخطباء مجالاً لتحقير خصومهم وإظهار ضعفهم إلا اتخذوا إليه سبيلاً، مُسَخِّرين لذلك كل لفظ يفي بالغرض، ويؤدي المعنى، ويجسد الفكرة، محاولين بث روح الهزيمة في أرواح خصومهم، والخوف في نفوسهم.

ب – على مستوى الأساليب:

في نصوص أدب التَّهديد طغيان واضح للأسلوب الإنشائي على حساب الأسلوب الخبري، ولهذا الأمر ما يفسره من كون الجملة الخبرية إنَّما تقتصر مهمتها على الإخبار بينما تمتلك الجملة الإنشائية تنوعاً أكبر وطاقة تأثيرية أعلى، وهذا ما يحتاجه الأديب حين ينجز نصاً أدبياً يهدِّد به خصومه، إذ تكون غايته الأهم هي التأثير في نفوس أعدائه.

في دراستنا البنية اللغوية على مستوى الأساليب لأدب التَّهديد سنقف على أهم الأساليب التركيبية المشتركة التي اتخذها الأدباء وسيلة لصوغ معانيهم، وتجسيد أفكارهم، وهي بتنوعها واختلافها شكلت نسيج هذا الفن وتضافرت فيما بينها لتشكل البنية التركيبية التي تخدم الفكرة التي يطرحها الكاتب والرسالة التي يريد إيصالها إلى متلقيه.

1 – أسلوب الشرط

بدءاً علينا أن نتنبَّه إلى أن الأديب حين يعمد إلى استخدام أسلوب الشرط في تهديده فإنَّه يقدِّم نفسه طرفاً أقوى، ومن هذا المنطلق فإنه يفرض شروطه، وهذا من دون شك له كبير الأثر في إدخال حالة من الوهن على قلب الخصم، الذي يجد نفسه تلقائياً طرفاً أضعف في المعادلة. غير أنَّ

الطرف الأقوى يمنُّ على خصـمه بأنْ يمنحه فسـحة من الوقت، ومسـاحة من التفكير، وذلك بتعليق تنفيذ التَّهديد والمضـي فيه بفعلٍ مرتبطٍ بالخصـم، وللخصـم الحرية في أن يُقدِمَ عليه أو لا يفعل، في فسحة زمنية يتحكم فيها الخصم أيضاً.

إن الأديب باسـتخدامه أسـلوب الشـرط يظهر قوته وتمكُّنَه وقدرته واسـتعلاءه، ثم هو يرمي الكرة في ملعب خصمه.

انظر في قول **الجحَّاف بن حكيم**[1] مهدداً الأخطل:[2]

فـإن تَـدعُني أخرى أُجِبْـكَ بمثلهـا وإنِّـي لَـطَـبٌّ بـالـوغـى جِـدُّ عـالـمِ

وكان الأخطل قد اسـتفزَّ الجحَّاف في شـعرٍ قاله؛ فرد الجحَّاف على قوله بالفعل فأغار على تغلب، فلما أن التقيا بعد ذلك قال الجحاف أبياتاً منها البيت المذكور، وفيه يسـتخدم الجحَّاف الجملة الشرطية في تهديده الأخطلَ بأنه لو استفزه مجدداً فإن الردَّ سيكون بالطريقة ذاتها. واستخدام الشاعر حرف الشـرط الجازم (إن) فيه إشـارة إلى اسـتبعاد تجرؤ الأخطلِ على معاودة اسـتفزازه بعد أن خبر نتيجة استفزازه أول مرة.

(1) الجحاف بن حكيم السـلمي: فاتك، ثائر، شـاعر. كن معاصـرً لعبد الملك بن مروان. غزا تغلب وقتل منهم كثيرين، فأهدر عبد الملك دمه، فهرب إلى الروم، وعاد بعد وفاة عبد الملك وقد أمّنه الوليد بن عبد الملك. (ت90هـ). انظر: الأعلام ، ج2 ، ص113.

(2) الأغاني ، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني ، تح: إحسان عباس/ إبراهيم السعافين ، بكر عباس ، دار صادر بيروت ، ط3 - 1429هـ / 2008م ،ج12، ص144.

ويقول **سعد بن ناشب**[1] مهدداً بالحرب:[2]

فـإنَّ أســـيـافـنـا بـيـضٌ مـهـنـدةٌ عـتـقٌ وآثـارهـا فـي هـامـكـم جـدُدُ
وإن هويتم ســـللنـاهـا فمـا غمـدت إلا وهـامُ بـنـي بـكـر لـهـا غـمـدُ

يذكِّر الشاعر خصمه بقوة قومه وشدة سيوفهم التي خبرت الحروب وتمرست بها، ثم يأتي بـــ(إن) أداةً للشرط، وهو يدرك أنَّ ما قدَّم من وصف سيوف قومه سيجعل احتمال تجرؤ الخصم على اختبارها أمراً بعيد الاحتمال.

ومن شـــديد التَّهديد بالحرب ما قاله **قتيبة بن مسـلم**[3]. في رســـالته إلى ســـليمان بن عبد الملك[4]، إذ راح يهدده بالخلع ثم إعلان الحرب عليه، حربٍ لا تبقي ولا تذر، معلِّقاً ذلك كله برفض ســـليمان إقرار قتيبة على ما هو عليه من الولاية، وإبقائه في منصـــبه. يقول: "**لئن لم تقرِّني على ما كنتُ عليه، وتؤمِّني، لأخلعنَّكَ خلع النَّعل، ولأملأنَّها عليك خيلاً ورجالاً**" [5]

(1) سعد بن ناشب من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، شاعر إسلامي، كان سعد من مَرَدَة العرب وفتَّاك بني تميم بالبصرة. انظر: شـــرح ديوان حماســـة أبي تمام ، لأبي العلاء المعري ، دراســـة وتحقيق: حســـين محمد نقشـــة ، دار الغرب الإســـلامي - 1411هـــ/1991م ، م1 ، ص64. والشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر – 1377هـ/1958م ، ج2-،ص696.

(2) ديوان المعاني ، لأبي هلال العسـكري ، شـرحه وضـبط نصـه: أحمد حسـن بَسـج ، دار الكتب العلمية ، بيروت/ لبنان ، ط1- 1414هـ - 1994م ، ج2، ص400.

(3) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلي: أمير، فاتح، من مفاخر العرب. اشتُهر بفتوحاته، وكان مرهوب الجانب، جاهر بخلع طاعة الخليفة سليمان بن عبد الملك؛ فقُتِل سنة (96هـ). انظر: الأعلام ، ج5 ، ص189.

(4) سـليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، الخليفة القرشـي الأموي، كان ديِّناً فصـيحاً مفوهاً عادلاً محباً للغزو. عاش تسـعاً وثلاثين سنة (99هـ)، وكان قد استخلف عمر بن عبد العزيز. انظر: سير أعلام النبلاء ، ج2 ، ص1921،1920.

(5) ديوان شـــرح نقائض جرير والفرزدق ، ألفه ورواه: أبو عبيدة مَعْمَرُ بنُ المثنى ، شـــرحه وعلق عليه: محمد التونجي ، دار الجيل/ بيروت ، 1422هـ/ 2002م ، م1، ص530.

أما التَّهديد بالثأر فإنه مبنيٌّ في أســاســه على رد الفعل لا الفعل، ومن ثمَّ فإن التَّهديد بالثأر يفترض ألا يكون مشروطاً، غير أن التَّهديد بالثأر لم يخلُ من التركيب الشرطي، ومن ذلك ما جاء في قول **عبد الله بن الزَّبير الأسدي** مهدداً خصومه:[1]

فـإن تَـثـلِـثـوا نَـربَـع وإن يَـكُ خـامِـسٌ يَكُن ســـــادِسٌ حَتّى يُبيركُمُ القَتـلُ
وإن تَســـبَعوا نَثمِن وإن يَـكُ تـاسِـــعٌ يَكُن عـاشِـــرٌ حَتّى يَكونَ لَنـا الفَضـــلُ
فـإن تشـــربِ الأَرطى دَمـاً مِن صَـــديقِنـا فَـلا بُـدَّ أَن يُســـقـى دِمـاءَكمُ النَـخـلُ

الجمل الشــرطية في هذه الأبيات مبنية على أن الثأر أمر كائن لا محالة، غير أن الشــاعر يدرك مســـبقاً أن لكلِّ فعلٍ ردَّ فعلٍ مقابل، وطاحونة الثأر لا تتوقف، فجاءت تراكيبه الشـــرطية في الأبيات لتؤكد أن أيَّ ردِّ فعل من خصـــومه ســيقابل بما يكافئه بل ويزيد عليه، حتى يكون له ولقومه الفضــل، فهو لا يريد أن تُكسَـر شـوكة قومه، ولابدَّ من أن تكون لهم اليد العليا، فإن شـربت الأرطى (نبات صحراوي) من دماء قومه فيجب أن يُسقى النَّخيل من دماء أعدائه.

إذاً، اسـتطاع أسـلوب الشـرط أن يؤدي دلالات عدة في أدب التَّهديد: فمن ناحية أظهر قوة المهدِّد وقدرته واسـتعلائه من خلال فرض شـروطه على خصـمه، ومن ناحية أخرى دعا الخصـمَ إلى إعمال فكره لتجنب نتيجة فعله إن هو أقدم عليه، بالإضــافة إلى كون جواب الشـرط يعد نتيجة حتمية حال وقوع الفعل، وهذا له شديد الأثر في نفس الخصم والتأثير عليه في اتخاذ قراره.

2- أسلوبا الأمر والنهي

(1) مجالس ثعلب ، ج3 (القسم الأول) ، ص105. الأرطى: شجر صحراوي ينمو في الرمال.

الأمر والنهي على الحقيقة: طلبُ حصـــول الشـــيء أو الكفِّ عنه على ســـبيل الاســـتعلاء والإلزام. أما بلاغياً فإنهما يخرجان إلى معان عدة منها: (التَّهديد والوعيد).

والأمر والنهي إذ يصـدران عن الكاتب في معرض التَّهديد فإنهما يوحيان بامتلاكه قدرة تخوِّله أن يأمر وينهى، وتمكُّناً يشعر خصمه بالدُّونية والضَّعف وقلة الشأن.

أ – الأمر

شـكل **الأمر** الذي يؤدي معنى التَّهديد جزءاً من البنية التركيبية في أدب التَّهديد في العصـر الأموي، إذ لجأ إليه الشـعراء والخطباء بوصـفه سـلاحاً فعالاً ووسـيلةً ناجعةً تدفع الخصـم إلى أن يعيد حساباته ويتفكر بالعواقب قبل أن يتجرأ بالإقدام على فعل يجر عليه من النتائج ما لا تحمد عقباه.

ومن خطبة **للمغيرة بن شـــعبة**[1] مهدداً الخوارج: "**كفُّوا أيُّها الناس ســـفهاءكم قبل أن يشـــمل البلاء عوامكم**". [2]

(1)المغيرة بن شـعبة بن أبي عامر بن مسـعود الثقفي: أحد دهاة العرب وقادتهم وولاتهم. صـحابي. ذهبت عينه في اليرموك. ولما حدثت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما اعتزلها المغيرة. ثم ولَّاه معاوية الكوفة، ولم يزل فيها إلى أن مات سنة (50هـــ). انظر: الأعلام – ج7 – ص277.

(2) جمهرة خطب العرب في عصـور العربية الزاهرة – أحمد زكي صـفوت – شـركة مكتبة ومطبعة مصـطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر – ط1- 1352هـ/ 1933م – ج2– ص421.

يتوجه المغيرة بالأمر المتضـمن معنى التَّهديد والوعيد إلى الناس جميعهم محملاً إياهم المسـؤولية في لجم السفهاء منهم، وكفِّهم عن تهورهم بخروجهم على بني أمية، ثم يفسر شمولية الخطاب بأن البلاء إذا عم النَّاس فإنه سيُذهِب الصالح بالطالح.

ومن ذلك أيضـاً قول **زفر بن الحارث الكلابي**[1] مهدداً متوعداً بني مروان إثر هزيمته في مرج راهط: [2]

أريـنـي سـلاحـي لَا أبـالـك إِنَّـنِـي أرى الْـحَـرْب لَا تـزداد إِلَّا تـمـاديـا

يتوجه الشاعر بالأمر إلى زوجته لتجهز له سلاحه، في نبرة تهديدية يستهدف بها بني أمية، في إشارة منه إلى أنه عازم على طلب الثأر.

ومما جاء في رسالة **خالد بن عبد الله الأموي(والي البصرة)** إلى أهل هوازن وقد انحازوا إلى مصعب بن الزبير[3] في حربه مع عبد الملك بن مروان[4]: "**أيُّها المسـلمون، اعلموا على من اجترأتم ومن عصيتم! إنَّه عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين، الذي ليست فيه غميزة، ولا لأهل المعصية عنده رخصة**".[5]

(1) زفر بن الحارث بن عبد عمرو بن معاذ الكلابي، أمير، من التابعين، من أهل الجزيرة الفراتية، كان كبير قيس في زمانه، شـهد صفين مع معاوية. (ت75هـ). انظر: الأعلام – ج3 – ص45.

(2) المصدر نفسه – م5 – ص541.

(3) مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام. ولَّاه أخوه عبد الله البصرة ثم جمع له الكوفة، قاتل جيش عبد الملك في وقعة دير الجاثليق، وقُتِل فيها سنة (71هـ). انظر: الأعلام ، ج7 ، ص 248. _247

(4) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة، الفقيه أبو الوليد الأموي، ولد سنه (26هـ) تملك بعد أبيه الشام ومصر، قضى على ثورة عبد الله بن الزبير، وأعاد سلطان بني أمية. أول من ضرب الدنانير، وكتب عليها القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء ، ج2 ، ص2584،2583.

(5) المصدر نفسه ، م6 ، ص198. غميزة: نقص أو عيب.

هذا الأمر في قوله (اعلموا على من اجترأتم) تضـــمن معنى التَّهديد بتعظيم من أعلنوا خلافهم له والانشقاق عنه والثورة عليه.

وفي سياق التَّهديد بالهجر والارتحال يقول **عبيد الله بن قيس الرقيات:** [1]

إنَّ في اليَأسِ فَاعلَمي أُمَّ عَمروٍ راحَةً وَالبَيانُ لِلمَرءِ شافِ
أَنجِزي لي الَّذي وَعَدتِ وَإِلّا فَأذَنيني بِرِحلَةٍ وَانصِرافِ

جاء الأمر (أنجزي) بغرض التَّهديد، فالشَّاعر يأمرها أن تنجِزَ وعدها، ثم يُعقِبُ ذلك بنتيجة عدم إنجازها هذا الوعد بأنه سيهجرها ويرتحل عنها فحمل الأمر بذلك معنى تهديدياً واضحاً.

وكثيراً ما حمل الأمر في إطار التَّهديد نبرة فيها الكثير من التحقير للخصم فهو إضافة إلى تهديده إياه فإنه يقلل من شأنه ويغض من مكانته، وليس ثمة ما هو أشهر في هذا السياق من قول **جرير** في معرض تهديده الراعي النميري بالهجاء:[2]

فَغُضَّ الطَرفَ إِنَّكَ مِن نُمَيرٍ فَلا كَعباً بَلَغتَ وَلا كِلابا

(1) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، تح: محمد يوسف نجم ، دار صادر/ بيروت ، د. ت ، ص37. وعبيد الله بن قيس بن شُريح بن مالك بن ربيعة، شاعر قريش في العصر الأموي. لقِّب بابن قيس الرقيات لأنه شبب بثلاث نسوة سُمِّينَ جميعاً رقية. كان مقيماً في المدينة. خرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان (ت85هـ). انظر: الأغاني ، ج5 ، ص48. وانظر: الأعلام ، ج4 ، ص196.

(2) ديوان جرير ، نعمان محمد أمين طه ، ج3، ص821.

ب – النَّهي:

وأما **النهي** فقد شـــكَّل هو الآخر خيطاً من خيوط نســـيج البنية التركيبية في أدب التَّهديد، والنهي والأمر يخرجان من كنانة واحدة، ويُصوَّبان إلى الخصم بغية إظهار ضعفه وقلة حيلته وهوانه على المهدِّد. فالنَّهي– كالأمر– فيه ما يوحي بسلطة نافذة قادرة على أن تعطي وتمنع وتبيح وتمسك، وهذا سلاح تهديدي لا يقل تأثيراً عن الفعل نفسه الذي يهدد أرباب الكلمة بالقيام به.

والكاتب إذ يتكئ على النهي بوصـــفه وســـيلةً من وســـائل التَّهديد فإنه يرمي إلى إظهار استعلائه وتمكنه ودنوِّ خصمه وهوانه، ويريد في الوقت نفسه أن يُخلِي مسؤوليته بتحذير المخاطَب من مغبة ما هو مقدم عليه، فغالباً ما كان أسلوب النهي يأتي – شأنه شأن الأمر– مرفقاً بنتيجة تجاهل المهدَّد هذا النهي وعدم أخذه على محمل الجد.

يقول **الأخطل** مهدداً قيس عيلان:[1]

ونعمَ أخو الكريهةِ، حينَ يُلقى إذا نزِلتِ النفوسُ إلى التراقي
فلا تسترسلوا لرجاءِ صلْحٍ فإنَّ الحربَ شامذةُ النِّطاقِ

ينهى الأخطل خصومه بنبرة تهديدية واضحة عن أن يطمئنوا إلى حالة السلم، ويركنوا إلى وضع الاستقرار الذي يعيشونه، فإن الحرب دائماً ما تكون كجمرة تحت الرماد.

يقول **سعد بن ناشب** مهدداً بلال بن أبي برد (والي البصرة):[2]

لا تُوْعِدَنَّا يا بِلالُ فإنَّنا وإن نَحْنُ لَم نَشْقُقْ عصا الدِّيْنِ أحرارُ

(1) ديوان الأخطل ، ص209. أخو الكريهة: الشجاع. نزت النفوس: كادت تخرج الروح من هول الموقف. التراقي: جمع (تَرْقُوَة)، وهي عظام في أعلى الصدر عند العنق. شامذة النطاق: الحرب الملتهبة.

(2) شرح ديوان حماسة أبي تمام ، لأبي العلاء المعري ، دراسة وتحقيق: حسين محمد نقشة ، دار الغرب الإسلامي - 1411هـ/1991م ، م1، ص420.

فلا تَحْمِلَنَّا بَعْدَ سَمْعٍ وطاعةٍ على غايةٍ فيها الشِّقاقُ أوِ العارُ

ينهى الشاعرُ والي البصرة عن أن يتوعده ويهدده ويفرض عليه السمع والطاعة، فإن الشاعر وقومه أهل حرب، ولن يكون للمهدَّد طاقة بتحملها إذا ما استعرت نارها واشتد أوارها.

وفي رسالة **خالد بن عبد الله** إلى أهل هوزان حلفاء مصعب ضد عبد الملك: "**لا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً، فإني لم آلكم نصيحةً عباد الله، ارجعوا إلى مكتبكم وطاعة خليفتكم، ولا ترجعوا عاصين مخالفين فيأتيكم ما تكرهون**".[1]

ولننظر إلى النهي في قول المهلب بن أبي صفرة[2] مهدداً عبد الرحمن بن الأشعث[3] من خلع عبد الملك بن مروان: " **الله الله فانظر إلى نفسك لا تهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها، فإن قلت: أخاف الناس على نفسي فالله أحقّ أن تخافه عليها من الناس، فلا تعرضها لله في سفك دم، ولا استحلال محرم، والسلام عليك.**"[4]

حمل أسلوب النهي في رسالة المهلب تهديداً شديد اللهجة: (لا تهلكها، لا تسفكها، لا تفرقها، تنكثها، لا تعرِّضها) هذا النهي المنبئ بالنتائج، وكأنما أراد أن يبين له أن نتائج خروجه على الخليفة:

(1) تاريخ الطبري ، م6، ص198. لم آلكم نصيحة: لم أمنع عنكم نصيحة، أو أبخل بها عليكم. مكتبكم: موضعكم الصحيح الذي كنتم فيه، وهو طاعة الخليفة.

(2) المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، أمير بطَّاش، جواد، ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير وفقئت عينه في سمرقند، وانتدب لقتال الأزارقة. ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان ومات فيها سنة (83هـ). انظر: الأعلام ، ج7 ، ص315.

(3) عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي، أمير، كان من قادة جيش الحجاج، ثم خرج عليه وعلى عبد الملك بن مروان، وقتل سنة (85هـ).انظر: الأعلام ، ج3 ، ص323- 324.

(4) المصدر نفسه ، م6، ص338.

إهلاك نفسه، وسفك دماء المسلمين، وتفريق الجماعة، ونكث البيعة، وتعريض نفسه لله في سفك دم. ومن ثمَّ فالكفُّ عما هو مقدم عليه سيجنبه والناسَ هذه النتائج الكارثية.

3- أسلوب الاستفهام

وإذا كان أدب التَّهديد ينحو بأسلوب الاستفهام نحواً يؤدي معنى التَّهديد والوعيد فإنه – أي الاستفهام – اتخذ في ظل هذا الغرض البلاغي أشكالاً متنوعة فأفاد التقرير والنفي والتهكم وغير ذلك، لا بوصف هذه الأشكال أغراضاً بلاغية مستقلة عن غرض التَّهديد بل بوصفها تنويعات أسلوبية، تحت مظلة الغرض الرئيس والمعنى العام، تنويعات استدعتها المواقف واقتضاها السياق.

لجأ الشاعر في معرض تهديده خصومه إلى **الاستفهام التقريري**، ولا شك أن الاستفهام التقريري في معرض التَّهديد يمنحه قوة ويجعله أكثر تأثيراً في نفس المهدَّد؛ فالأديب هنا يتعامل مع الفكرة التي يعبر عنها باستفهامه التقريري على أنها حقيقة ثابتة وليس أمام الخصم إلا الإقرار بها، وهذا ما يجعل المهدِّد في موضع قوة ويجد الخصم نفسه كأنما لا يملك من الخيارات إلا الإقرار والاعتراف بعد أن تضيق أمامه مساحة التفكير والنقاش. وانظر إلى قول **جرير** مهدِّداً الأخطل:[1]

ألم ترَ يا أُخَيطلُ حربَ قيسٍ تُمِرُّ إذا ابتغيتَ لها العِلالا

الشاعر في استفهامه التقريري هنا يسوق فكرته على أنها حقيقة مسلَّم بها لا تقبل النقاش، وما على الأخطل إلا الاعتراف والإذعان بأن حرب قيس تصير أكثر مرارة إذا ما أعيدت الكرَّة.

(1) ديوان جرير ، ج3، ص751. تمرُّ: تصبح مرَّة. العِلالا: الشربة الثانية بعد الشربة الأولى وهي كناية عن المواجهة الثانية.

ويقول **جرير** متوعداً الراعي النميري بمزيد من الهجاء:[1]

ألم ترني وَسَمْتُ بني نُمَيْرٍ وزِدتُ على أنوفِهمُ العِلابا
إليكَ إليكَ عبدَ بني نُمَيْرٍ ولمَّا تَقتدِحْ منِّي شِهابا

جاء جرير بالاستفهام التقريري في تهديده الراعي النميري فأعاد على مسامعه ما كان يعرفه مسبقاً، وهو أنه وسم قومه وسماً ألحق بهم العار.[2]

ومن منطلق القوة والاستعلاء يعمد المهدِّد في تهديده خصومه إلى استخدام **الاستفهام الإنكاري** فيمارس عليهم سلطة نفسية من خلال إظهار رفضه واستيائه، ويدفع بالمهدَّد إلى دائرة الشعور بالضعف والعجز ويضعه تحت وطأة الضغط النفسي، وذلك كله يساعد في أن تؤدي رسالة التَّهديد غايتها

ولما قتل مصعب بن الزبير قال **زفر بن الحارث** مستفهماً مستنكراً قتله مهدداً قاتليه من بني أمية:[3]

أفي الله أَمَّا بَجْدَلٌ وابنُ بَجْدَلٍ فيحيا وأمَّا ابنُ الزُّبير فَيُقْتَلُ
كذبتمْ وبيتِ الله لا تقتلونهُ ولمَّا يكُن يومٌ أَغَرُّ مُحَجَّلُ

(1) المصدر نفسه ، ج3، ص825. والراعي النُّمَيري: هو حُصَين بن معاوية، من بني نُمَير، شاعر أموي. وقيل له: الراعي لأنه كان يصف راعي الإبل في شعره، كان بينه وبين جرير مهاجاة لأنه كان بفضّل الفرزدق على جرير. ت(95هـ). انظر: الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، ج1 ، ص415.

(2) إشارة إلى البيت الشهير في هجاء الراعي: فغضَّ الطَّرفَ إنَّكَ من نُمَيرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا (المصدر نفسه ، ج3، ص821.)

(3) شرح حماسة أبي تمام ، أبو العلاء المعري ، م1، ص409. أغرّ: مشهور، عظيم الشأن. محجل: متميِّزٌ معروفٌ لا يُنكَر.

هذا الاستنكار الشديد الذي أداه الاستفهام لحالتين متناقضتين يصوِّر فداحة الجريمة، وعِظمَ الجريرة، فالشاعر يسأل منكراً على خصومه: كيف لهم أن يقتلوا ابن الزبير ويبقى ابن بحدل حياً؟ وكيف لهم أن يتصوروا ألا يكون هناك يوم ترفع فيه السيوف ثأراً لابن الزبير؟

وكثيراً ما جاء الاستفهام في أدب التَّهديد بغرض **التحقير أو التَّهكم والسخرية**، وهذا ضرب شديد التأثير على الوتر النفسي للخصم؛ إذ يشعره بالضَّعف والدونية حين يجد نفسه عرضةً للاستهزاء، وقد يؤدي إلى زعزعة ثقته بنفسه.

والكاتب عندما يلجأ إلى هذا النوع من الاستفهام التهكمي فإنه بذلك يلقي بقيود نفسية ثقيلة على خصمه يصعب على الأخير تجاوزها، فإن استطاع تجاوزها فإن رد فعله سيكون قاسياً جداً من دون شكّ؛ لأن أسلوب التهكم والسخرية يسبب أذى نفسياً حاداً.

انظر إلى قول **الأخطل** وهو يسأل الجحاف بن حكيم مستهزئاً: [1]

أَلا سائل الجحَّافَ هل هو ثائرٌ بِقَتلى أُصِيبتْ مِنْ سُلَيْم وعامر

وكان نتيجة ذلك وقعة البشر التي كلَّفت تغلب خسائر فادحة جداً على يد الجحاف وقومه.

ويتساءل جرير متهكماً كيف للراعي النميري أن يتوعده وهو من مجاشع؟ وكأن هذا النسب سبَّةٌ أو نقيصةٌ، ثم يستهزئ به استهزاءً مريراً إذ يصف دبره بالاضطراب:[2]

أتوعدني وأنت مجاشعيٌّ ترى في خَنْثِ نَخْبَتِهِ اضطرابا
أعدَّ الله للشعراء منِّي صواعقَ يخضعون لها الرِّقابا

(1) الأغاني ، ج12، ص143.

(2) ديوان جرير ، ج3، ص_819818 .

استطاع أسلوب الاستفهام أن يشكل جزءاً مؤثراً من البنية التركيبية في نصوص التَّهديد، فقد بنى الأدباء عبره جسور تواصل انفعالي بينهم وبين متلقيهم، واستفزوا فكره ومشاعره، ودفعوه بقوة إلى أن يعيد حساباته، كونه أمام إنشاء طلبي يقتضي منه التفاعل فكراً وإحساساً، ومن ثمَّ عملاً وتنفيذاً سلباً أو إيجاباً.

4 – أسلوب التوكيد

يُعَدُّ التوكيد عنصراً مهماً جداً من عناصر التركيب اللغوي في أدب التَّهديد؛ فالتوكيد الذي يهدف إلى تأكيد المعنى وتقويته وترسيخه في ذهن المتلقي ودفع الالتباس أو الشك والتوهم يعدُّ أداةً لا غنى عنها للأديب حين يطلق تهديده في نصٍّ أدبي، إذ يحرص أثناء ذلك على ألا يغادر سلاحاً مجدياً من أسلحة إرهاب خصمه وبث الذعر في قلبه إلا لجأ إليه واستفاد منه.

وانطلاقاً من أن أدب التَّهديد في العصر الأموي نتاجُ مجتمع إسلامي يقيم بنيانه على أسس الإسلام ومبادئه؛ فإن **(القسم)** يعد أعلى مراتب التوكيد وأقواها، فهو يلزم المهدِّد دينياً وأخلاقياً أن يبر بقسمه، ومن ثم فإن المتلقي الذي يدرك تماماً ما يعنيه القسم في هذا السياق لا بدَّ له من أن يأخذ التَّهديد على أنه حقيقة حتمية لا خيار، حتى للمهدِّد نفسه، بالتغافل عنها أو تجاهلها.

وانظر في قول **المغيرة بن شعبة** مهدداً الخوارج: "**ذكر لي أن رجالاً منكم يريدون أن يظهروا في المصر بالشقاق والخلاف، وأيم الله لا يخرجون في حيٍّ من أحياء العرب في هذا المصر إلا أبدتهم وجعلتم نكالاً لمن بعدهم**".[1]

(1) جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج2، ص421.

أدرك المغيرة ما يشـــكله الخوارج من خطر على الدولة، وكان لابد من أن يكون حازماً في التعامل مع تمردهم، ولما أراد إيصال رسالة اليهم بنيته الضربَ بيدٍ من حديد لم يجد لذلك أبلغ توكيداً من أن يقسم بالله جل جلاله.

ولما وثب المختار بن أبي عبيد الثقفي[1] للمطالبة بدم الحسين وقابل جند الشام بقيادة عبيد الله بن زياد قال:[2]

أمـا وربِّ المـرسـلات عرفـا لنقتلن بعـد صـفٍّ صـفَّا
وبعد ألفٍ قاسطين ألفا

يقسم المختار برب المرسلات عُرفاً أي: الرياح المرسلة المتتابعة، وهو قسم لم يأت اختياره عبثاً، ففيه إشـارة إلى القوة والتتابع، وهذا حال جيش المختار. وهذا القسـم بالله يمنح التَّهديد حتمية التنفيذ ثم إن المختار – إضـافة إلى القسـم – جاء بمؤكدات أخرى: أما، واللام، ونون التوكيد الثقيلة، وبذلك جعل الأمر محكماً فلا مناص من تنفيذه، وهذا له كبير الأثر في نفوس أعدائه.

وفي خطبته الشـهيرة في أهل الكوفة يقول **الحجاج بن يوسـف: "يا أهل الكوفة، أَمَا واللهِ إِنِّي لأَحْمِلُ الشَّـرَّ بِحِمْلِهِ، وَأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ،(.....). إِنِّي واللهِ يا أهلَ العراقِ، ومَعْدِنَ الشِّـقَاقِ والنِّفَاقِ، وَمَسـاوِئَ الأَخْلاقِ ما يُقَعْقَعُ لي بالشَّنَانِ، ولا يُغْمَزُ جَانِبِي كَتَغْمَازِ التِّيْنِ، (....) أَمَا واللهِ لأَلْحُونَّكم لَحْوَ العَصَا،**

(1) انظر: البداية والنهاية (ومعه نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم) ، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشـقيّ ، تح: يوسـف الشـيخ محمد البقاعي ، بإشـراف مكتب البحوث والدراسـات في دار الفكر للطباعة والنشـر والتوزيع ، بيروت/لبنان ، ط1-1416هـ/1996م ، ج6 ، ص16-21. والمختار بن أبي عبيد بن مسـعود الثقفي، من زعماء الثائرين على بني أمية، بعد مقتل الحسين رضي الله عنه، تعهد لعبد الله بن الزبير أن يسانده في ثورته، لكنه نكث بوعده، ودعا لمحمد بن الحنفية، وقاتل مصعب بن الزبير، وقُتِلَ سنة (67هـ). انظر: الأعلام ، ج7 ، ص192.

(2) تاريخ الطبري ، م6، ص81. المرسـلات عرفا: الرياح القوية المتتابعة كشـعر عرف الفرس. قاسـطين: جائرين. وعبيد الله بن زياد بن أبيه، ولاه معاوية خراسان، ثم البصرة، فقاتل الخوارج، وأقره يزيد على إمارته، وكانت فاجعة قتل الحسين رضي الله عنه على يده، قُتِل سنة (67هـ). انظر: الأعلام ، ج4 ، ص193.

ولأَقْرَعَنَّكم قَرْعَ المُرُوعَةِ، (.....)،وَإِنِّي واللهِ لا أَعِدُ إلاَّ وَفَيْتُ، ولا أَهَمُّ إلاَّ أَمْضَـيْتُ، ولا أَخْلَقُ إلاَّ فَرَيْتُ (.....) أَمَا واللهِ لَتَسْتَقِيمُنَّ على طريقِ الحَقِّ أو لأَدَعَنَّ لكلِ رجلٍ منكم شُغْلاً في جَسَدِهِ!" [1]

إن هذا القسم بالله جلَّ جلاله في أول خطبة للحجاج في أهل العراق لذو دلالة عميقة على أن الحجاج قد عزم على قطع دابر الفتنة، وأنه لفعَّال لما يقول، وقد عقد تهديده بالقســـم بالله مرات عدة حتى لا يساور أهل العراق شكٌّ أنه عازم على ما يهدد به لا يثنيه عن ذلك شيء.

وكثيراً ما يكون القســـم محذوفاً ويأتي جوابه المؤكَّد ليدل عليه بصـــيغه (لأفعلنَّ) ومجيء الجواب مع حذف القسم يؤدي غاية بلاغية مهمه توحي للمتلقي بأن تنفيذ القسم أمر قطعي فلا حاجة لإيراد القسم نفسه ما دام جوابه دالاً عليه قاطعاً بحتميته.

ومن ذلك ما جاء في قول **قتيبة بن مسلم** مهدداً سليمانَ بن عبد الملك، فيقول: "**لأخلعنَّكَ خلع النَّعل، ولأملأنَّها عليك خيلاً ورجالاً**" [2]، إذ جاء القسم محذوفاً وجوابه مؤكَّداً في (لأخلعنَّكَ،لأملأنَّها).

ولم يقتصر التوكيد في أدب الهجاء على استخدام القسم، بل إن الشاعر في معرض تهديده خصومه لم يدخر أداة من أدوات التوكيد إلا وأتى بها في نصه حتى يسبغ على تهديده صفات القوة والإحكام، ويسرِّب إلى نفوس أعدائه شعوراً بالخوف والرهبة بإيحائه قطعية تنفيذ التَّهديد.

(1) جمهرة خطب العرب ، ج2، ص275 – 277. أَحْمِلُ الشَّـرَّ بِحِمْلِهِ: أواجه الشـر بمثله. أَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ: أي أُتبِعُ الشـرَّ شـرَّاً. بالشَّنَانِ: جمع "شَنّ"، وهي القِرَب البالية التي جفت وتكسرت، أي: لا أخاف من التَّهديدات الفارغة، التي تشبه صوت القرب البالية عند تحريكها. يُغمَز: يُطعَنُ فيه، أو يمسه بسوء. تَغْمَازِ التِّيْنِ: أي الضغط الخفيف عليه ليُعرَف مقدار نضجه. لأَلْحوِنَّكم: لأقطعنَّكم ولأُخرجنَّكم. لحو العصا: قشرها وإزالة كل ما عليها، أي: لأقضي عليكم وأزيلكم. لأقرعنكم قرع المروءة: لأضربنَّكم ضرباً شديداً. أخلق: أبلي. فريت: قطعت، فتَّتت، أي: لا أُقدم على أمر إلا أتممته بدقة.

(2) ديوان شرح نقائض جرير والفرزق ، م1، ص530.

ومن أمثلة التوكيد في معرض التَّهديد بالهجاء قول **جرير**:[1]

فـإنِّـي لـهـاجـيـكـم بـكـلِّ غـريـبـةٍ شَـــرودٍ إذا السَّـــري بـلـيـلٍ تَـرَنَّـمـا
فـإنِّـي لـهـاجـيـكـم وإنِّـي لـراغـبٍ بـأحســـابنـا فضـــلاً بنـا وتكرمـا

كرَّر جرير تهديده بالهجاء مؤكداً إياه في المرتين باستخدام (إنَّ) للدلالة على أنَّ هذا الأمر محسوم لا رجعة فيه، وذلك يستدعي من المهدَّد أن يجعل هذا الأمر نصب عينيه فيتجنبه إن أمكن أو يستسلم له إن سبق السيف العذل.

وبذلك يتبين لنا أن لأدب التهديد تشكيله اللغوي الخاص الموظف لتحقيق غايات الخطاب، وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج نوجزها في الآتي :

نتائج البحث :

١ـــ لم يقتصر التشكيل اللغوي في نصوص التهديد الأموية على أداء الوظيفة الإبلاغية، بل نهض بوظيفة تأثيرية وإقناعية ، إذ أسهم توظيف البنى الصوتية والتركيبية والمعجمية في بناء ضغط نفسي على الخصم، وتعزيز فاعلية الخطاب التهديديّ.

2ـــ كشف التحليل أن مستويات البناء اللغوي المختلفة (الصوتية والمعجمية والتركيبية) اكتملت في إنتاج الخطاب التهديدي؛ إذ حملت الانفعال النفســي من جهة، وأســهمت في تجســيده فنياً بما يحقق غاية التهديد والتخويف والتأثير في المتلقي .

(1) ديوان جرير ، م3–، ص981.

٣ـــ أظهرت الدراسة أن الشعر والنثر يشتركان في اعتماد الآليات اللغوية نفسها في بناء خطاب التهديد، مع احتفاظ الشعر بخصوصيته الإيقاعية المتمثلة في الوزن والقافية، وهو ما منحه قدرة أكبر على تكثيف التأثير النفسي ، وترسيخ دلالة التهديد.

المصادر والمراجع:

1 – الأدب المقارن (مشكلات وآفاق)، الدكتور: عبده عبّود، منشورات اتحاد الكتاب العرب (1999م).

2 – الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت/ لبنان، ط1، 2002م.

3 – الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تح: إحسان عباس/ إبراهيم السعافين/ بكر عباس، دار صادر بيروت، ط1429،3هـ / 2008م.

4 – البداية والنهاية (ومعه نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم)، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقيّ، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط1، 1416هـ/1996م.

5 – تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ قطر، إشراف: محمد غسان نصوح عزقول الحسيني، ط1434،2هـ/ 2013م.

6 – تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان، بيروت/ لبنان.

7 – جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، تأليف أحمد زكي صفوت، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده بمصر، ط1352،1هـ – 1933م.

8 – الحماســـة، لأبي عبادة الوليد بن عُبيد البحتري، تح: محمد إبراهيم حور/ أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط1، 1428هـ/ 2007م.

9 – دراســات، العلوم الإنســانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، مفلح الفايز، م42، العدد (2)، 2015م.

10 – ديوان الأخطل، شــرح: مهدي محمد ناصــر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط2، 1414هـ – 1994م.

11 – ديوان جرير (بشــرح محمد بن حبيب)، تح: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف/ مصــر، ط3، (د.ت).

12 – ديوان شـرح نقائض جرير والفرزدق، ألفه ورواه: أبو عبيدة مَعْمَرُ بنُ المثنى، شـرحه وعلق عليه: د. محمد التونجي، دار الجيل/ بيروت،1422هـ/ 2002م.

13 – ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر/ بيروت، د. ت.

14 – ديوان الفرزدق، شـرحه وضـبطه وقدم له: علي فاعور، دار الكتب العلمية (بيروت/ لبنان)، ط1، 1407هـ – 1987م.

15 – ديوان اللصــوص في العصــرين الجاهلي والإســلامي، د. محمد نبيل طريفي، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1، 1425هـ/ 2004م.

16– ديوان المعاني، لأبي هلال العسـكري، شـرحه وضـبط نصـه: أحمد حسـن بَسـج، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1، 1414هـ – 1994م.

17 – سـير أعلام النبلاء، للإمام أبي عبد الله شـمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الـذهبي، رتبـه وزاده فوائـد واعتنى بـه: حســـان عبـد المنـان، بيـت الأفكـار الـدوليـة، لبنـان، 142هـ/2004م.

18- شرح ديوان حماسة أبي تمام، لأبي العلاء المعري، دراسة وتحقيق: د. حسين محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، 1411هـ/ 1991م.

19 - شعر المتوكل الليثي، يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس/ بغداد، د.ت.

20 - الشعر والشعراء، لابن قتيبة، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر،1377هـ/1958م.

21 - الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجاً وتطبيقاً)، أحمد علي دهمان، ط2، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق،2000م.

22- علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، صلاح فضل، دار الشروق/ القاهرة، ط1419،1هـ/1998.

23- كتاب الوحشيات (الحماسة الصغرى)، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي،علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، زاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر، ط3، 1388هـ /1968م.

24 - لسان العرب، لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم، تح: عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي، سيد رمضان أحمد، دار المعارف/ مصر، د.ت.

25- مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف بمصر، ط2، 1948م.